

د. علي بن
نفع العلياني

مجموعه الاجام ابن قتيبة

مكتبة الصديقي

عقيدة الامجد ابن قتيبة

تأليف
الدكتور علي بن نفع العلياني
رئيس كلية الشريعة والعلوم الدينية
بجامعة أم القرى مكة المكرمة

مكتبة الصديقي

الطبعة الأولى - ١٤٢٧ هـ
١٤٢٧ هـ - ١٤٢٧ هـ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩١م



مكتبة الوطنية

للنشر والتوزيع

ص.ب. ٢٣٦٨ - هاتف: ٧٢٢٣٣٣٧

الطائف - المملكة العربية السعودية

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وبعد : - يقول الله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾^(١) . ويقول سبحانه : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾^(٢) . ويقول عز وجل : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾^(٣) . وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « من حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل الله فقد كذب والله يقول : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ الآية »^(٤) . وفي الصحيح أيضاً أنها قالت : « لو كان محمد صلى الله عليه وسلم كاتماً من القرآن شيئاً لكتم هذه الآية : ﴿ وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾ »^(٥) .

(١) المائدة آية ٣ .

(٢) الأنعام آية ٣٨ .

(٣) النحل آية ٨٩ .

(٥) صحيح البخاري كتاب التوحيد ١٥٢/٩ .

(٤) صحيح البخاري كتاب التفسير ٦٦/٦ .

وقد شهدت له أمته ببلاغ الرسالة وأداء الأمانة واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل في خطبته يوم حجة الوداع وقد كان هناك من الصحابة نحو من أربعين ألفاً كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يومئذ أيها الناس إنكم مسؤولون عني فما أنتم قائلون قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فجعل يرفع أصبعه ويقولها إليهم ويقول اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت^(١) ويقول أبو ذر رضي الله عنه : « ولقد تركنا رسول الله ﷺ وما يقلب طائر بجناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً »^(٢) .

كل هذه النصوص المتقدمة تدل دلالة قطعية لا مجال للشك فيها بأن الرسول ﷺ قد كمل الله به الدين وأنه قد بلغه لأمره وبينه غاية البيان أصوله وفروعه ولم يكتم منه شيئاً وفي مقدمة ما بينه توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات وما يجب لله من صفات الكمال وما يجب على المؤمنين اعتقاده من أمور الغيب كالإيمان باليوم الآخر والملائكة ونحو ذلك . فإنه من غير المعقول أن يبين الرسول ﷺ لأمره ما يقولون إذا دخلوا الخلاء وإذا خرجوا منه وما يقولون عند الجماع ولا يبين لهم أسماء الله الحسنى وصفاته العليا وما يجب له من التنزيه والتعظيم والعبادة والطاعة . لا يقول هذا إلا زنديق أو جاهل ملبوس عليه أمره . لأجل هذا لم يحصل بين الصحابة رضي الله عنهم خلاف في مسائل العقيدة إطلاقاً يقول ابن القيم : « تنازع الناس في كثير من الأحكام ولم يتنازعوا في آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها وإثبات حقائقها وهذا يدل على أنها أعظم النوعين بياناً وأن العناية ببيانها أهم لأنها من تمام تحقيق الشهادتين وإثباتها من لوازم التوحيد فبينها الله سبحانه وتعالى ورسوله بياناً شافياً »^(٣) . لم يختلف

(١) صحيح مسلم كتاب الحج ٤١/٤ .

(٢) تفسير الطبري ٣٤٨/١١ بتحقيق احمد شاكر . (٣) مختصر الصواعق المرسلة ٢١/١ .

الصحابة رضوان الله عليهم في مسائل العقيدة لأنهم تلقوها من الكتاب العزيز والرسول الكريم ﷺ فسلموا بها وفهموا معانيها وعبدوا الله بمقتضاها وأثرت في سلوكهم الواقعي على الأرض وكانوا نموذجاً فريداً عالي المستوى يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله عن جيل الصحابة : « ... كان القرآن وحده إذن هو النبع الذي يستقون منه ويتكيفون به ويتخرجون عليه ولم يكن ذلك كذلك لأنه لم يكن للبشرية يومها حضارة ولا ثقافة ولا علم ... وإنما كان ذلك عن تصميم مرسوم ونهج مقصود يدل على هذا القصد غضب رسول الله ﷺ وقد رأى في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفة من التوراة وقوله : « انه والله لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني » (١) ... أنهم في الجيل الأول لم يكونوا يقرؤون القرآن بقصد الثقافة والإطلاع ولا بقصد التذوق والمتاع ... إنما كان أحدهم يتلقى القرآن ليتلقى أمر الله في خاصة شأنه وشأن الجماعة التي يعيش فيها وشأن الحياة التي يحياها هو وجماعته يتلقى ذلك الأمر ليعمل به فور سماعه كما يتلقى الجندي في الميدان الأمر اليومي ليعمل به فور تلقيه » (٢) . يقول أبو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرئونا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً (٣) .

وليست طريقة الصحابة رضوان الله عليهم هو الإيمان بألفاظ جوفاء لا يدركون لها معاني كما يزعمه أهل التجهيل الذين يقولون أن الصحابة لم يكونوا يعلمون معنى صفة العلو والإستواء والرحمة؛ والغضب ونحو ذلك ويقولون إنهم يؤمنون باللفظ فقط ويفوضون المعنى !! بل إن هذا القول الخبيث يستلزم إتهام الله سبحانه وتعالى بأنه خاطب عباده بما لا يفهمونه

(١) سنده حسن انظر إرواء الغليل للألباني ٣٤١٦ والسنة لابن أبي عاصم ٢٧/١ .

(٢) انظر معالم في الطريق « جيل قرآني فريد » ، ص ١٤ .

(٣) تفسير ابن كثير ١٣/١ .

ويستلزم إتهام الرسول ﷺ بأنه لم يبين أكثر القرآن للناس . فإن نصوص الصفات والأسماء في القرآن كثيرة جداً بل أغلب آيات القرآن العزيز تختتم بتقرير صفة لله أو إسم .

والحقيقة التي لا اشكال فيها إلا على من أعمى الله بصيرته إن الصحابة رضوان الله عليهم فهموا صفات الله سبحانه فهماً جيداً فعظم الله في نفوسهم وبلغ حبهم لصفات كماله غايته لأجل ذلك كانوا أكثر الناس خضوعاً وانقياداً ومحبةً له سبحانه . بل إن كل من يعرف اللغة العربية اذا قرىء عليه القرآن أدرك أن معنى الرحيم غير معنى المنتقم ومعنى الجبار غير معنى الرؤوف ومعنى الأول غير معنى الآخر وصفة الضحك غير صفة الغضب وصفة السمع غير صفة البصر . ولو لم يدرك المستمع للقرآن من نصوص الصفات معنى لكان عنده صفة الضحك مثل صفة الغضب ولكان عنده صفة انتقام الله من المجرمين مثل صفة رحمته بالمؤمنين ولا يقول هذا إلا زنديق أو مكابر . فالصحابة رضوان الله عليهم لا يفوضون المعنى ويؤمنون باللفظ فقط بل يؤمنون باللفظ وما دلّ عليه من معنى ويفوضون الكيفية مع اعتقادهم بأن صفات الله لا تشبه صفات المخلوقين فإن كيفية صفات الله سبحانه لا يعلمها علماً حقيقياً إلا من رآها فهي كذاته فكما يثبت المؤمنون أن لله ذاتاً موجودة حقيقية ولا يدركون كيفيتها فكذلك يؤمنون بأن لله صفات حقيقية لا يدركون كيفيتها . وما حصلت البدع والانحرافات في العقيدة الا لما تنكب أناس منهج السلف الصالح بحسن نية أو بسوء نية فالطريقة المنحرفة تُنتج سلوكاً منحرفاً سواء حسنت نية صاحبه أو فسدت ويمكن تلخيص أهم الأسباب التي أدت ببعض الناس إلى الانحراف عن طريقة الصحابة في تلقي العقيدة وفي فهمها فيما يلي :

(١) وجود بعض الناقمين على الإسلام بين المسلمين ، إذ دخلوا في الإسلام ظاهراً وأرادوا الكيد له ولأتباعه باطناً فأخذوا يشيعون الأكاذيب والخرافات بحجة الغيرة على الإسلام أو الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر وعلى رأس هؤلاء اليهودي الخبيث عبد الله بن سبأ الذي تولى
كبر الفتنة في عهد عثمان وعهد علي رضي الله عنهما وأدخل على
المسلمين عقائد فاسدة كعقيدة الرجعة وأن علياً وصي النبي وعصمة
الأئمة ونحو ذلك .

(٢) انتشار الفتوحات الإسلامية في بقاع كثيرة من العالم ودخول أهلها في
الإسلام وهم يحملون رواسب كثيرة من رواسب الجاهلية التي كانوا
عليها ولم ينالوا من التربية الإسلامية على العقيدة الصحيحة السليمة
مثل ما نال الرعيّل الأول من الصحابة على يد رسول الله ﷺ وذلك
لكثرتهم وانشغال الفاتحين بالحروب والفتوحات الجديدة فأخذ هؤلاء
المسلمون الجدد في بث ما لديهم من ثقافة ورواسب جاهليتهم
السابقة ظناً منهم أنها لا تتعارض مع الإسلام مع العلم بأن الثقافة
المنبثقة من تصورات جاهلية خطر على العقيدة الإسلامية فهي تززع
أركانها وتشوه صفاءها .

(٣) عدم اقتصار المسلمين على ما في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة
من العقائد كما كان الصحابة رضوان الله عليهم يفعلون بل استقت
الأجيال التالية فلسفة الإغريق ومنطقهم وأساطير الفرس وتصوراتهم
وإسرائيليات اليهود ولاهوت النصراني وغير ذلك من رواسب
الحضارات والثقافات عندما ترجمت كتب الأمم الأخرى إلى اللغة
العربية وأقبل أكثر الناس على الكتب المترجمة بدون تمييز بين الغث
والسمين والنافع والضار واختلط هذا كله بتفسير القرآن الكريم وعلم
العقيدة والفقه والأصول ونحو ذلك .

(٤) تحكيم العقل البشري القاصر في مسائل للعقيدة مما نتج عنه ردّ روايات
وأحاديث كثيرة زعم المبتدعة أن العقل يخالفها وهذا جهل قبيح فما

فائدة الوحي إذا كانت العقول البشرية تستقل بمعرفة ما يجب لله وما ينزه عنه .

(٥) الغلو . كغلو الشيعة في أهل البيت وغلو الخوارج في نصوص الوعيد وغلو المرجئة في نصوص الوعد وغلو المعتزلة والأشاعرة في تقدير قيمة العقل وإدراكه حتى حكموه في النصوص الشرعية .

(٦) الرد على البدعة بدعة مثلها كما ردت المعتزلة بدعة الخوارج في مرتكب الكبيرة بدعة مثلها وكما ردت المشبهة بدعة المعتزلة في إنكار الصفات بدعة مثلها وهي تشبيه صفات الله بصفات خلقه حتى قال بعضهم : إن يد الله كيدي ووجهه كوجهي .

(٧) انشغال بعض أمراء المسلمين عن تربية الناس على العقيدة الصحيحة ورد غوائل البدع عنهم باللهو والملذات والتفاني في جمع حطام الدنيا وتثبيت عروشهم أكثر من تثبيت قواعد التوحيد .

وقد يادر صحابة رسول الله ﷺ بالإنكار على كل منحرف عن نهج الحق في العقيدة فأنكروا على الخوارج بدعتهم في تكفير مرتكب الكبيرة والخروج على خليفة المسلمين فأقام الحجة عليهم عبد الله بن عباس حبر هذه الأمة وترجمان القرآن ، وقاتل الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ومعه جمع كثيف من الصحابة من استمر منهم على بدعتهم وأنكروا على القدرية بدعتهم وتبرأوا منهم فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن يحيى بن يعمر قال : « كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا لولقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحداً عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ فقلت : أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أنه لا قدر وأن الأمر أنف قال فإذا لقيت أولئك

فأخبرهم إني بريء منهم وأنهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر»^(١) .

وأنكر الصحابة على الرافضة غلوهم وانحرافهم في العقيدة بل حرق علي بن أبي طالب رضي الله عنه مجموعة منهم كما ثبت في صحيح البخاري عن عكرمة قال أتى علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس فقال : « لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله ﷺ لا تعذبوا بعذاب الله ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ من بدل دينه فاقتلوه »^(٢) .

أما بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم فقد توسعت البدع وانتشرت وكثر دعائها وألغوا فيها التآليف الكثيرة فرأى السلف الصالح السالكين لنهج الصحابة محاربة البدع وأهلها على جبهات عدة منها :

١ - النهي عن مجالسة أهل البدعة ومحادثتهم .

قال أبو قلابة لا تجالسوا أهل البدع ولا تخالطوهم فإنني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم ويلبسوا عليكم كثيراً مما تعرفون^(٣) .

وعن أيوب قال لقيني سعيد بن جبيرة فقال : ألم أرك مع طلق قلت : بلى فما له قال : لا تجالسه فإنه مرجىء^(٤) .

وقال الفضيل بن عياض : من أتاه رجل فشاوره فدلّه على مبتدع فقد غشّ الإسلام احذروا الدخول على أصحاب البدع فإنهم يصدون عن الحق^(٥) .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١/١٥٥ .

(٢) صحيح البخاري كتاب المرتدين ٨/٥٠ .

(٣) شرح السنة للالكائي ١/١٣٤ .

(٤) البدع والنهي عنها لابن وضاح ص ٥٢ .

(٥) السنة للالكائي ١/١٣٥ .

وكان ابن طاوس جالساً فجاء رجل من المعتزلة فجعل يتكلم فأدخل ابن طاوس إصبعيه في أذنيه وقال لابنه : أي بني أدخل أصبعيك في أذنيك واشدد لا تسمع من كلامه شيئاً^(١) .

وكلام السلف الصالح ومؤلفاتهم في هذا الجانب كثيرة جداً .

(٢) ترك رواية الحديث عن أهل البدع الداعين إلى بدعتهم كما في صحيح مسلم عن محمد بن سيرين قال إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم وعنه أيضاً أنه قال لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم . وفي صحيح مسلم أيضاً عن جرير قال : لقيت جابر بن يزيد الجعفي فلم أكتب عنه كان يؤمن بالرجعة . وفيه أيضاً عن عبد الله بن المبارك أنه قال : دعوا حديث عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف^(٢) .

(٣) تولى السلف الصالح الرد على أهل البدع بمؤلفات قيمة تقيم الحجة وتكشف الشبهة وتوضح الحق وتبطل التأويل الفاسد ومن أمثلة ذلك :

- الرد على الزنادقة والجهمية لأحمد بن حنبل - [٢٤١ هـ] .
- الرد على الجهمية لعبد الله بن محمد بن عبد الله الجعفي - [٢٢٩ هـ] .
- الرد على الجهمية لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - [٢٥٦ هـ] .
- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لعبد الله بن مسلم بن قتيبة - [٢٧٦ هـ] .

(١) المصدر السابق .

(٢) انظر هذه الأحاديث في مقدمة صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ٨٤ - ٨٩ .

- الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي - [٢٨٠ هـ] .
- الرد على بشر المريسي لعثمان بن سعيد الدارمي المذكور أعلاه .
- الرد على الجهمية لعبد الرحمن بن أبي حاتم - [٣٢٧ هـ] .
- وغير هذه كثير .

(٤) تولى السلف الصالح عرض العقيدة الصحيحة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وبينوا أدلتها وشرحوها وهذا المنهج وحده من أكبر وسائل إزهاق الباطل فإن الحق إذا ظهر للناس وانتشر اضمحل الباطل وخنس ، فإن على الحق نوراً يدل عليه وعلى الباطل ظلمة وكآبة . ومن الأمثلة على مؤلفات السلف في هذا السبيل ما يلي : -

- ١ - السنة - رسالة لأحمد بن حنبل [٢٤١ هـ] .
- ٢ - السنة لأبي بكر بن الأثرم [٢٧٢ هـ] .
- ٣ - السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل [٢٩٠ هـ] .
- ٤ - السنة لمحمد بن نصر المروزي [٢٩٤ هـ] .
- ٥ - السنة لأحمد بن محمد بن هارون الخلال - [٣١١ هـ] .
- ٦ - كتاب التوحيد لابن خزيمة [٣١١ هـ] .
- ٧ - الإبانة لعبيد الله بن محمد بن بطة [٣٨٧ هـ] .
- ٨ - كتاب التوحيد لمحمد بن إسحاق بن منده [٣٩٥ هـ] .
- ٩ - شرح السنة لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين [٣٩٩ هـ] .
- ١٠ - كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام [٢٢٤ هـ] .
- ١١ - كتاب الإيمان لأحمد بن حنبل [٢٤١ هـ] .

١٢ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي [٤١٨هـ] .

وغير هذا من المؤلفات التي تزيد على المئات .

هذا هو منهج السلف الصالح رضي الله عنهم في تلقي العقيدة والدفاع عنها :

- ١ - إقتصار على الوحي - الكتاب والسنة - في تلقي العقيدة .
- ٢ - تلقي نصوص الوحي للتحرك بها والعمل بموجبها وصبغ السلوك الظاهري والباطني بأوامرها .
- ٣ - إخضاع العقل لنصوص الوحي لا إخضاعها للعقل البشري الناقص .
- ٤ - الدعوة إلى العقيدة الصحيحة باللسان والسنان والدفاع عنها ضد هجمات الكُفَّار والزنادقة والمبتدعة بأسلوب الردّ وأسلوب العرض والتوضيح كما تقدم .

أمّا الفرق المبتدعة فهم مذاهب شتى في مصدر التلقي فبعضهم يتلقى العقيدة من كتب علم الكلام ومن شروح الفلسفة الوثنية اليونانية وبعضهم يتلقون العقيدة من عقولهم الناقصة الزائفة لذلك رأينا عقل المعتزلي ينكر ما يثبتُه عقل الأشعري وعقل الأشعري ينكر ما يثبتُه عقل الكُرَّامي وعقل القُرْمَطي ينكر ما يثبتُه عقل الماتوريدي وهذا شأن العقول إذا أعرضت عن الوحي واستقلت بالعمل في غير مجالها .

وبعضهم يتلقون العقيدة عن طريق الأحلام والرؤى كما هو شائع في المتصوفة فيقول بعضهم : رأيت في المنام رسول الله أو رأيت شيخي فأمرني بكذا ونهاني عن كذا فيعمل بموجب حلم أملاه عليه الشيطان وكأن رسول الله ﷺ توفي قبل أن يكمل الله به الدين وقبل أن يوضحه للناس تعالى الله عن قول المبتدعة علواً كبيراً .

وقد افترى بعض أتباع هذه الفرق المبتدعة فرية عظيمة مضمونها أن النهج السلفي الذي يدعى إليه اليوم هو نهج ابن تيمية وابن القيم فقط وأن الصحابة والتابعين والعلماء من بعدهم لم يحرروا مذهب السلف ولم يتوسعوا في شرحه وتوضيحه بل كان أحدهم يقرأ الآية أو الحديث ويسكت ولا يفهم من النصوص معاني !! وهذه فرية بلقاء لا نصيب لها من الصحة والغرض منها هو صرف أبناء المسلمين السائرين على نهج السلف عن مقارعة المبتدعة وفضحهم وهتك أقوالهم المدخولة المصادمة لنصوص الوحي وقد مر بك أيها القارئ الكريم إنكار الصحابة على البدع التي حدثت في عصرهم ومرر بك أقوال أئمة العلماء في التحذير من مجالسة المبتدعة وأخذ الحديث منهم ومرر بك طرف ليس بالقليل من تعداد مؤلفات علماء السلف التي فيها إيضاح الحق والرد على المبتدعة ونزید الأمر إيضاحاً بنقل أقواله لطائفة من العلماء عاشوا قبل ابن تيمية وابن القيم بقرون أوضحوا فيها عقيدة السلف الصالح وإنها ليست تلاوة آيات وأحاديث لا يفهمون معناها كما يقوله المفتررون .

يقول الخطيب البغدادي المتوفى عام ٤٦٣ ما يلي :

« أما الكلام في الصفات فإنه ما روي منها في السنن الصحاح مذهب السلف رضوان الله عليهم إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبتته الله سبحانه وحققها من المثبتين قوم فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين ودين الله بين الغالي فيه والمقصر عنه والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات ويحتذي في ذلك حذوه ومثاله فإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين عز وجل إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف . فإذا قلنا لله تعالى يد وسمع وبصر فإنما هي صفات أثبتها الله تعالى لنفسه ولا نقول أن معنى اليد القدرة ولا أن

معنى السمع والبصر العلم ولا نقول أنها جوارح ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل ونقول إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تبارك وتعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ . وقوله عز وجل : ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ .

ولما تعلق أهل البدع على عيب أهل النقل برواياتهم هذه الأحاديث ولبسوا على من ضعف علمه بأنهم يروون ما لا يليق بالتوحيد ولا يصح في الدين ورموهم بكفر أهل التشبيه وغفلة أهل التعطيل أجيبوا بأن في كتاب الله تعالى آيات محكمات يفهم منها المراد بظواهرها وآيات متشابهات لا يوقف على معناها إلا بردها إلى المحكم ويجب تصديق الكل والإيمان بالجميع فكذلك أخبار الرسول ﷺ جارية هذا المجرى ومنزلة على هذا التنزيل برد المتشابه منها إلى المحكم ويقبل الجميع وتنقسم الأحاديث المروية في الصفات ثلاثة أقسام :

١ - منها أخبار ثابتة أجمع أئمة النقل على صحتها لاستفاضتها وعدالة ناقلها فيجب قبولها والإيمان بها مع حفظ القلب أن يسبق إليه اعتقاد ما يقتضي تشبيهاً لله بخلقه ووصفه بما لا يليق به من الجوارح والأدوات والتغير والحركات .

٢ - القسم الثاني : أخبار ساقطة بأسانيد واهية وألفاظ شنيعة أجمع أهل العلم بالنقل على بطلانها فهذه لا يجوز الإشتغال بها ولا التعرّيج عليها .

٣ - القسم الثالث : أخبار إختلف أهل العلم في أحوال نقلتها فقبلهم البعض دون الكل فهذه يجب الإجتهد والنظر فيها لتلحق بأهل القبول أو تجعل في حيز الفساد والبطول^(١) .

(١) نقل هذا النص الالباني في مختصر العلو ص ٤٨ من مخطوطة في الصفات . للخطيب توجد =

ويقول الإمام الخطابي المتوفى عام ٣٨٨ هـ : « مذهب السلف في الصفات إثباتها وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها » . ويقول الإمام نعيم بن حماد الحافظ المتوفى عام ٢٢٨ هـ : « من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر وليس ما وصف به نفسه ولا رسوله تشبيهاً » . ويقول الإمام إسحاق بن راهويه المتوفى عام ٢٣٧ هـ : « إنما يكون التشبيه إذا قال : يد مثل يدي أو سمع كسمعي فهذا تشبيه وأما إذا قال كما قال الله : يد وسمع وبصر فلا يقول كيف ولا يقول مثل فهذا لا يكون تشبيهاً قال تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ » ويقول الإمام ابن عبد البر حافظ المغرب المتوفى عام ٤٦٣ هـ : « أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسنة وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لم يكيفوا شيئاً من ذلك وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فكلهم ينكروها ولا يحمل منها شيئاً على الحقيقة ويزعمون أن من أقربها مشبه وهم عند من أقربها نافون للمعبود^(١) » . هذا غيظ من فيض وقد نقل مذهب السلف أكثر من مائة إمام ذكرهم الذهبي في كتابه القيم « العلل للعلي الغفار » وكلهم قبل عصر ابن تيمية وتلميذه ابن القيم . وإن من المساهمة في دحض فرية المبتدعة السابقة نشر عقائد علماء السلف السابقين لابن تيمية وابن القيم ليتضح لكل منصف أن ابن تيمية وابن القيم ليسا مبتدعين بل متبعين وأنهما لم يأتيا بجديد في عقيدة السلف لأجل هذا وغيره كان اختياري لهذا الموضوع لكي أتقدم به لرسالة ماجستير إلى فرع العقيدة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة والإمام ابن قتيبة عاش في القرن الثالث الهجري فهو متوفى عام ٢٧٦ هـ وقد رد على المبتدعة بنحو ورد ابن تيمية وابن القيم كما يتضح للقارئ من ثانيا البحث

= بالمكتبة الظاهرية بدمشق ونقل طرقات منها الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة الخطيب البغدادي .

(١) انظر هذه الأقوال في مقدمة مختصر العلل للاباني ٣٩ - ٦٩ .

فكيف يقال بعد هذا أن مذهب السلف لم يوضحه توضيحاً كاملاً إلا ابن تيمية المتوفى في القرن الثامن الهجري وتلميذه ابن القيم . بل كيف يقال أن السلف لم يكونوا يفهمون معاني نصوص الصفات وأنهم يؤمنون بألفاظ جوفاء !!! لو لم يفهموا معانيها لما ردوا على المبتدعة فهمهم المدخول وهذا ما لا يعقل !!

إن توضيح عقيدة السلف الصالح من الكتاب والسنة ومن كتبهم وأقوالهم من ضروريات الدعوة إلى الله تعالى لا سيما في هذا العصر الذي تقوم فيه معظم جامعات العالم الإسلامي بتدريس العقيدة على منهج الفرق المبتدعة القائم على علم الكلام والفلسفة وتحكيم العقل البشري القاصر في نصوص الوحي المعصوم . وحتى الجامعات التي تتبنى تدريس العقيدة على مذهب السلف نظرياً فإن أغلب أساتذتها قد تلقوا علومهم على منهج الفرق المبتدعة . إنه بإلقاء نظرة على ما تقذفه المطابع في الأسواق في هذا العصر من المؤلفات التي تسيء إلى عقيدة السلف يتضح بجلاء ضرورة الاجتهاد في توضيح الحق للناس كاملاً وضرورة نشر مؤلفات علماء السلف قديماً وحديثاً وما أحوج شباب الصحوة الإسلامية اليوم إلى تصحيح عقائدهم وتطهير صفوفهم من البدع لكي ينصرهم الله على عدوهم فإن البدعة من أكبر أسباب الفشل والفرق . لذا فإنه من الواجب على كل مسلم أن يساهم بجهده في توضيح العقيدة ونشرها والذفاع عنها بكل ما يستطيع لكي تقوم حجة الله على عباده ولكي ينقذ الله من النار أقواماً لبس عليهم أهل البدعة طريق الحق . وليس منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم مقتصراً على التوضيح النظري للعقيدة بل من صميم منهجهم حمل السيوف إلى مشارق الأرض ومغاربها داعين إلى عقيدتهم ومزيلين الطواغيت وأئمة الكفر من طريقها ناشرين لعدلها وحكمها على الناس فعلى دعاة السلف اليوم ألا يقتصروا على شرح العقائد النظرية فقط بدون الاستعداد للجهاد فإن هذا انحراف عن منهج السلف فالحق الأعزل لا تقبله كثير من النفوس قال الله تعالى : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض

لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز^(١) . ويقول ﷺ : « بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم »^(٢) .

ويقول ابن القيم رحمه الله :

فما هو إلا الوحي أوحى مرهف يقيم صباه أخدعي كل مائل
فهذا شفاء الداء من كل عاقل وهذا دواء الداء من كل جاهل^(٣)
ويقول آخر :

دعى المصطفى دهرًا بمكة لم يجب وقد لان منه جانب وخطاب
فلما دعى والسيف صلتاً بكفه له أسلموا واستسلموا وأنابوا
نسأل الله سبحانه أن يعلي كلمته وينصر حزبه وأن يبصر المسلمين
بدينهم ويرزقهم حسن فهمه والعمل بمقتضاه واتباع السلف الصالح في
فهمه وجهاده إنه على كل شيء قدير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب
العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ونستغفر الله عن
الزلل والتقصير .

علي بن نفع بن نافع العلواني

(١) الحج آية ٤٠ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٩٢/٢ .

(٣) هداية الحيارى ص ١٠ .

بعض أقوال مشاهير العلماء في الإمام ابن قتيبة

- الخطيب البغدادي قال عنه : [وكان ثقة ديناً فاضلاً] .
- أبو محمد بن حزم قال عنه : [ثقةٌ في دينه وعلمه] .
- الحافظ أبو طاهر السلفي قال عنه : [ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة] .
- الحافظ الذهبي قال عنه : [الإمام العالم وهو وعاء من أوعية العلم] .
- شيخ الإسلام ابن تيمية قال عنه : [من أهل السنة وهو خطيب أهل السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة] .

الباب الأول

عَصْرُ ابْنِ قُتَيْبَةَ

- المبحث الأول : الناحية السياسية .
- المبحث الثاني : الناحية العلمية .
- المبحث الثالث : الناحية الاجتماعية .

المبحث الأول الناحية السياسية

إن كل إنسان يتأثر بالعصر الذي يعيش فيه وبالبئة التي يسكن فيها غالباً فكان لزاماً عليّ دراسة عصر ابن قتيبة وهي الفترة من ٢١٣ هـ تاريخ مولده إلى ٢٧٦ هـ تاريخ وفاته . أي من عهد الخليفة العباسي المأمون إلى عهد المعتمد . وهذه الفترة تشتمل على جزء من العصر العباسي الثاني الذي وسم بعصر الفوضى العسكرية في الخلافة العباسية^(١) .

وعند دراستي للمصادر التاريخية لتلك الفترة تجمع عندي كثير من النصوص التي تصور خلفاء بني العباس بأنهم وحوش ضارية لا هم لهم إلا جمع المال واقتناء الجواري والفتك بالمعارضين ومجالسة الندماء وإغداق الأموال على سفلة الناس من المغنين والملهين ومعاقرة الخمر والتخبط في السياسة بمجرد الهوى والشهوة لا بالرجوع إلى الشرع الحنيف . وكثير من النصوص التي تبين أنهم يعظمون أمر الله ويعظمون العلماء ويصلون بالناس أئمة ويخطبون بهم في الجمع والأعياد ويقودون الجيوش لمحاربة الكفار ونشر الإسلام وإنهم يكثررون من البكاء من خشية الله تعالى وإنهم يقيمون حدود الله بدون مجاملة إلى غير ذلك فوقعت في حيرة من الأمر . ويتمحيص

(١) كتب الدكتور فاروق عمر مؤلفاً بعنوان « الفوضى العسكرية في الخلافة العباسية » فراجع ان شئت .

النصوص وموازنتها واستنطاق الحوادث ظهر لي ما يلي :

(١) أن تصوير خلفاء بني العباس بتلك الصورة المزرية الهزيلة أغلبه من وضع الشيعة والشعوبيين الذين يحملون ضغينة على بني العباس . يقول الشيخ محب الدين الخطيب : « تاريخ بني أمية وبني العباس كتبه وأذاع الروايات عن أخباره مؤلفون أكثرهم من الشيعة والشعوبية فأفسدوا على هذه الأمة تاريخها وشوهوا محاسن ماضيها »^(١) . كما أن تصويرهم بأنهم بررة أتقياء من صنع حواشيهم وصنائعهم الذين يمدون أيديهم إلى الخلفاء بالاستجداء وألستهم بالمدح الكاذب .

(٢) لو كان حال خلفاء بني العباس كحال الخلفاء الراشدين لما امتلأت كتب التاريخ والأدب بذكر طرف من فسقهم وفجورهم ولم يذكر ذلك عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وكان في عصره شيعة وكذابون غير أن عدله طبق الآفاق فلا تقبل عليه الأكاذيب فلو كانت حال خلفاء بني العباس كحال أو قريباً منها لما راجت عليهم هذه الروايات - وإن كان مبالغاً فيها - فإن كثرة الأخبار وورودها من طرق مختلفة دليل على أن لبعضها نصيباً من الصحة وإن كان الناس في بعض الأحيان يصغرون الكبير ويكبرون الصغير نتيجة لأهواء ومؤثرات معينة والذي أرجحه أن خلفاء بني العباس عندهم إنحراف في الحكم والإدارة والسلوك الشخصي باستثناء الرشيد^(٢)

(١) هامش (ص ١٨٢) من مختصر منهاج السنة للذهبي بتحقيق محب الدين الخطيب .

(٢) الرشيد : هو هارون أبو جعفر بن المهدي محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . استخلف بعهد أبيه بعد موت أخيه الهادي ليلة السبت الأربع عشرة بقيت من ربيع الأول سنة ١٧٠ هـ وقد حدث عن أبيه وجده ومبارك بن فضالة وكان من اميز الخلفاء واجل ملوك الدنيا وكان كثير الغزو والحج . وكان يحب العلم واهله ويعظم حرمان الاسلام ويغض اعداء الدين والكلام في معارضة النص وبلغه عن بشر المريسي القول بخلق القرآن فقال لمن ظفرت به لاضرربن عنقه وكان يبكي على نفسه وعلى اسرافه وذنوبه سيما اذا وعظ . قال عنه الذهبي رحمه الله اخبار الرشيد يطول شرحها ومحاسنه جمة وله أخبار في اللهو =

والمهتدي^(١) فقد عرفا بتقواهما وجهما الشديد للخير - وإن كان بعض الخلفاء أقل انحرافاً من غيره لا سيما أوائل الخلفاء العباسيين وهذه الانحرافات هي التي جعلت بعض علماء السلف في ذلك الوقت يظهرن النكير عليهم ويعتزلون ولاياتهم ومع هذا فقد كانت الصبغة العامة للدولة صبغة إسلامية فالجهاد قائم وشرع الله مطبق بين الناس وولاء المسلمين لبعضهم والفضيلة منتشرة والرذيلة مقموعة غالباً والحكم للغالب والله أعلم بالصواب .

ولا يفوتني وأنا أكتب في الناحية السياسية في العصر العباسي أن أبين بعض الأخطاء التي وقع فيها الخلفاء العباسيون . فإن الثمرة التاريخية هي معرفة الخطأ لينتجب والصواب ليعمل به . ومن هذه الأخطاء على سبيل المثال :

(١) توارث الحكم كما تتوارث التركة المالية بدون الرجوع إلى رأي أهل الحل والعقد من المسلمين مما نتج عنه ولاية من لا يصلح للولاية من الفسقة وأصحاب المجون وهذا الطريق ليس هو الطريق الصحيح للخلافة ولم ينتهجه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم وأرضاهم .

(٢) ولاية العهد لأكثر من شخص وهذا الخطأ كان له التأثير البالغ على الأمويين حيث سبب التنافر والخلافات وعدّه المؤرخون من أسباب سقوط الخلافة الأموية^(٢) . ووقع فيه العباسيون من بداية عهدهم حيث

واللذات المحظورة والغناء سامحه الله . توفي الرشيد في ثالث جمادي الآخرة سنة ١٩٣هـ وله ٤٥ سنة . انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٢٨٢) .

(١) المهتدي هو محمد أبو اسحاق وقيل أبو عبد الله بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد ببيع بالخلافة لليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٥هـ وكان ورعاً متعبداً عادلاً قوياً في امر الله قال الخطيب لم يزل صائماً منذ ولي إلى ان قتل . قتله الجنود الأتراك سنة ٢٥٦هـ رحمه الله رحمة واسعة . انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٣٦١) .

(٢) محاضرات تاريخ الامم الإسلامية لمحمد الخضري (ص ٥٢) .

عهد السفاح في سنة ١٣٦ هـ بولاية العهد لأخيه أبي جعفر ثم من بعده لعيسى بن موسى^(١) فلما ولي الخلافة أبو جعفر المنصور حمل عيسى بن موسى على التنازل عن الخلافة لابنه المهدي بالتهديد والإكراه^(٢) ثم عهد المهدي بعد توليه الخلافة بولاية العهد لإبنه الهادي والرشد فلما ولي الخلافة الهادي حاول عزل الرشد فامتنع الرشد فتوفي الهادي قبل أن يتم له ذلك ويقال أنه سمَّ لأجل ذلك^(٣) ولكن هارون الرشد لم يأخذ العبرة من محاولة قتل أخيه له لأجل ولاية العهد فبايع بولاية العهد لابنه محمد ولقبه الأمين وعمره خمس سنوات ثم بايع لابنه عبد الله ولقبه بالمأمون وولاه ممالك خراسان ثم بايع لابنه القاسم من بعد الأخوين وولاه الجزيرة والشغور وهو صبي^(٤).

(٣) إنفاق الأموال من بيت مال المسلمين في غير وجه شرعي ولغير التأليف على الإسلام فكان الخلفاء العباسيون لا يخرجون أن يعطوا شاعراً من الشعراء مائة ألف دينار فخالقوا بذلك الهدي النبوي الذي يأمر بأن يحثي في وجوه المداحين التراب واستبدلوا التراب بالذهب والأمثلة على هذا لا تكاد تحصى وهي مشهورة في كتب التاريخ والأدب . منها على سبيل المثال ما روي من أن الشاعر علي بن الجهم قال في مدح المتوكل :

بسر من رأى أمام عدل تغرف من بحرهِ البحار
الملك فيه وفي بنيهِ ما اختلف الليل والنهار
يرجى ويخشى لكل أمر كأنه جنة ونار

-
- (١) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية لمحمد الخضري (ص ٥٢) .
(٢) المصدر السابق (ص ٨٩) وقارن بما في (ص ٣٠٩) من دولة بني العباس لشاكر مصطفى .
(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٢٨٠) .
(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٢٩٠) .

فأعطاه على هذا المديح درتين نفيستين قيمة كل درة مائة ألف درهم^(١) والبيت الأخير من هذه القصيدة إن لم يكن لقائله تأويل فهو كفر بالله العلي العظيم فإنه سبحانه هو الذي يرجى ويخشى لكل أمر وبدلاً من أن يستتاب هذا الشاعر الخبيث لأجل هذا الكلام الفاحش يُعطى الأموال الطائلة . . نعوذ بالله من الخذلان وغلبة الهوى .

(٤) إعتد أغلب خلفاء بني العباس في ولاياتهم على الأعاجم الذين لم تكن لهم سابقة في الإسلام ولا عرف عنهم من حسن التقوى والعمل الصالح ما يحمل على توليتهم وكان الأجدر بهم أن يجعلوا الولايات في أهل الصلاح والتقوى لأن الولاية أمانة ومن تضييع الأمانة إسنادها إلى غير أهلها ويفسر أغلب المؤرخين سبب تقديم العباسيين لعلوج الأعاجم على المشاهير من العرب المسلمين بأن الدعوة العباسية كانت في بلاد الفرس وهم الذين وطدوا سلطان خلفاء بني العباس ثم لما حصل النزاع بين الأمين والمأمون استعان المأمون بالفرس على الأمين فكان انتصاره سبباً لتقريب الفرس وإعطائهم المناصب العالية في الدولة^(٢) . يقول ابن كثير : « لما بويع للمأمون بالخلافة ولي الحسن ابن سهل (وهو من الأعاجم) نيابة العراق وفارس والأهواز والكوفة والبصرة والحجاز واليمن وبعث نوابه إلى هذه الأقاليم »^(٣) .

فانظر إلى كثرة الأقطار التي تولى عليها شخص واحد لكونه صاحب حظوة عند الخليفة . . وقد كان لتحكم الأعاجم في أمر الدولة العباسية ضرره البالغ إذ نشأت حركات معادية للإسلام والمسلمين تنال التأييد والحماية من أولئك الأعاجم الذين تبوأوا المراكز العالية في

(١) العصر العباسي الثاني لشوقي ضيف (ص ٢٥٧) .

(٢) انظر الشعبية وأثرها (ص ٧٩) وما بعدها والعصر العباسي الأول لشوقي ضيف (ص ٢٣) وما بعدها .

(٣) البداية والنهاية (١٠ : ٢٤٤) .

الدولة ومن تلك الحركات حركة الزنادقة وحركة الشعوبيين وهما الحركتان اللتان كان لهما التأثير البالغ في إفساد المعتقدات والآداب الإسلامية مما جعل ابن قتيبة رحمه الله تعالى يقضي شطراً من عمره في فضح معتقداتهم وتحذير المسلمين من شرهم كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

ويمكنني الآن تصنيف العصر العباسي إلى ثلاث مراحل :

(١) مرحلة تكوين الدولة العباسية ونشر مذهب أهل السنة والجماعة من عهد السفاح إلى آخر عهد هارون الرشيد على ما في هذه المرحلة من أخطاء في الحكم والإدارة .

(٢) مرحلة نشر مذهب الاعتزال وطغيان ترجمة كتب الأمم الأخرى مع الإحتفاظ بقوة الدولة الإستبدادية وذلك في عهد المأمون والمعتصم والواثق .

(٣) مرحلة تغلب القواد الأتراك على الخلفاء وانكماش مذهب الاعتزال وذلك من عهد المتوكل إلى عهد المعتمد .

أما ما بعد هذه المراحل فلا يعنيها هنا لأن ابن قتيبة رحمه الله توفي سنة ٢٧٦ هـ في عهد المعتمد . وكان السبب في سيطرة الأتراك هو المعتصم حيث أن أمه تركية والأتراك فيهم شدة وبأس في القتال وكان المعتصم يعرف فيهم هذه الصفات فاصطفى أكابر قواده منهم كأشناس وإيتاخ ووصيف^(١) فلما تولى الخلافة المتوكل قمع أهل الاعتزال وحاول التخلص من القواد الأتراك فكانت منيته على أيديهم بالتآمر مع ابنه المنتصر الذي لم يدم في الخلافة طويلاً وبعض المؤرخين يقول أن الأتراك دسوا له ما يقتله^(٢) . وفي خلافة المعتز بن المتوكل هجم

(١) الطبري (٩ : ١٢٢) .

(٢) تاريخ عصر الخلافة العباسية ليوسف العشي (ص ٩٢) وما بعدها .

الأتراك على القصر وأخذوا الخليفة ووضعوه في الشمس فوق الرمال الحارة يرفع رجلاً ويضع أخرى وأخذوا يضربونه بالدبابيس ثم أرغموه على أن يتنازل عن الخلافة لابن الواثق الذي لقبوه بالمهتدي^(١) وقد أظهر المهتدي بعد توليه الخلافة من الورع والصلاح ما جعل الناس يشبهونه بعمر بن عبد العزيز إلا أن الأتراك لم يعجبهم هذا العدل لأنهم لم يألفوه فقتلوه وأحضروا أحمد بن المتوكل فبايعوه بالخلافة ولقبوه بالمعتمد^(٢).

وقد أثار هذا التصرف من الأتراك سخط الناس وغضبهم حتى قال أحد الشعراء في وصف تلك الحال :

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قال له كما تقول البيغا^(٣)

على أن الخلافة العباسية أخذت تستعيد نفوذها قبل نهاية عهد الخليفة المعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩) بسبب تولي أخيه الموفق قيادة الجيش فاستطاع أن يحد من نفوذ الأتراك كما تمكن من إخماد ثورة الزنج وقتل زعيمهم فأعاد إلى الخلافة العباسية شيئاً غير قليل من هيبتها^(٤). وقد كان هذا الضعف في بعض خلفاء بني العباس وسيطرة الأعاجم عليهم وانغماسهم في الترف واللهو والمجون وما سبقه ورافقه من عوامل سبب في كثرة الانفصالات عن الدولة العباسية واستقلال بعض الأسر المشهورة بكثير من الأقاليم ولم يعد للعباسيين من الأمر في تلك الأقاليم سوى الدعاء لهم يوم الجمعة والعيد في الخطبة ونزراً يسيراً من الهدايا ومن تلك الأسر التي استقلت :

(١) المصدر السابق (ص ١٠٧) .

(٢) تاريخ عصر الخلافة العباسية ليويسف العشي (ص ١٠٨) .

(٣) ابن قتيبة للذكور محمد زغلول (ص ٩) .

(٤) انظر الطبري (٧ : ٥٧٥) ، كتاب قرامطة العراق لمحمد عبد الفتاح (ص ١٢٩) .

- (١) الأارسة في مراكش من عام ١٧٢ هـ إلى ٣٧٥ هـ .
- (٢) الأغالبة في تونس وما حولها من عام ١٨٤ هـ إلى ٢٩٦ هـ .
- (٣) الطولونيون في مصر من عام ٢٥٤ هـ إلى ٢٩٢ هـ .
- (٤) الإمارة اليمنية في اليمن من عام ٢٤٧ هـ إلى ٣٤٥ هـ .
- (٥) العلويون في طبرستان من ٢٥٠ هـ إلى ٣١٦ هـ .
- (٦) الطاهريون في خراسان من ٢٠٥ هـ إلى ٢٥٩ هـ .
- (٧) الصفاريون في فارس من ٢٥٤ هـ إلى ٢٩٠ هـ .
- (٨) السامانيون في بلاد ما وراء النهر من ٢٦١ هـ إلى ٣٨٩ هـ^(١) .

وقد عاش ابن قتيبة رحمه الله هذه الفوضى وهذه الإضطرابات إبان ضعف الخلافة العباسية وقد تولى لهم بعض الولايات كولاية القضاء وكان يكتب لهم وينصحهم في بعض الأمور كما سيأتي إن شاء الله تعالى . والله تعالى أعلم .

(١) انظر الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية لفاروق عمر (ص ٢٤٤ ، ٢٤٥) .

المبحث الثاني

الناحية العلمية

إن العصر الذي عاش فيه ابن قتيبة يعتبر من أزهر عصور الإسلام في الناحية العلمية وذلك لأننا إذا ألقينا نظرة على علماء ذلك العصر نجدهم الدعامات الأساسية للعلوم المختلفة وأغلب المؤلفين عالة على ما كتب في ذلك العصر إلى اليوم . فإن عمدة المفسرين ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ ألف تفسيره العظيم في ذلك العصر وألف تأريخه الشهير الذي لا يستغني عنه باحث في التاريخ وأشهر الكتب في الحديث ألف في ذلك العصر وهي صحيح البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ وسنن أبي داود المتوفى سنة ٢٧٥هـ والجامع للترمذي المتوفى سنة ٢٧٩هـ وسنن النسائي المتوفى سنة ٣٠٣هـ ومصنف ابن أبي شيبة المتوفى سنة ٢٣٥هـ ، ومسند أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ وانتشرت في عصر ابن قتيبة مذاهب الأئمة الأربعة ومذهب علي بن داود الظاهري المتوفى سنة ٢٧٠هـ^(١) .

ومن علماء اللغة العربية ابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٣هـ وابن الأعرابي سنة ٢٣١هـ وثعلب سنة ٢٩١هـ وأبو عثمان المازني المتوفى سنة ٢٤٩هـ وأبو حاتم السجستاني المتوفى سنة ٢٥٠هـ ، وأبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٣هـ ، والمبرد المتوفى سنة ٢٨٥هـ .

(١) انظر العصر العباسي الثاني لشوقي ضيف (ص ١٦٤) وما بعدها .

ومن علماء التاريخ والجغرافيا البلخي المتوفي سنة ٣٢٢هـ ، واليعقوبي المتوفي سنة ٢٨٤هـ .

ومن علماء الطب ابن ماسويه المتوفي سنة ٢٤٣هـ وأبو بكر الرازي المتوفي سنة ٣١١هـ^(١) . وغير هؤلاء من فطاحل العلماء من لا يحصون كثرة ولا شك أن عصرراً أنجب هؤلاء لهو من أرقى عصور المعرفة وقد بلغت الترجمة أوج قوتها في هذا العصر فقد ترجمت معظم علوم الأمم السابقة من نافع وضار الى العربية وتبنى هذه الترجمة الخلفاء والوزراء ومشاهير الدولة في ذلك العصر فقد روي أن المأمون كان يعطي المترجم حنين ابن إسحاق من الذهب زنة ما ينقله الى العربية مثلاً بمثل^(٢) . وقد كان من هذه الكتب المترجمة سماً زعافاً أضر بالمسلمين في دينهم وأخلاقهم أيماً أضرار كما كان منها ما هو نافع ومفيد في علوم الطب والصناعات .

والناظر في مؤلفات ابن قتيبة يعلم أنه ذو اطلاع واسع على ثقافات عدة فهو ينقل في كتبه من أخبار الأمم السابقة وطرائفها وآدابها ما يدل على أنه اطلع على الكتب المترجمة واستفاد منها وعرف غنها وسمينها حيث انتقد من تأثروا بها في باب الاعتقادات والآداب كما يظهر من كتابه تأويل مختلف الحديث ومن مقدمة كتابه أدب الكاتب .

ومما ساعد على دفع الحركة العلمية في عصر ابن قتيبة الى الأمام تفرغ العلماء فإن حركة الفتوح قد خفت في هذا العصر ولم يعدوا الأمر تأديب الروم إذا اعتدوا ثم عقد المصالحة والمهادنة معهم . . أما ما ينشأ من ثورات في أكثر الأقاليم في ذلك العصر فلم يكن للعلماء غالباً فيها اشتراك فإن أغلب أصحابها مسلمون يثرون على الدولة العباسية لظلم يقع عليهم أو لطلب منصب أو ولاية يدل على هذا أن الإمام مالك لما سأله الناس عندما خرج محمد بن عبد الله النفس الزكية بالمدينة وخرج أخوه إبراهيم بالعراق على

(١) انظر كتاب ابن قتيبة الناقد الاديب للجندي (ص ٨٢) وما بعدها .

(٢) ابن قتيبة الناقد الاديب للجندي (ص ١٣) .

الدولة العباسية قال : « إن كان الخروج على مثل عمر بن عبد العزيز لا يجوز وان لم يكن على مثله فدعهم ينتقم الله من ظالم بظالم ثم ينتقم الله من كليهما » (١) .

وكان لتفرغ العلماء هذا أثره الطيب في إثراء المكتبة الإسلامية بشتى المصنفات المفيدة . وقد استغل هذه الحركة العلمية الهائلة وما صاحبها من حرية فكرية طائفة من الناس سخروا لحرب الإسلام والتشكيك فيه والنيل من الرعيل الأول ومن بعدهم من العلماء الصالحين فكان لزاماً على العلماء المخلصين في هذا العصر أن يظلوا كيد أولئك ويحموا عوام المسلمين من شرورهم فكان هذا دافعاً للحركة العلمية إلى الأمام فإن جانباً عظيماً من المكتبة الإسلامية في ذلك العصر قد خصصت لرد الإفتراءات وبيان بطلانها وانتقاد أصحابها . وقد ساهم ابن قتيبة في هذا المضمار مساهمة فعالة ودافع عن الإسلام ضد هجوم الزنادقة والشعوبية والجهمية والرافضة وغيرهم ممن خالف الطريق المستقيم سواء كان عن إجهاد وحسن نية أو عن مكر وخبث طوية ومما ساعد على إنتشار الحركة العلمية أيضاً صناعة الورق التي تمت على يد هارون الرشيد وانتشار الوراقين في الأسواق وأصحاب المكتبات الذين يؤجرون مكاتبهم للإطلاع على محتوياتها بأجرة قليلة فصار من لا يستطيع إقتناء الكتب لفقره يستطيع أن يطلع عليها في المكاتب ودور الوراقين . ولا ننسى ما للمسجد من دورٍ عظيمٍ في نشر العلم والمعرفة في ذلك العصر فقد كانت المساجد على كثرتها مفتحة الأبواب وفيها حلق العلم والدروس في شتى الفنون والتخصصات فالمسجد في ذلك الوقت أشبه بجامعة . إذ تجد حلقة في طرف المسجد يدرس فيها الحديث وعلومه وقريباً منها حلقة فيها عالم يدرس التفسير وفي أخرى الفقه وفي أخرى الأصول والعقائد وهكذا لذا نجد أكثر علماء العصر موسوعات علمية في فنون شتى

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية لابي زهرة (١ : ٥١) .

ومن هؤلاء ابن قتيبة رحمه الله تعالى ، فإنه أتقن فنوناً جمّة فألّف في تفسير القرآن وألّف في الحديث وفي العقائد وفي الشعر وفي اللغة وفي النقد والأدب وفي التاريخ وفي الفلك الى غير ذلك . وإضافة الى ما سبق فإن مما ساعد على تقدم الحركة العلميّة تشجيع الخلفاء والوزراء للعلم والعلماء فهم يعطونهم العطاء السخي ويبالغون في إكرامهم غالباً وكثيراً ما تكون مجالس الخلفاء والوزراء كندوات عامة تجري فيها المناظرة والمناقشة واستظهار الأدلة . لذا اتجه الناس اتجاهاً حقيقياً للعلم لأنه لا مكان لجاهل بين أمة متعلّمة^(١) .

ويقول العقاد في وصف عصر ابن قتيبة: «... ان كان لكل دولة أوان للبذور وأوان للنماء وأوان للحصاد فالقرن الثالث للهجرة كان أوان النماء للدولة العباسية جاء بعيد التمهيد وقبيل النضج والذبول ففيه نما وأزهر كل ما بذره مؤسسوا الدولة من جراثيم الخير والشر وعناصر الصلاح والفساد وكانت الدولة في إبانها أشبه شيء بالمرج الأخضر الذي ينمو فيه الحب والفاكهة والشوك والعشب المسموم . خضرة زاهية نضرة ولكنها وسيمة شائثة ومصلحة مهلكة ومرجوة مخشية ومختلط فيها السم والغذاء فهو العصر الذي بلغ كل شيء فيه أقصاه وأثمر كل عمل فيه نتاجه المحتوم أثمر فيه الخطأ كما أثمر فيه التوفيق وظهر فيه ما قدموا صالحاً او طالحاً على السواء فبدأ بالتمام وبدأ بالنقص في حين واحد واجتمع الخليط من حضارات العرب والفرس والروم»^(٢) .

وما ذكره العقاد هو عين الصواب فإنه في هذا العصر بلغت علوم الشريعة من دراسات قرآنية وحديثية أو عزّها كما أسلفت وكذلك علوم

(١) انظر العصر العباسي الأول لشوقي ضيف (ص ٩٨ - ١٣٨) ، وقارن بما في العصر العباسي الثاني له ايضاً (ص ١١٥ - ١٦٠) وقارن ايضاً بما كتبه يوسف العشي في تاريخ عصر الخلافة العباسية (ص ٢٢٣ - ٢٤٧) .

(٢) (ابن الرومي للعقاد (ص ١٠) .

الإجتماع والفلك والطب والآداب كما ظهرت شتلات الشر أمام أعين الناس من زنادقة وشعوبية وقرامطة وفلاسفة لبسوا على الناس أمر دينهم باسم العلم والبحث وجنى المسلمون ثمار الترجمة لكل ما هب ودب مرأً علقماً في شتى مجالات الحياة .

أما الناحية الإعتقادية فإنه منذ أواخر عهد الخلفاء الراشدين بدأت تظهر بعض الآراء الإعتقادية المخالفة لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من ذلك آراء عبد الله بن سبأ وآراء الخوارج وبعد ذلك آراء القدرية وقد أنكر الصحابة هذه الآراء وبيّنوا مخالفتها لعقيدة الإسلام الصافية^(١) . وهذه الآراء المخالفة لما عليه الصحابة هي النواة الأولى للفرق المتعددة التي عرفت فيما بعد كالشيعة والخوارج والقدرية والمعتزلة والجهمية والمرجئة والتي أصبحت قبل عهد ابن قتيبة وفي عهده لها آراء منظمة تعرف بها وتدافع عنها وتدعو لها .

والناظر في الآراء الإعتقادية التي حدثت في آخر عهد الصحابة وبعد انتهاء عهدهم وتطورت في عصر ابن قتيبة تطوراً ظاهراً يستطيع أن يلخّص الأسباب التي أدت الى ظهورها فيما يلي :

(١) وجود بعض الناقمين على الإسلام داخل الصف الإسلامي إذ دخلوا في الإسلام ظاهراً وأرادوا الكَيْدَ له باطناً فأخذوا يشيعون الأكاذيب والخرافات بحجة الغيرة على الإسلام أو بحجة الأمر بالمعروف وطاغوت هؤلاء هو عبد الله بن سبأ اليهودي الذي تولى كبر الفتنة في عهد عثمان رضي الله عنه وأتى بعقائد فاسدة غريبة عن الإسلام كعقيدة الرجعة وأن علياً وصي النبي صلى الله عليه وسلم^(٢) .

(٢) عدم اقتصار المسلمين على ما في الكتاب والسنة من العقائد كما كان

(١) انظر مجموع الفتاوى (١٠ : ٣٥٨) .

(٢) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة (١ : ٣١) .

الصحابة يفعلون بل استقت الأجيال التالية فلسفة الإغريق ومنطقهم وأساطير الفرس وتصوراتهم وإسرائيليات اليهود ولاهوت النصارى وغير ذلك من رواسب الحضارات والثقافات عندما ترجمت كتب الأمم الأخرى الى اللغة العربية وأقبل أكثر الناس على الكتب المترجمة بدون التمييز بين الغث والسمين واختلط هذا كله بتفسير القرآن الكريم وعلم العقائد والفقه والأصول مما نتج عنه اختلاف الناس في باب العقائد ونشوء الفرق الاعتقادية^(١) .

(٣) انتشار الفتح الإسلامي في بقاع كثيرة ودخول أهلها في الإسلام وهم يحملون كثيراً من رواسب الجاهلية ولم ينالوا من التربية الإسلامية على العقيدة الصحيحة مثل ما نال الرعيّل الأول من الصحابة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لكثرتهم وانشغال الفاتحين بالحروب والفتوح الجديدة فأخذ هؤلاء المسلمون الجدد في بث ما لديهم من ثقافات ورواسب من الجاهلية ظناً منهم أنها لا تتعارض مع الإسلام مع العلم أن الثقافة المنبثقة من تصورات جاهلية لا تصلح أن تكون مرتكزاً للعقيدة الإسلامية^(٢) .

وقد أتى ابن قتيبة الى الحياة والفرق الإسلامية كالخوارج والشيعة والمعتزلة والمرجئة والقدرية والجهمية قد انتشرت أفكارها بين الناس وقد عرف الناس دعائها وما يتعلقون به من أدلة وقد كان للمعتزلة في عهده صولة وجولة اذ تبنى الاعتزال ثلاثة من خلفاء بني العباس هم المأمون والمعتصم والواثق وحملوا الناس على اعتناقه بقوة السلطان وكذلك الزنادقة فقد كان لهم في عصر ابن قتيبة نشاط ظاهر وكانوا يلونونه في اشكال مختلفة فتارة في شكل ثورات سياسية كثورات الزنج والإفشين وتارة في نشر المجون المفسدة

(١) معالم في الطريق لسيد قطب (ص ١٤) .

(١) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة (١ : ١٣) وقارن بما كتبه سيد قطب في معالم في الطريق وخصائص التصور الإسلامي عن تقرير هذه الحقيقة .

للاخلاق وتارة في نشر الآراء المتطرفة المفسدة للعقائد وتارة في وضع الأحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أقرّ زنديق أمام المهدي بأنه وضع مائة حديث تجول في أيدي الناس ولما قدم عبد الكريم بن أبي العوجاء للقتل إعترف بأنه وضع أربعة آلاف حديث^(١) . وقد رأى علماء السلف هذا الخطر الداهم على معتقدات الأمة الإسلامية فأشهروا ألسنتهم وأقلامهم لتعرية الباطل وكشف زيف شبه الأعداء وقد كان في عصر ابن قتيبة ثلة من علماء السلف كان لهم اليد الطولى في بيان الحق والذب عنه وقمع الباطل منهم أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أبي شيبة المتوفى سنة ٢٣٥هـ^(٢) والّف في ذلك كتاب السنة ويحيى بن يحيى بكير بن عبد الرحمن بن يحيى الحنظلي الحافظ المتوفى سنة ٢٢٦هـ^(٣) وأبو عبد الله نعيم بن حماد المروزي المتوفى سنة ٢٢٨هـ^(٤) . وعبد الله بن محمد بن

(١) انظر السنة ومكانتها في التشريع للسباعي (ص ٨٢) .

(٢) هو الإمام الحافظ الشهير بأبي بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن عثمان بن أبي شيبة العبيسي الكوفي . قال الذهبي في تذكرة الحفاظ هو صاحب المسند والمصنف وغير ذلك سمع من شريك بن عبد الله قاضي الكوفة وأبو الأحوص وعبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة وغيرهم وروى عنه أبو زرعة والبخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم قال أحمد أبو بكر صاحب المصنف صدوق هو أحب إلي من أخيه عثمان وقال المعجلي ثقة حافظ قال البخاري مات أبو بكر بن أبي شيبة سنة ٢٣٥هـ . انظر مقدمة كتاب المصنف لابن أبي شيبة (ص ٥) .

(٣) هو يحيى بن يحيى بن بكير بن عبد الرحمن بن يحيى بن حماد التميمي الحنظلي أو زكريا النسابوري روى عن مالك وسليمان بن بلال وخلق كثير وعنه البخاري ومسلم وخلق كثير قال ابن حنبل ما أخرجت خراسان بعد ابن المبارك مثله وكان يسمى ريحانة أهل خراسان مات في آخر صفر سنة ٢٢٦هـ .

انظر تهذيب التهذيب (١١ : ٢٩٧) .

(٤) هو نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك الخزاعي أبو عبد الله المروزي روي عن خلق كثير منهم ابن عيينة وابن المبارك وفضيل بن عياض وروي عنه البخاري مقروناً ومحمد بن يحيى الذهلي ويحيى بن معين وخلق غيرهم قال ابن حنبل كان نعيم كاتباً لأبي عصمة وهو شديد الرد على الجهمية وأهل الأهواء ومنه تعلم نعيم بن حماد وذكره ابن حبان في الثقات وقال ربما أخطأ ووهم مات في السجن في بغداد زمن المحنة بخلق القرآن سنة ٢٢٨هـ . انظر تهذيب التهذيب (١٠ : ٤٦٢) .

عبد الله الجعفي شيخ البخاري المتوفي سنة ٢٢٩هـ^(١) . والإمام أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن راهويه المتوفي سنة ٢٣٨هـ^(٢) والإمام أحمد بن حنبل المتوفي سنة ٢٤١هـ الذي صَنَّف كتاب الردّ على الجهمية والزنادقة والإمام محمد بن إسماعيل البخاري المتوفي سنة ٢٥٦هـ الذي صَنَّف كتاب خلق أفعال العباد والردّ على الجهمية وأبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ الأثرم المتوفي سنة ٢٧٣هـ^(٣) . الذي ألَّف كتاب السنّة وعثمان بن سعيد الدارمي تلميذ يحيى بن معين المتوفي سنة ٢٨٠هـ^(٤) الذي ألَّف كتاب الرد على الجهمية وكتاب الرد على بشر المريسي وأبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة المتوفي سنة ٣١١هـ^(٥) الذي ألَّف كتاب التوحيد وغير هؤلاء كثير وكلهم قد

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر الجعفي البخاري المعروف بالمسندي روى عن ابن عيينة وعبد الرزاق وخلق كثير وروى عنه البخاري ومحمد بن نصر المروزي وغيرهم ذكره ابن حبان في الثقات وقال كان متقناً وقال أحمد بن سيار من المعروفين بالعدالة والصدق صاحب سنة عرف بالاتقان والضبط مات سنة ٢٢٩هـ .

انظر تهذيب التهذيب (٦ : ٩) .

(٢) ستأتي ترجمته في شيوخ ابن قتيبة .

(٣) هو أحمد بن محمد بن هانئ الطائي أبو بكر الأثرم البغدادي روى عن أحمد بن حنبل وتفقه عليه وسأله عن المسائل والعلل وغيره وروى عنه النسائي وموسى بن هارون والبيهقي . قال إبراهيم بن أورمة الأثرم أحفظ من أبي زرعة وأتقن وقال الخلال كان معه يقيظ عجيب جداً . مات سنة ٢٧٣هـ .

انظر تهذيب التهذيب : (١ : ٧٩) .

(٤) هو الإمام أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي السجزي الحافظ صاحب التصانيف . روى عن سليمان بن حرب وطبقته وكان جذعاً وقذى في أعين المبتدعة قيماً بالسنة ثقة حجة ثبتاً قال يعقوب بن إسحاق الفروي ما رأينا أجمع منه أخذ الفقه عن البويطي والعربية عن ابن الأعرابي والحديث عن ابن المديني توفي في ذي الحجة سنة ٢٨٠هـ . قال الأسنوي هو أحد الحفاظ الاعلام طاف البلاد في طلب الحديث وصنف المسند الكبير .

انظر شذرات الذهب لابن العماد (٢ : ١٧٦) .

(٥) هو امام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري الحافظ صاحب التصانيف شيخ الإسلام ولد سنة ٢٢٢هـ وروى عن علي بن حجر وابن راهويه ومحمود بن غيلان وخلق وعنه البخاري ومسلم في غير الصحيحين وغيرهما رحل الى الشام والحجاز

شرحوا العقيدة السلفية وبينوها للناس وردوا على المخالفين فكان عصر ابن قتيبة بحق من أزهى عصور العلم في شتى المجالات وإن كان فيه خطوط سوداء إلا أنَّ البياض غالب على السواد بفضل الله تعالى ثم بفضل جهود هؤلاء العلماء الذين عايشهم ابن قتيبة وتلمذ عليهم وتلمذ بعضهم عليه والله تعالى أعلم .

والعراق ومصر وتفقه على المزني وغيره قال الحافظ ابو علي النيسابوري لم أرَ مثل محمد بن إسحاق وقال ابن حبان لم يرَ مثل ابن خزيمة في حفظ الاسناد والمتن وقال الدارقطني كان إماماً معدوم النظير وقال الأسنوي في طبقاته صار ابن خزيمة إمام زمانه بخراسان رحلت اليه الطلبة من الأفاق وقال شيخه الربيع إستفدنا من ابن خزيمة أكثر مما استفاد منا . توفي رحمه الله سنة ٣١١ هـ .

انظر شذرات الذهب (٢ : ٢٦٢) .

المبحث الثالث

الناحية الاجتماعية

المجتمع الذي عاش فيه ابن قتيبة يتألف من أجناس مختلفة من عرب و فرس وأتراك وهنود وزنوج وغيرهم جمع بينهم الإسلام - باستثناء أهل الذمة - فخضعوا لرب واحد ولشريعة واحدة ثم لخليفة واحد ومن المعلوم أن اختلاط بشر بهذه الكثافة يكون له من النتائج السلبية والإيجابية الشيء الكثير وقد كان . فمن النتائج الطيبة لهذا التمازج والإجتماع على عقيدة واحدة انتشار الإسلام واشتداد ساعده والتوسع في الفتوح وفي النهضة العلمية والعمارة وفي شتى مجالات الحياة . ومن النتائج السلبية أن بعض من دخلوا في الإسلام لم يتخلصوا كلياً من بعض الأشكال السلوكية والعادات الاجتماعية التي كانوا يمارسونها قبل الدخول في الاسلام فأثروا بها في المجتمع الإسلامي فسرت فيه عادات غريبة في الملبس والمطعم والمشرب بل وفي التعامل والآداب على أنه اندس من بين هؤلاء قوم أظهروا الإسلام وأبطنوا البغض له والكيد وأخذوا على أنفسهم تقويض صرحه الشامخ ونخر أسسه من الداخل وهم لا يتحرجون من إبداء بغضهم هذا عند خاصتهم وإذا تمكن أحدهم لدى الخلفاء وكان له عندهم منزلة واطمأن بأنه لا يناله منهم عقاب أعلن ما يحيك في صدره كما أعلنها صراحة شاعر المتوكل المعروف المتوكلي حيث يقول :

أنا ابن الأكارم من نسل جم وحائز إرث ملوك العجم
وطالب أوتارهم جهرة فمن نام عن حقهم لم أنم
فقل لبني هاشم أجمعين هلموا الى الخلع قبل الندم
وعودوا الى أرضكم بالحجاز لأكل الضباب ورعي الغنم
فأني سأعلوا سرير الملوك بحد الحسام وحرف القلم^(١)

وفي هذه القصيدة يتضح بغض الشاعر لبني هاشم ومطالبته بأن يعود ملك الوثنيين الذي أزاله الله على أيدي المسلمين وما أكثر أمثال هذا الشاعر الذين اندسوا في المسلمين أيام قوة الإسلام وأثروا فيه تأثيراً بالغاً وما موجة الإعتزال والتجهم والرفض والشعبوية إلا نتيجة لدسائس هؤلاء الأعداء الخفيين وقد أدرك المسلمون هذه الحقيقة من قبل عصر ابن قتيبة فأخذوا على عواتقهم حماية الإسلام والمسلمين من شرورهم فقد عين الخليفة العباسي المهدي رجلاً وكَّل إليه أمر الزنادقة سمي صاحب الزنادقة . يقول الطبري في حوادث سنة ١٦٧ هـ وفيها جد المهدي في طلب الزنادقة والبحث عنهم في الآفاق وقتلهم وولى أمرهم عمر الكلواذي^(٢) . ويروي أيضاً في حوادث سنة ١٦٩ هـ بأن الهادي بن المهدي اشتد في طلب الزنادقة فقتل منهم جماعة فكان ممن قتل يزدان بن باذان كاتب يقطين وابنه علي بن يقطين من أهل النهروان وذكر عنه أنه حج فنظر إلى الناس يهرولون في الطواف فقال ما أشبههم إلا ببقر تدوس في البيدر^(٣) .

ويقول في حوادث سنة ١٧١ هـ أن الرشيد في هذه السنة آمن من كان هارباً أو مستخفياً غير نفر من الزنادقة فيهم يونس بن فروة ويزيد بن الفيض^(٤) .

(١) انظر العصر العباسي الثاني لشوقي ضيف (ص ١٠٠) وما بعدها .

(٢) الطبري (١٠ : ٩) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) الطبري (١٠ : ٥٠) .

وقد شارك العلماء في حرب الزنادقة والشعوذية وأهل الأهواء وموجات المجون التي كان يذكي أوارها الزنادقة وفي مقدمة هؤلاء العلماء ابن قتيبة عليه رحمة الله . وسنعرض دور ابن قتيبة في هذا المضممار في المباحث اللاحقة إن شاء الله تعالى .

أما أحوال المعيشية في عصر ابن قتيبة فالناس فيها على ثلاث طبقات كما فصله الدكتور شوقي ضيف^(١) . طبقة عليا وهم الخلفاء والوزراء والقواد والولاء ومن يلحق بهم من الأمراء وكبار رجال الدولة ورؤوس التجار وطبقة وسطى وهم رجال الجيش وموظفي الدواوين والتجار والصناع الممتازين ثم طبقة دنيا وهم العامة من الزراع وأصحاب الحرف الصغيرة والخدم . وكانت الطبقة العليا تفرق في النعيم الذي لم يسبق له مثيل إلا عند أباطرة الروم والفرس ، يدل على هذا ما أنفقه وزير المأمون الحسن بن سهل عندما زوج ابنته بوران للمأمون من الأموال الطائلة يقول ابن كثير : « . . . ونشر عليها أبوها يومئذ وعلى الناس بنادق المسك مكتوب في ورقة وسط كل بندقة إسم قرية أو ملك جارية أو غلام أو فرس فمن وصل إليه شيء ملكه . ونثر ذلك على عامة الناس ونثر الدنانير ونوافج المسك وبيض العنبر وأنفق على المأمون وعسكره مدة إقامته تلك الأيام الخمس ألف ألف درهم فلما ترحل المأمون عنه أطلق له عشرة آلاف درهم وأقطعه فم الصلح وبنى بها في سنة عشر فلما جلس المأمون فرشوا له حصراً من ذهب ونثروا على قدميه ألف حبة جواهر وهناك ثور من ذهب فيه شمعة من عنبر زنة أربعين منا من عنبر . . . »^(٢) .

فإذا كانت هذه الأموال يملكها وزير بل يملك أضعافها أضعافاً كثيرة . لأنه من غير المعقول أنه أنفق أمواله كلها أو حتى نصفها في زواج إحدى بناته . فكم تكون ثروة الخليفة . . إن ثروة الخليفة لا تكاد توصف ولنلق نظرة على قصور المتوكل .

(١) انظر العصر العباسي الثاني (ص ٥٣) وما بعدها .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١١ : ٤٩) .

يقول شوقي ضيف عن المتوكل : « ... وكان كلما بنى قصراً أتبعه بآخر حتى بلغت قصوره نحو العشرين وهي بركوار (دار الهناء) والشاه والعروس والبركة والجوسق والمختار والجعفري والغريب والبديع والصبيح والمليح والشبذاز والقصور والجامع والقلاية والبرج والمتوكلية والبهو واللؤلؤة . وبلغ ما أنفقه على تلك القصور مائتين وأربعة وسبعين مليوناً من الدراهم وكان البرج من أجملها زينة إذ جعل فيه صوراً عظيمة من الذهب والفضة وبركة جعل فرشها ظاهراً وباطناً صفائح الفضة . وألبست حيطان القصر من الداخل والخارج بالفسيفساء والرّخام المذهب ويقال أن نفقة هذا القصر وحده بلغت مليوناً وسبعمائة ألف دينار^(١) .

وإذا كانت هذه قصور الخليفة فكم تكون الضياع والكنوز . . ان هذا يدل على مبلغ الترف الذي وصلت إليه الطبقة العليا في عصر ابن قتيبة كما يدل على سوء تصرف الحكام وأعوانهم في ذلك العصر وأنهم يستغلون أموال المسلمين لمصالحهم الشخصية وإلاً فلماذا الثراء وكثرة الأموال لا تكاد تفارق خليفة أو وزيراً ولا تجد من بينهم متوسط الحال أو فقيرها بعكس حال الرعيّل الأول من الخلفاء الراشدين وولاتهم . وقد كان من مظاهر الترف في عصر ابن قتيبة كثرة الجواري في بيوت أكابر الناس من الحكام وأعوانهم كثرة مفرطة وهن من جنسيات مختلفة وقد كن من أكبر عوامل الإفساد في ذلك العصر لعدم احتشامهن ولاحترافهن الغناء ومغالاتهن في التزين وفتنه الناس . . يقول شوقي ضيف : « ... ومن كن يحسن الغناء فريدة زوجة المتوكل وجاريته محبوبة وقلم الصالحية وشاجي جارية عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد نسب إليها كل ما صنعه من الغناء والأصوات وكانت هناك جماعة كبيرة اشتهرت بالغناء على الطنبور في مقدمتها أبو حشيشة الطنبوري الذي عاش الى عصر المعتمد وسليمان بن القصار الطنبوري وكان المعتر أنيساً به ويقال

(١) العصر العباسي الثاني لشوقي ضيف (ص ٥٥) .

أنه غناه يوماً صوتاً فأعطاه مائة دينار»^(١) . وكما أسرفت الطبقة المترفة في الغناء أسرفت في شرب النبيذ بل تعدته الى أم الخبائث وكثر الحديث عن شرب الخمر في بيوت الخلفاء والوزراء حتى تغنى بذلك الشعراء محبذين شرب الخمر بدون خوف من جبار السموات والأرض . من ذلك قول البحرى قبحه الله إن صح عنه :

أشرب على زهر الرياض يشوبه زهر الخدود وزهرة الصهباء

من قهوة تنسي الهموم وتبعث الشوق الذي قد ضل في الأحشاء^(٢) ومع هذا فإن الطابع العام للمجتمع في عصر ابن قتيبة هو الطابع الإسلامي فسواد الناس متمسكون بالفضيلة لأن الفساد كان مقصوراً غالباً في بيوت السلاطين وأعوانهم ومن تشبه بهم أما عامة المجتمع ففيهم العلماء الأفاضل وفيهم العباد الذين طبقت شهرتهم الآفاق وكان الجهاد قائماً وعدد غير يسير من جيوش المسلمين مرابطة بالثغور تجاهد أعداء الله وترفع راية الله عالية ولم يكن لتلك الطبقة المترفة الفاسدة شأن يذكر في توجيه إقتصاد المجتمع أو تعليمه أو قيمه بل كان ينظر إليهم نظرة إحتقار وازدراء لا نظرة إكبار وإعجاب كما ينظر للعلماء والفضلاء من أهل التقوى والصلاح والله تعالى أعلم .

(١) العصر العباسي الثاني (ص ٨٩) .

(٢) العصر العباسي الثاني (ص ٩٣) .

البابُ المشاني

حياةُ ابنِ قُتيبة

المبحث الأول : اسمه ومولده .

المبحث الثاني : شيوخه .

المبحث الثالث : مكانته العلمية ومؤلفاته .

المبحث الرابع : صلته بحكام عصره .

المبحث الخامس : تلاميذه .

المبحث السادس : وفاته .

المبحث السابع : أقوال العلماء فيه .

المبحث الأول

اسمه ومولده

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المروزي الدينوري^(١) .
وقد ذكرت دائرة المعارف الإسلامية أنَّ كنيته أبو عبد الله وهذا خطأ لا
يعرج عليه لأن ابن قتيبة ذكر نفسه بكنيته كثيراً في كتبه فيقول قال أبو محمد .

(١) انظر ترجمة ابن قتيبة في (ص ٢) من تأويل مشكل القرآن ، (ص ١١) غريب الحديث ،
المعارف (ص ٣٣) ، الميسر والقдах (ص ٨) ، نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا
العلوي للدكتور عبد السلام عبد الحفيظ (ص ٥٠) ، مراتب النحويين لأبي الطيب (ص
١٣٦) ، تهذيب اللغة للأزهري (ص ١٣١) ، طبقات النحويين للزبيدي (١ : ١٨٣) ،
فهرست ابن النديم (ص ١١٥) ، الأنساب للسمعاني (١٠ : ٣٤٠) ، تاريخ بغداد للخطيب
(١٠ : ١٧٠) ، المنتظم لابن الجوزي (٥ : ١٠٢) ، نزهة الالباء لابن الأنباري (ص
٢٠٩) ، وفيات الأعيان لابن خلكان (١ : ٣١٤) ، الكامل في التاريخ (٧ : ٤٣٨) ، اللباب
لابن الأثير (٣ : ١٥) ، دائرة المعارف للبستاني (١ : ٦٤٥) ، الاعلام للزركلي (٤ :
٢٨٠) ، (١ : ٢٤٦) ، من طبقات المفسرين للدواودي ، هداية العارفين للبغدادي (١ :
٤٤١) ، بغية الوعاة للسيوطي (٢ : ٦٣) ، انباه الرواة للقفطي (٢ : ١٤٣) ، ميزان الاعتدال
للذهبي (٢ : ٥٠٣) ، مرآة الجنان للياضي (٢ : ١٩١) ، البداية لابن كثير (١١ : ٤٨) ،
لسان الميزان لابن حجر (٣ : ٣٥٨) ، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٣ : ٧٥) ،
شذرات الذهب لابن العماد (٢ : ١٦٩) ، ضحى الإسلام لأحمد امين (١ : ٤٢٥) ، دائرة
المعارف الإسلامية للمستشرقين (١ : ٣٧٠) ، تذكرة الحفاظ للذهبي (٢ : ١٨٧) ، مرآة
الزمان لسبط بن الجوزي مخطوطة ، تهذيب الاسماء للنووي (٢ : ٢٨١) ، وسير اعلام
النبياء للذهبي (٩ : ١٣٨) ، تاريخ دول الإسلام للذهبي مخطوطة : فتح الباقي شرح الفية
العراقي (٢ : ٢٧٩) ، كتاب ابن قتيبة للدكتور محمد سعد زغلول وابن قتيبة للدكتور
عبد الحميد سند الجندي وابن قتيبة ونقد الشعر لمريس الحارثي (رسالة ماجستير) .

وهو أعلم بنفسه من غيره ولم يذكر أحد من المترجمين له أن كنيته أبو عبد الله غير أصحاب دائرة المعارف فلعله خطأ وقع في الطباعة .

وابن قتيبة ينسب الى جده قتيبة فيقال القتيبي أو القتي . قال السمعاني (والقتبي بضم القاف وفتح التاء وكسر الباء . هذه النسبة الى الجد والى بطن من بأهله . فأما النسبة الى الجد - هو قتيبة - فالمشهور بهذه النسبة أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الكاتب)^(١) .

وقتيبة تصغير قتبة وهي واحدة الأقطاب . والأقطاب الأمعاء^(٢) وقيل القتبة معناها الأكاف التي توضع على ظهر الراحلة^(٣) .

والمروزي نسبة الى مرو العظمي لأن أصله منها^(٤) .
أما الدينوري فنسبة الى الدينور من مدن الجبل قرب قرميسين نسب إليها وهو ليس من أهلها لأنه ولي القضاء فيها فترة من الزمن^(٥) .

ولد ابن قتيبة في سنة ٢١٣ هـ في أواخر خلافة المأمون باتفاق المؤرخين . وقد اختلف المؤرخون له في تعيين الموضع الذي ولد فيه فقال ابن الأنباري وابن النديم وابن الأثير أنه ولد بالكوفة . وقال الخطيب والسمعاني والقفطي أنه ولد في بغداد . وقال سبط بن الجوزي أنه ولد بمرور والله أعلم بالصواب فلم أقف على ما يرجح أحد الأقوال .

وابن قتيبة من أسرة فارسية كانت تقطن مدينة مرو ، وقد أخطأ المستشرق سالم الكرنكوي محقق كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة حيث يقول (ولا ذكروا أعربي النسب هو أم مولى غير أن الذي يشعر به اسم أبيه وجده أنه عربي)^(٦) .

وهذا المستشرق أطلق الكلام جزافاً ولم يثبت كعادة أغلب

(١) الانساب للسمعاني (١٠ : ٣٤٠) .

(٢) مقدمة الميسر والقдах (ص ٨) .

(٣) مقدمة غريب الحديث لابن قتيبة (ص ١٣) .

(٤) المصدر السابق (ص ١١) .

(٥) انظر مواضع ترجمته المتقدمة .

(٦) مقدمة كتاب المعاني الكبير (١ : ٥) .

المستشرقين الذين يبنون أحكامهم على أوهام واستنتاجات باطلة . فقد بين ابن قتيبة أصله فقال : (وسأقول في الشرف بأعدل القول وأبين أسبابه ولا أبخس أحداً حقه ولا أتجاوز به حده . فلا يمنعني نسبي في العجم أن أدفعها عما تدعيه لها جهلتها وأثنى أعنتها عما تقدم إليها سفلتها) (١) .

ومرو العظمى التي منها أسرة ابن قتيبة هي أشهر مدن خراسان وبينها وبين نيسابور سبعون فرسخاً وبينها وبين مدينة مرو الصغرى مسيرة خمسة أيام (٢) . وقد فتح هذه البلاد وما جاورها القائد المسلم قتيبة ابن مسلم الباهلي فطبقت شهرته الآفاق وأحبه أهل تلك المناطق مما جعل بعضهم يتسمون باسمه .

يقول الدكتور عبد السلام عبد الحفيظ (فلعل الجد الثاني لابن قتيبة كان معجباً بهذا البطل العظيم فسمى ولده باسمه على عادة الناس أن يطلقوا أسماء من يعجبون بهم أو يحبونهم على أولادهم أو أحفادهم) (٣) . وهذه قاعدة صحيحة فإننا في هذه الأزمان التي استضعف فيها المسلمون وانبهروا بما عند الكفار من تقدم وحضارة زائفة نجدهم يحاكونهم في الأسماء والألقاب وأنماط السلوك ونجد بعضهم يسمون أولادهم بأسماء المطربين والمطربات والزعماء والزعيمات . فكل محب مشغوف باسم محبوبه وهذه سنة الله في خلقه .

وقد انتقلت أسرة ابن قتيبة إلى الكوفة ثم إلى بغداد أو الى بغداد فقط - على الخلاف المتقدم في ذلك - وشب ابن قتيبة وترعرع في مدينة بغداد وبقي والده حياً حتى أدركه وروى عنه شيئاً من الأحاديث والأخبار كما هو مثبت في كتبه ولكن يبدو أن والد ابن قتيبة ليس من العلماء المشهورين حيث لم أجد ابنه روى عنه إلا النزر اليسير ولم أجد من ترجم له . حتى ابنه لم

(١) رسائل البلغاء . محمد كرد علي (ص ٣٥٦) .

(٢) انظر مرصد الاطلاع لصفي الدين البغدادي (٣ : ١٦٢) .

(٣) نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا (ص ٧) .

يترجم له في كتاب المعارف الذي ترجم فيه لكثير من العلماء . يقول ناصر الدين الألباني - وهو من أشهر علماء الرجال في هذا العصر : « ... مسلم بن قتيبة لم أجد له ترجمة ويبدو أنه مجهول ولا يعرف فقد ترجم الخطيب وغيره لابنه عبد الله بن مسلم بن قتيبة فلم يذكروا في شيوخه والده هذا »^(١) .

وقد خرج ابن قتيبة من بغداد الى الدينور ومكث فيها مدة من الزمن قاضياً فيها وخرج الى مكة المكرمة وقد ذكر هو ذلك فقال : « كنت حضرت يوماً مجلس يحيى بن أكرم بمكة »^(٢) .

ورحل الى نيسابور وما جاورها وأخذ عن علمائها وممن أخذ عنه بنيسابور أحمد بن خالد الضرير^(٣) . ومما لا شك فيه أنه اتصل بعلماء البصرة وأخذ عنهم كثيراً فإن أغلب شيوخه بصريون كما سيأتي .

ولم تذكر المراجع التاريخية شيئاً عن أسرة ابن قتيبة ولا عن عدد أولاده ما عدا ابنه أحمد وحفيده عبد الواحد . فقد ولد ابنه أحمد ببغداد وسمع من أبيه وحفظ تصانيفه كلها وروى عنه أبو القتح المراغي النحوي وعبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي وأحمد بن محمد بن الحسن ابن الغريب وأبو الحسين المهلي وآخرون . وولي قضاء مصر خليفة لمحمد بن الحسن بن أبي الشوارب^(٤) وكان دخوله الى مصر في جماد الآخرة سنة ٣٢١ هـ وركب الى

(١) الأحاديث الصحيحة للألباني (١ : ٢١٢) .

(٢) أمالي المرتضى للشريف المرتضى (٢ : ٦) .

(٣) انظر تهذيب اللغة للأزهري (١ : ٢٤) .

(٤) هو محمد بن الحسن بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ابو الحسن القرشي ثم الأموي ولي القضاء بمدينة السلام والحرمين واليمن ومصر وسمر من رأى ثم صرف عن ذلك في رجب سنة ٣٣٥ هـ وقيل انه كان قبيح الذكر فيما يتولاه من الاعمال منسوباً الى الاسترشاء في الأحكام والعمل فيها بما لا يجوز . مات سنة ٣٤٧ هـ . تاريخ بغداد (٢ : ٢٠٠) .

الجامع في السواد فثار عليه العامة فرجموه ومزقوا سواده ثم ركب بعد ذلك في جماعة من أهل العلم فحكم بين الناس واستكتب ابنه عبد الواحد وتولى محمد بن بدر القيام بأمره فاكترى له داراً سكنها ودخل عليه أصحاب الحديث يسألونه أن يحدثهم فقال ما معي إلا كتب أبي وأنا أحفظها فإن شئتم سردها عليكم وكان يحفظها كما يحفظ السورة من القرآن. ويُقال أن والده حفظها له في اللوح .

فلما عرف الناس ذلك قصدوه وصار مجلسه غاصباً بفنون الناس ممن يطلب العلم والأدب وقصده أبو جعفر بن النحاس وأحمد بن محمد بن ولاد وأبو عاصم المظفر بن أحمد ووجه البلد فباشر أحمد بن قتيبة القضاء ثلاثة أشهر وقيل أربعة وسبعين يوماً ثم صرف بعزل ابن أبي الشوارب وعاش بعد ذلك حتى توفي بمصر في شهر ربيع الأول سنة ٣٢٢ في ٧ منه وقال أبو سعيد بن يونس مات وهو على القضاء سنة ٣٢٢ هـ (١) .

وقال القاضي عياض : أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم الدينوري البغدادي النسابة كان مالكي المذهب من أهل العلم والحفظ . . . ولي قضاء مصر وحكم في جامعها واستخلف الفقيه أبا الذكر المالكي على فرض النساء وكانت في خلقه حيلة (٢) .

أما حفيده عبد الواحد فإنه ولد في بغداد سنة ٢٧٠ هـ وانتقل إلى مصر مع والده أحمد وروى فيها عن أبيه عن جدّه كتبه . سمع منه أبو الفتح بن مسرور البلخي وأبو عبد الله الوشاء المصري وقال الخطيب عنه أنه ثقة (٣) .

(١) بتصرف من كتاب رفع الإسر عن قضاة مصر لابن حجر (١ : ٧٢ - ٧٥) ، وقارن (١ : ٤٥) أنباه الرواة .

(٢) ترتيب المدارك (٣ : ٢٩٢) .

(٣) تاريخ بغداد (١١ : ٨) ، وقارن بترني ، المدارك (٣ : ٢٩٢) .

المبحث الثاني

شيوخه

لازم ابن قتيبة عدة من علماء عصره وأخذ ما عندهم من فنون العلم والمعرفة بطريق الرواية والسند وهي الطريقة التي كانت شائعة عند علماء الرعيل الأول من سلفنا الصالح . وهي أثبت الطرق وأصحها لكسب العلم . وقد كان ابن قتيبة محافظاً على هذه الطريقة في مصنفاته فهو لا يورد حادثة أو خبراً أو حديثاً بل ولا حتى بيت شعر أو نكتة إلا بسندها غالباً . والمطلع على كتبه الأدبية فضلاً عن الحديثية يجد بمصداق ذلك ولم يقتصر ابن قتيبة رحمه الله على أخذ العلم عن مشائخه المشهورين الذين تتلمذ عليهم فترة طويلة من عمره كابن راهويه والسجستاني والزيادي والرياشي بل روى عن خلق غيرهم كثير وإن خالفوه في الاعتقاد كالجاحظ المعتزلي والشاعر دعبل الخزاعي المتهم بالزندقة ولكنه غالباً لا يروي عنهم إلا الحكايات الأدبية والأشعار وما شابهها - وإن كان ابن قتيبة لم يثبت في مروياته شأنه شأن غيره من الإخباريين - لذا فإني سوف أترجم لمشائخه الذين أكثر الرواية عنهم في كتبه واكتفى بذكر أسماء من لم يرو عنهم إلا يسيراً . فمن مشائخه :

(١) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن مطر أبو يعقوب الحنظلي المعروف بابن راهويه المروزي .

رحل الى العراق والحجاز واليمن والشام وورد بغداد غير مرة وجالس حفاظها وذاكرهم ثم عاد الى خراسان فاستوطن نيسابور الى ان توفي بها .

روى عن ابن عيينة وابن عليّة وجريّر وبشر بن المفضل وابن المبارك وعبد الرزاق وخلق . وروى عنه جماعة منهم البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وأحمد بن حنبل وغيرهم كثير .

قال نعيم بن حماد إذا رأيت الخراساني يتكلم في إسحاق فاتهمه في دينه وقال أحمد بن حنبل لم يعبر الجسر إلى خراسان مثله وقال أيضاً لا أعرف له بالعراق نظيراً وقال مرة لما سُئل عنه إسحاق عندنا إمام من أئمة المسلمين وقال النسائي إسحاق أحد الأئمة وقال ابن خزيمة والله لو كان في التابعين لأقروا له بحفظه وعلمه وفقهه .

ولد سنة ١٦١هـ وقيل سنة ١٦٦هـ ومات سنة ٢٣٧هـ وقيل سنة ٢٣٨هـ ليلة النصف من شعبان . قال البخاري : مات وهو ابن ٧٧ سنة^(١) .

(٢) سهل بن محمد بن عثمان أبو حاتم السجستاني النحوي المقرئ البصري .

روى عن الأصمعي وأبي عبيدة معمر بن المثنى وأبي زيد الأنصاري وعبد الله رجاء الغلاني ومحمد بن عبيد الله العتيبي ويعقوب بن إسحاق الحضرمي ووهب بن جرير بن حازم وغيرهم . وعنه أبو داود قوله في تفسير أسنان الإبل والنسائي وأبو العباس المبرد وأبو بكر بن درير وأبو بكر بن عوف ابن المزروع وابن خزيمة وأبو بكر البزار وأبو بشر الدولابي ومحمد بن هارون الروياني وأبراهيم بن أبي طالب . قال أبو داود كان أعلم الناس بالأصمعي أبو حاتم . ذكره ابن حبان في الثقات وقال : وهو الذي صَنَّفَ القراءات وكانت فيه دعابة غير اني اعتبرت حديثه فرأيتُه مستقيم الحديث وإن كان فيه ما لا يتعرى عنه أهل الأدب .

(١) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١ : ٢١٦) ، تاريخ بغداد (٦ : ٣٤٥) شذرات الذهب (٢ : ٨٩) ، مقدمة تحفة الأحوذى (١٠ : ٤٣١) .

مات سنة ٢٥٠هـ وقيل ٢٥٥هـ^(١) . وقد قُوت كُتبه يوم مات بأربعة عشر ألف دينار واشتراها ابن السكيت^(٢) .

(٣) العباس بن الفرّج الرياشي أبو الفضل البصري النحوي مولى محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس .

روى عن الأصمعي وأبي داود الطيالسي وأبي عاصم وعبيد الله بن محمد العيشي وعمرو بن مرزوق والعلاء بن الفضل بن أبي ماسويه المنقري وأبي عثمان المازني النحوي وغيرهم . وروى عنه أبو داود وابنه محمد بن العباس وأبو العباس المبرد وأبو بكر بن دريد وعبد الله بن مسلم بن قتيبة ومحمد بن إسحاق بن خزيمة وإبراهيم بن إسحاق الحربي قدم بغداد وحدث بها وكان من الأدب وعلم النحو بمحل عالٍ وكان يحفظ كتب أبي زيد وكتب الأصمعي كلها وقرأ على أبي عثمان المازني كتاب سيبويه فكان المازني يقول : قرأ على الرياشي الكتاب وهو أعلم به مني . قال الخطيب البغدادي ثقة وذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن دريد مات سنة ٢٥٧هـ بالبصرة قتله الزنج^(٣) .

(٤) أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان الزياتي - وقيل له الزياتي لأنه من أولاد زياد بن أبيه .

أخذ عن الأصمعي وغيره وأخذ عنه أبو العباس محمد بن يزيد المبرد وغيره وكان عالماً بالنحو قرأ كتاب سيبويه وله فيه نكت وخلاف في بعض المواضع ذكرها أبو سعيد السيرافي في شرح الكتاب وله من الكتب كتاب

(١) انظر التهذيب (٤ : ٢٥٨) ، نزهة الألباء (ص ١٨٩) ، الأنساب (٧ : ٨٦) ، فهرست لابن النديم (ص ٨٧) .

(٢) شذرات الذهب (٢ : ١٢١) .

(٣) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٥ : ١٢٤) ، تاريخ بغداد (١٢ : ١٣٨) ، شذرات الذهب (٢ : ١٣٦) ، نزهة الألباء (ص ١٩٩) ، البداية والنهاية (١١ : ٢٩) ، فهرست ابن النديم (ص ٨٦) .

شرح كتاب سيبويه ، كتاب الأمثال ، كتاب النقط والشكل كتاب الأخبار ،
كتاب أسماء السحاب والرياح والأمطار .

توفي سنة ٢٤٩هـ^(١) .

(٥) اسحاق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهير الشهيري ابو يعقوب البصري .
روى عن ابيه ومعتمر بن سليمان وابي معاوية وغيرهم . وروى عنه ابو
داود في المراسيل والترمذي والنسائي وابن ماجه وابنه ابراهيم بن اسحاق
وجماعة . قال احمد صدوق . وقال النسائي ثقة . وقال الدارقطني ثقة
مأمون .

قال ابراهيم بن محمد الكندي توفي في جماد الآخرة سنة ٢٥٧هـ^(٢) .

(٦) اسحاق بن ابراهيم بن محمد الصواف الباهلي ابو يعقوب البصري .
روي عن عبد الله بن بكر السهمي ويزيد بن هارون وعبد الله بن
حميدان وغيرهم . وروى عنه البخاري وأبو داود وغيرهم . قال ابن ابي
عاصم مات سنة ٢٥٣هـ وذكره ابن حبان في الثقات^(٣) .

(٧) حرملة بن يحيى بن عبد الله بن حرملة بن عمران التجيبي ابو حفص
المصري .

روي عن ابن وهب فأكثر وعن الشافعي ولازمه وعنه مسلم وابن ماجه
وقد عده ابن حبان في الثقات . توفي سنة ٢٤٤هـ . وقال ابن يونس ولد سنة
١٦٦هـ وتوفي لتسع بقين من شوال سنة ٢٤٣هـ^(٤) .

(٨) زيد بن أخزم ابو طالب الطائي البصري .

قدم بغداد وحدث بها عن عبد الرحمن بن مهدي ومسلم بن قتيبة

(١) انظر ترجمته في نزهة الالباء (ص ٢٠٥) ، فهرست ابن النديم (ص ٨٦) .

(٢) تهذيب التهذيب (١ : ٢١٣) .

(٣) تهذيب التهذيب (١ : ٢١٦) .

(٤) تهذيب التهذيب (٢ : ٣٢٠) .

وعبد الصمد بن عبد الوارث ووهب بن جرير وأبي داود الطيالسي وروح بن عبادة وغيرهم وروى عنه محمد بن إسحاق الصباغاتي وعبد الله ابن محمد البغوي والجماعة سوى مسلم وروى له النسائي أيضاً بواسطة زكريا السجزي وأبو حاتم وابن خزيمة وغيرهم . ذكره ابن حبان في الثقات وقال مستقيم الحديث . وقال الدارقطني ثقة وقال صالح بن محمد صدوق في الرواية . قال أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الكندي ومات زيد بن أحرزم بعد دخول الزنج البصرة وذبح ذبحاً . ذبحه الزنج سنة ٢٥٧هـ^(١) .

(٩) زياد بن يحيى بن زياد بن حسان الحساني أبو الخطاب النكدي العدني البصري .

روى عن معتمر بن سليمان وحاتم بن وردان وبشر بن المفضل وأبي داود الطيالسي وغيرهم . ذكره ابن حبان في الثقات وقال النسائي ثقة مات سنة ٢٥٤هـ^(٢) .

(١٠) الحسين بن الحسن بن حرب السلمي بن عبد الله المروزي . نزيل مكة . روي عن ابن المبارك وابن علية وابن عينة ومعتمر بن سليمان وغيرهم . وروى عنه الترمذي وابن ماجه وبقي بن مخلد وابن أبي عاصم وغيرهم . قال مسلمة ثقة وذكره ابن حبان في الثقات وقال مات سنة ٢٤٦هـ^(٣) .

(١١) عبده بن عبد الله بن عبده الخزاعي الصفار أبو سهل البصري .

روى عن عبد الصمد بن عبد الوارث وحسين الجعفي ويحيى بن آدم وأبي داود الطيالسي وغيرهم . وروى عنه الجماعة سوى مسلم . قال أبو حاتم صدوق . وقال النسائي ثقة . وقال الدارقطني ثقة . وذكره ابن حبان في

(١) انظر ترجمته في تاريخ بغداد (٨ : ٤٤٦) ، وقارن بتهذيب التهذيب (٣ : ٣٩٣) .

(٢) انظر تهذيب التهذيب (٣ : ٣٨٩) .

(٣) انظر تهذيب التهذيب (٢ : ٣٣٤) .

الثقات وقال مستقيم الحديث . مات سنة ٢٥٨هـ بالأهواز وقيل مات بالبصرة سنة ٢٥٧هـ (١) .

(١٢) عبد الرحمن بن بشر بن الحكم بن حبيب بن مهران العبدي ابو محمد النيسابوري .

روي عن سفيان بن عيينة وعبد الرزاق بن همام ويحيى بن سعيد القطان والنضر بن شميل وغيرهم . وروى عنه البخاري وابوداود بن محمد الأسدي وإبراهيم الحربي وغيرهم . قال صالح بن محمد صدوق وقال أبو بكر الجارود كان يحيى بن سعيد يحله محل الوالد وذكره ابن حبان في الثقات مات سنة ٢٦٠هـ وقيل ٢٦٢هـ (٢) .

(١٣) محمد بن عبيد بن عبد الملك الأسدي أبو عبد الله الهمداني . روي عن أبي معاوية وربيعي وإسماعيل ابني علية وسفيان بن عيينة وغيرهم . وروى عنه الترمذي وابن ماجة وغيرهم . قال ابو زرعة محمد بن عبيد عندنا إمام وذكره ابن حبان في الثقات مات سنة ٢٤٤هـ وقيل ٢٤٩هـ (٣) .

(١٤) محمد بن داود الكاتب ابو عبد الله الأخباري العلامة صاحب المصنفات .

كان أوحد أهل زمانه في معرفة ايام الناس ووزر لعبد الله بن المعتز في يوم خلافته وظهر بعد فتنة ابن المعتز الى مؤنس الخادم وكان له قدم في أمره وخافه ابو الحسن بن الفرات فأشار بقتله فقتل وله من الكتب كتاب الورقة في أخبار الشعراء وكتاب من سمي من الشعراء عمرو في الجاهلية والإسلام . وكتاب الوزراء وكانت وفاته سنة ٢٩٦هـ (٤) .

(١) انظر تهذيب التهذيب (٦ : ٤٦١) .

(٢) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٦ : ١٤٤) .

(٣) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٩ : ٣٣١) .

(٤) انظر شذرات الذهب (٢ : ٢٢٥) ، فهرست ابن النديم (ص ١٨٥) ، تاريخ بغداد (٥ : ٢٢٥) .

(١٥) محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم أبو عبد الله البصري مولى قدامة بن مظعون الجمحي وهو أخو عبد الرحمن بن سلام .

كان من أهل الأدب وصنف كتاباً في طبقات الشعراء وحدث عن حماد بن سلمة ومبارك بن فضالة وقدم بغداد فأقام بها الى حين وفاته روى عنه أبو بكر بن أبي خيثمة وعبد الله بن أحمد بن حنبل وأبو العباس ثعلب وغيرهم ورماه بعض العلماء بالقدر . توفي عام ٢٣٢هـ وقيل ٢٣١هـ^(١) .

(١٦) محمد بن يحيى بن أبي حزم القطعي أبو عبد الله البصري . روى عن عمه حزم بن مهران وعبد الأعلى بن عبد الأعلى وعبد العزيز ابن ربيعة البناني وغيرهم . روى عنه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وحرب الكرماني وابن أبي عاصم وأبو حاتم والبخاري في غير الصحيح ومحمد بن إسحاق بن خزيمة وغيرهم . قال أبو حاتم صالح الحديث صدوق . وقال مسلمة ثقة وذكره ابن حبان في الثقات . قال ابن أبي عاصم مات سنة ٢٥٣هـ^(٢) .

(١٧) محمد بن زياد بن عبيد الله بن زياد بن الربيع الزياتي أبو عبد الله البصري . لقبه يؤؤ .

روي عن حماد بن زيد وعبد الوارث بن سعيد وابن عيينة وعبد الأعلى ابن عبد الأعلى وحسان بن إبراهيم الكرماني وبشر بن المفضل وعلي بن عاصم وغيرهم . وروى عنه البخاري كالمقرون بغيره وابن ماجه ومحمد بن هارون الرؤياني ومحمد بن إسحاق بن خزيمة وغيرهم . ذكره ابن حبان في الثقات وقال ربما اخطأ وقال ابن مندة ضعيف . مات سنة ٢٥٢هـ وقيل سنة ٢٥٠هـ^(٣) .

(١) انظر ترجمته في تاريخ بغداد (٥ : ٣٢٨) ، نزهة الالباء (ص ١٥٨) شذرات الذهب (٢ : ٧١) .

(٢) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٩ : ٥٠٨) .

(٣) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٩ : ١٦٨) .

(١٨) محمد بن محمد بن مرزوق بن بكير بن البهلول الباهلي ابو عبد الله البصري ابن بنت مهدي بن ميمون وقد ينسب الى جده .

روي عن ابي عامر العقدي وسالم بن نوح وروح بن عبادة وابي معاوية عبد الرحمن بن قيس الزعفراني ومحمد بن بكير البرساني وحاتم بن ميمون وبشر بن عمر الزهراني وحسين بن حسين الأشقر ومحمد بن عبد الله الأنصاري وغيرهم .

روى عنه مسلم والترمذي وابن ماجه وحرب بن إسماعيل الكرمانى وابو بكر بن أبي عاصم وابو حاتم ومحمد بن جرير الطبري وابن خزيمة وغيرهم . قال ابو حاتم صدوق وقال الخطيب ثقة وذكره ابن حبان في الثقات مات سنة ٢٤٨هـ (١) .

(١٩) محمد بن خالد بن خدّاش بن عجلان المهلبى . مولا هم ابو بكر الضير البصري .

سكن بغداد روى عن ابيه واسماعيل بن عليّ وابن مهدي وعبيد بن واقد ومحمد بن عبد الله الأنصاري والمنهال بن بحر ويحيى بن ابي الحجاج المنقري وجماعة . روى عنه ابن ماجه وإبراهيم الحربي وابن خزيمة وابن بجير وإسحاق بن داود الصواف ومحمد بن نوح بن حرب العسكري وغيرهم . ذكره ابن حبان في الثقات وقال ربما أغرب عن أبيه (٢) .

(٢٠) عمرو بن بحر بن محبوب ابو عثمان الجاحظ عالماً بالأدب فصيحاً بليغاً مصنفاً في فنون العلم كان من أهل البصرة وأحد شيوخ المعتزلة وقدم بغداد فأقام بها مدة .

روى الخطيب البغدادي بسنده الى ابن أبي الديال المحدث يسر من رأي قال : حضرت وليمة حضرها الجاحظ وحضرت صلاة الظهر فصلينا وما

(١) انظر ترجمته في تاريخ بغداد (٣ : ١٩٩) ، تهذيب التهذيب (٩ : ٤٣٢) .

(٢) انظر تهذيب التهذيب (٩ : ١٤٠) .

صلى الجاحظ وحضرت صلاة العصر فصلينا وما صلى الجاحظ فلما عزمنا على الإنصراف قال الجاحظ لرب المنزل اني ما صليت لمذهب او لسبب اخبرك به فقال له او فليل له ما أظن أن لك مذهباً في الصلاة إلا تركها والى الجاحظ تنسب الفرقة الجاحظية^(١) . وكان شنيع المنظر سىء المخبر رديء الاعتقاد ينسب الى البدع والضلالات وربما جاز به بعضهم الى الإنحلال ومن كتبه كتاب الحيوان والبيان والتبيين . توفي عام ٢٥٥ هـ^(٢) .

(٢١) ابو سعيد البغدادي الضرير أحمد بن خالد .

استقدمه طاهر بن عبد الله من بغداد فأقام بنيسابور وأملى بها كتباً في معاني الشعر والنوادر ورد على ابي عبيد حروفاً كثيرة من كتاب غريب الحديث وكان لقي ابن الأعرابي وأبا عمرو الشيباني وقدم عليه القتيبي فأخذ عنه وكان شمر وابو الهيثم يوثقانه ويشيان عليه^(٣) .

(٢٢) دعبل بن علي بن رزين بن عثمان بن عبد الله بن بديل بن ورقاء ابو علي الخزاعي الشاعر .

أقام ببغداد مدة ثم خرج منها هارباً من المعتصم لما هجاءه وكان خبيث اللسان قبيح الهجاء وقد روي عنه أحاديث مسندة عن مالك بن أنس وغيره وكلها باطلة وهي من وضع ابن اخيه إسماعيل بن علي الدعبللي فإنها لا تعرف إلا من جهته وكان رافضياً ولد عام ١٤٨ هـ ومات سنة ٢٣٦ هـ وكان يقول لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها فما أحد من يفعل ذلك^(٤) .

(١) يقول البغدادي عنها (وهؤلاء اتباع عمرو بن بحر الجاحظ وهم الذين اغتروا بحسن بيان الجاحظ في كتبه التي لها ترجمة تروق بلا معنى واسم يهول ولو عرفوا جهالاته في ضلالاته لاستغفروا الله تعالى من تسميتهم اياه انساناً فضلاً عن ان ينسبوا اليه احساناً) .

الفرق بين الفرق (ص ١٧٥) .

(٢) انظر تاريخ بغداد (١٢ : ٢١٢) ، قارن بالبداية والنهاية (١١ : ١٩) ، نزعة الالباء (ص ١٩٢) .

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (١ : ٢٤) .

(٤) انظر ترجمته في تاريخ بغداد (٨ : ٣٨٢) ، شذرات الذهب (٢ : ١١١) .

(٢٣) يحيى بن أكنم بن محمد بن قطن بن سمعان بن مشنج من ولد أكنم ابن صيفي التميمي يكنى أبا محمد وهو مروزي .

سمع عبد الله بن المبارك والفضل بن موسى السيناني . وعبد الله بن ادريس وعيسى بن يونس وعبد العزيز بن أبي حازم وجريرو ابن أبي عيينة والقطان ووکیع وغيرهم . روى عنه الترمذي والبخاري في غير الجامع وغيرهم قال أبو مزاحم الخاقاني عن عمه سألت أحمد عن يحيى بن أكنم فقال ما عرفناه ببدة . وقال جعفر بن أبي عثمان الطيالسي عن ابن معين يحيى بن أكنم كان يكذب وقال الساجي عن عبد الله بن إسحاق الجوهري سمعت أبا عاصم يقول يحيى بن أكنم كذاب وقال محمد بن مخلد عن مسلم بن الحجاج سمعت إسحاق بن راهويه يقول ذلك الدجال يعني يحيى بن أكنم . وقال القاضي أبو عمرو محمد بن يوسف سمعت إسماعيل بن إسحاق يقول كان يحيى بن أكنم ابرأ الى الله تعالى من أن يكون فيه شيء مما رمى به من أمر الغلمان ولقد كنت أقف على سرائره فأجده شديد الخوف من الله تعالى ولكن كانت فيه دابة . وذكره ابن حبان في الثقات وقال لا يشتغل بما يحكي عنه لأن أكثرها لا يصح عنده . وقال ابن الأهدل كان سني العقيدة غلب على المأمون فقلده القضاء وتدبير مملكته ثم عزله المعتصم بابن أبي دؤاد ثم رده المتوكل وعزل بن أبي دؤاد حتى طابت عقائد السنة . وله الأثر المحمود والمقام التام يوم نادى المأمون بتحليل المتعة فرده بصريح النقل حتى رجع واستغفر . وقال الخطيب البغدادي كان يحيى سليماً من البدعة يتحلل مذهب أهل السنة مات منصرفاً من الحج بالربذة سنة ٢٤٢ هـ (١) .

(٢٤) عبد الرحمن بن أخي الأصمعي ويكنى أبا محمد وقيل يكنى أبا الحسن .

(١) انظر ترجمته مطولة في تاريخ بغداد (١٤ : ١٩١) ، تهذيب التهذيب (١١ : ١٧٩) ، شذرات الذهب (٢ : ١٠١) .

وكان من الثقلاء إلا أنه كان ثقة عما يرويه عن عمه وعن غيره من العلماء وقد صنف كتاباً بعنوان معاني الشعر وقد عدّه الزبيدي في الطبقة الخامسة من اللغويين البصريين^(١).

(٢٥) الحسن بن الحسين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن العلاء بن أبي صفرة ابن المهلب أبو سعيد السكري النحوي .

سمع يحيى بن معين وأبا حاتم السجستاني والعباس بن الفرج الرياشي ومحمد بن حبيب وعمر بن شبة وغيرهم . وكان ثقة دِيناً صادقاً يقريء القرآن وانتشر عنه من كتب الأدب شيء كثير . وحدث عنه محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمي وأبو سهل بن زياد القطان وغيرهم . توفي عام ٢٧٥هـ^(٢) .

(٢٦) الحسن بن علي أبو محمد ويقال أبو علي الخلال المعروف بالحلواني .

سمع يزيد بن هارون وعبد الرزاق بن همام وعبد الله بن نمير وأبا أسامة وزيد بن الحباب وأبا عاصم النبيل وعفان بن مسلم وغيرهم وروى عنه محمد بن أبي عتاب الأعين ومحمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج وإبراهيم الحربي وأبو داود السجستاني وكان حافظاً ثقة توفي عام ٢٤٢هـ^(٣) .

(٢٧) محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة واسمه غزوان اليشكري المروزي . روى عن أبيه وأبي معاوية وابن أدريس وابن عيينة وحفص بن غياث وابن المبارك والفضل بن موسى والوليد بن مسلم وغيرهم . وروى عنه الأربعة والبخاري والنسائي وأبو حاتم وإبراهيم بن إسحاق الحربي وابن خزيمة وابن

(١) انظر انباه الرواة (٢ : ١٦١) ، قارن بما في طبقات النحويين للزبيدي (ص ١٨٠) ، بغية الوعاة (٢ : ٨٢) .

للزبيدي (ص ١٨٠) ، بغية الوعاة (٢ : ٨٢) .

(٢) تاريخ بغداد (٧ : ٢٩٦) .

(٣) تاريخ بغداد (٧ : ٣٦٥) ، شذرات الذهب (٢ : ١٠٠) .

المنادي وغيرهم . ذكره ابن حبان في الثقات ومات سنة ٢٤١هـ (١) .

(٢٨) أحمد بن الخليل بن حرب بن عبد الله بن سوار بن سابق القرشي أبو عبد الله القومسي .

روي عن عبد الله بن يزيد المقبري والأصمعي وعلي بن الحسن بن شفيق وأبي النضر وغيرهم . روى عنه محمد بن الحسن بن الفرج وأبو زكريا يحيى بن يحيى بن حيوية الحافظ ويحيى بن عبد الأعظم وغيرهم . ضعفه أبو زرعة ونسبه أبو حاتم إلى الكذب (٢) .

(٢٩) أحمد بن نصر بن عبد الوهاب النيسابوري أبو الفضل . روي عن هذبة بن خالد وأبي مصعب وابن أبي عمرو عبيد الله بن معاذ العنبري وغيرهم . وروى عنه البخاري وغيره . قال الحاكم هو أحد أركان الحديث (٣) .

(٣٠) محمد بن أحمد بن يونس الفسوي أبو عبد الله يعرف بخاطف . صاحب أبي بكر بن السراج وروي عن ابن دريد وغيره (٤) .

(٣١) شبابة بن سوار الفزاري مولاهم أبو عمرو المدائني روي عن حريز بن عثمان الرحبي وإسرائيل وشعبة وشيبان وخلق كثير وعنه أحمد بن حنبل وعلي بن المديني ويحيى بن معين وإسحاق بن زاهويه . كان متهماً بالإرجاء وقال أبو زرعة رجع عنه مات سنة ٢٥٤ وقيل ٢٥٥ وقيل ٢٥٦هـ (٥) .

(٣٢) أحمد بن سعيد اللحياني أبو العباس روى عن الإمام أحمد بعض

(١) انظر تهذيب التهذيب (٩ : ٣١٣) ، وقارن بتاريخ بغداد (٢ : ٣٥٠) .

(٢) تهذيب التهذيب (١ : ٢٨) .

(٣) تهذيب التهذيب (١ : ٨٧) .

(٤) انظر معجم الأدياء لياقوت (١٧ : ١٨٠) .

(٥) انظر تهذيب التهذيب (٤ : ٣٠١) ، ميزان الاعتدال (٢ : ٢٦٠) .

فتاويه وهو صاحب الإمام أبو عبيد بن سلام وقد أخذ ابن قتيبة منه كتاب الأموال لأبي عبيد وكتاب غريب الحديث لأبي عبيد وذلك سنة ٢٣١ هـ وعمر بن قتيبة إذ ذاك ثمانية عشر عاماً^(١) .

وقد روى ابن قتيبة رحمه الله عن خلق كثير غير من سبق نكتفي بإيراد أسماء بعضهم نظراً لقلّة روايته عنهم إثارة للاختصار منهم :

(٣٣) أبو مسعود الدارمي من ولد خراش روى عنه في تأويل مختلف الحديث صفحة ١٧٢ .

(٣٤) يزيد بن عمرو بن البراء الغنوي روى عنه في تأويل مختلف الحديث صفحة ٣٤٩ .

(٣٥) الفضل بن محمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة روى عنه في عيون الأخبار (٢ : ١٩٨) .

(٣٦) عبد الله بن إسحاق روى عنه إجازة في غريب الحديث (١ : ٤٣٤) .

(٣٧) المعلي بن أيوب روى عنه في عيون الأخبار (١ : ١٨) .

(٣٨) أبو سفيان الغنوي روى عنه في عيون الأخبار (١ : ١٤٨) .

(٣٩) محمد بن عائشة روى عنه في عيون الأخبار (٢ : ٦٥) .

(٤٠) عبد الله بن حيان روى عنه في عيون الأخبار (٢ : ١٥٦) .

(٤١) مهيار الرازي روى عنه في عيون الأخبار (٢ : ١٥١) .

(٤٢) عبد الله بن أبي سعيد روى عنه في عيون الأخبار (٢ : ١١٢) .

(٤٣) القاسم بن الحسن روى عنه في عيون الأخبار (١ : ١٠٧) .

(١) انظر طبقات الحنابلة (١ : ٤٥) ، تأويل مشكل القرآن (ص ٣) .

(٤٤) هارون بن موسى روى عنه في غريب الحديث (١ : ٥٩٠) .

وقد ذكر الشيخ محمد أبوزهرة أن ابن قتيبة تلميذ لعبد الرحمن بن مهدي^(١) وما أدري كيف وقع في هذا فإن ابن مهدي متوفى عام ١٩٨ هـ^(٢) ، وابن قتيبة مولود عام ٢١٣ هـ باتفاق والله أعلم .

(١) ابن حنبل حياته وعصره لأبي زهرة (ص ١٥٢) .

(٢) انظر ترجمة عبد الرحمن بن مهدي في تهذيب التهذيب (٦ : ٢٨٠) .

المبحث الثالث مكانته العلمية ومؤلفاته

ابن قتيبة جبل من جبال العلم والمعرفة وأخصن وصف يصدق عليه هو ما ذكره الذهبي - وحسبك قول الذهبي ثقة - (ابن قتيبة وعاء من أوعية العلم)^(١) .

ولم يكن ابن قتيبة متخصصاً في فن من الفنون فقط كالحدِيث والتاريخ والأدب مثلاً بل أخذ من كل علم بطرف وألف في فنون شتى في اللغة والشعر والنقد والتاريخ والفقه والعقائد وعلم النجوم . وعرف العلماء له هذه الميزة لذا نجد من يترجم له يذكر عنه أنه صاحب التصانيف المفيدة والمؤلفات المشهورة وأنه متفنن في العلوم^(٢) . ولا أدل على مكانته العلمية من شهادة ابن تيمية له بأنه من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويل كتاب الله^(٣) - وسيأتي مزيد إيضاح في مبحث أقوال العلماء فيه - .

وابن قتيبة من أكابر اللغويين وكثيراً ما يرجح ابن تيمية آراء ابن قتيبة اللغوية على آراء ابن الأنباري وغيره من اللغويين . ويقول الذهبي واصفاً له

(١) تذكرة الحفاظ (٢ : ١٨٧) .

(٢) انظر نزهة الالباء (ص ٢٠٩) .

(٣) فتاوى ابن تيمية (١٧ : ٤١١) .

(ان ابن قتيبة رأساً في علم اللسان العربي)^(١) . وقد عده الزبيدي في الطبقة السادسة من اللغويين البصريين^(٢) فهو عالم لغة بالدرجة الأولى ولملم ببقية العلوم إماماً طيباً . فمكانة في النقد لا ينكر وآراؤه النقدية مادة للدراسة من قبل الأدباء قديماً وحديثاً^(٣) وشهرة ابن قتيبة الأدبية لا تخفى ومكانة مؤلفاته الأدبية عند المتأدبين لا تجارى قال ابن خلدون : (وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعلم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي أدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبي علي القالي وما سوى هذه الأربعة فتوابع لها وفروع عنها)^(٤) . وقد ذكر الدكتور عبد الحميد الجندي خصائص كتب ابن قتيبة الأدبية نلخص منها ما يلي :

الخصيصة الأولى : ابن قتيبة ذو عقلية منظمة مصقولة ولذلك جاءت كتبه وليدة هذا الفكر المنسق . فقد كان التأليف ساذجاً لا يعني فيه بالإختيار فمسألة من هنا ومسألة من هناك واستطراد لا ضابط له ولكن الأمر يختلف في كتاب عيون الأخبار ففيه تشعر بأن كتب المختارات الأدبية قد انتقلت خطوات نحو الكمال على يد ابن قتيبة وذلك لأنه رتب المختارات وبوبها وجمع ما تشابه تحت عنوان واحد .

الخصيصة الثانية : في كتب ابن قتيبة ظاهرة بارزة تلك هي تقصيه الإيجاز لتسهيل روايتها وليمكن الانتفاع بها على أوسع نطاق^(٥) .

-
- (١) سير اعلام النبلاء (٩ : ١٣٩) .
(٢) طبقات النحويين (ص ٨٤) .
(٣) للاطلاع على آراء ابن قتيبة النقدية انظر كتابه الشعر والشعراء وكتابه المعاني الكبير وانظر كذلك كتاب نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا للدكتور عبد السلام عبد الحفيظ وانظر رسالة الطالب مريس الحارثي التي قدمها للماجستير بجامعة الملك عبد العزيز بمكة بعنوان ابن قتيبة والنقد . ورسالة الطالب عبد الله الخلف التي قدمها الى جامعة الامام محمد بن سعود بعنوان « الفكر السني في ادب ابن قتيبة » .
(٤) مقدمة ابن خلدون (ص ٥٥٣) .
(٥) انظر كتاب ابن قتيبة العالم الاديب للجندي (ص ٢٦٥ - ٢٧٢) .

أما مكانته الفقهية فهو من أوسط الناس في ذلك وإن كان بعض العلماء يرى أن آراءه الفقهية ليست في قوة آرائه اللغوية . فقد ذكر قاسم بن إصبغ أنه سأل الطبري وابن شريح عن كتاب ابن قتيبة في الفقه^(١) فقالا ليس بشيء ولا كتاب أبي عبيد في الفقه أما ترى كتابه في الأموال وهو أحسن كتبه كيف بني على غير أصل واحتج بغير صحيح ، ثم قالوا ليس هؤلاء لهذا إنما هم أصحاب لغة فإذا أردت الفقه فكتب الشافعي^(٢) أقول هذا القول منهما فيه شيء من المبالغة فأبو عبيد وابن قتيبة كلاهما قد وليا القضاء ولا يولى القضاء غالباً في ذلك العصر المليء بفطاحل العلماء إلا من كان لديه فهم للشرعة وحسن استنباط للأحكام وقد قال الخطيب عن كتاب الأموال الذي انتقدها : « . . . وكتابه في الأموال من أحسن ما صنف في الفقه وأجوده »^(٣) .

ويظهر من كلام ابن قتيبة أنه لا يعتد بالقياس فهو يقول : « ثم نصير إلى أصحاب الرأي فنجدهم أيضاً يختلفون وقيسون ثم يدعون القياس ويستحسنون ويقولون بالشيء ويحكمون به ثم يرجعون . . . فأما الرأي في الفروع فأخف أمراً وإن كان مخارج أصول الأحكام ومخارج الفرائض والسنن على خلاف القياس وتقدير العقول . . . وكيف يطرد القياس في فروع لا تتفق أصولها والفرع تابع للأصل ؟ وكيف يقع في القياس أن يقطع سارق عشر دراهم ويمسك عن غاصب مائة ألف درهم ؟ ويجلد قاذف الحر الفاجر ويعفي عن قاذف العبد العفيف ؟ وتستبرأ أرحام الإماء بحیضة ورحم الحرة بثلاث حیض . ويحصن الرجل بالعجوز الشوهاء السوداء ولا يحصن بمائة أمة حسناء ؟ ويوجب على الحائض قضاء الصوم ولا يوجب عليها قضاء الصلاة . ويجلد في القذف بالزنا أكثر من الجلد في القذف بالكفر ويقطع في القتل

(١) ابن قتيبة له كتاب الأشربة وكتاب جامع الفقه فالله اعلم عن أيهما سأل ؟

(٢) سير اعلام النبلاء (٩ : ١٤٠) .

(٣) تاريخ بغداد (١٢ : ٤٠٥) .

بشاهدين ولا يقطع في الزنا بأقل من أربعة»^(١) .

وموقف ابن قتيبة هذا من القياس لا يخرج من دائرة السلفية يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « إن كثيراً من أهل السنة العامة والخاصة لا تقول بالقياس »^(٢) . ويقول شيخ الطبقة الثانية من طبقات الحنابلة أبو محمد البربهاري^(٣) : « وأعلم رحمك الله أنه ليس في السنة قياس ولا تضرب لها الأمثال ولا تتبع فيها الأهواء »^(٤) ويقول أحمد بن حنبل يجنب المتكلم في الفقه المجمل والقياس^(٥) .

ويقول ابن القيم رحمه الله : « وكذلك القياس إنما يصار إليه عند الضرورة . قال الإمام أحمد : سألت الشافعي عن القياس فقال عند الضرورة »^(٦) . والله تعالى أعلم .

أما مكانة ابن قتيبة رحمه الله في الحديث فليست بذاك وإن كان له اهتمام بالحديث وأهله وله فيه رواية ولكنها قليلة وقد قال عنه الذهبي والرجل ليس بصاحب حديث وإنما هو من كبار العلماء المشهورين عنده فنون جمة وعلوم مهمة^(٧) . وقال عنه في موضع آخر أنه قليل البضاعة في الحديث^(٨) :

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٥١ ، ٥٦ ، ٥٨) .

(٢) منهاج السنة النبوية (١ : ٢٣١) .

(٣) هو أبو محمد الحسن بن علي الفقيه البربهاري شيخ الطبقة الثانية من طبقات الحنابلة كان له صيت عظيم وحرمة تامة . اخذ عن المروزي وصحب سهل بن عبد الله التستري وصنف التصانيف قال ابن أبي يعلى في طبقاته . وكان أحد الأئمة العارفين والحفاظ للأصول المتقين والفتاى المأمونين . مات في رجب سنة ٣٢٩ هـ .

انظر شذرات الذهب (٢ : ٣٦٩) ، طبقات الحنابلة (٢ : ١٨) .

(٤) طبقات الحنابلة (٢ : ١٩) .

(٥) أصول مذهب أحمد للتركي (ص ٥٥٩) .

(٦) اعلام الموقعين (٢ : ٢٨٤) .

(٧) سير اعلام النبلاء (٩ : ١٤٠) .

(٨) تذكرة الحفاظ (٢ : ١٨٧) .

أما مكانة ابن قتيبة في تفسير القرآن العظيم فهي مكانة طيبة فقد ألف ابن قتيبة في ذلك كتاب تأويل مشكل القرآن وكتاب تفسير غريب القرآن والقاريء لهذين الكتابين يجد ابن قتيبة أكثر ما يفسر القرآن من جهة اللغة ويستشهد على ذلك بأشعار العرب وإن كان يورد أحياناً بعض الآثار النبوية وأقوال السلف مما يدل على أنه تعلم تفسير كتاب الله حتى استطاع أن يؤلف فيه .

أما علمه بالعقيدة وأدلتها فمما لا شك فيه أنه على جانب كبير من ذلك فإن عوام المسلمين في ذلك العصر يعرفون العقيدة الصحيحة فضلاً عن علماء الأمة فإن جانب الاعتقاد مما لا يسوغ الجهل به وفي توضيح ابن قتيبة لعقيدة السلف ودفاعه عنها بالحجج الشرعية دلالة على حسن فهمه للكتاب والسنة اللذين هما أساس العقيدة وسيأتي بيان ذلك في المباحث اللاحقة .

وفوق هذا كله فقد كان ابن قتيبة مثقفاً ثقافة واسعة عارفاً بكتب الأعاجم واليهود والنصارى . والقاريء لكتب ابن قتيبة يجده يقول عن نفسه وقد قرأت في كتاب أبرويز إلى ابنه شيرويه ، وقرأت في التاج ، وقرأت في كتب العجم ، ووجدت في كتاب من كتب الروم ، وقرأت في أدب المقفّع وقرأت في كتاب للهند قديم ، وقرأت في التوراة والإنجيل وهذا واضح وكثير في مصنفاته وبالأخص في عيون الأخبار وفي المعارف مما يدل على أنه اطلع على أغلب المؤلفات في عصره العربية وغير العربية ، المترجمة وغير المترجمة فهو من أبناء العجم ومما لا شك فيه أنه يحسن لغة العجم وكل هذا يدل على أنه لم يقصر نفسه على الإطلاع على كتب اللغة أو كتب الحديث مثلاً بل اطلع على ما يزخر به عصره من ثقافات حتى صار من أكابر المثقفين وكثرة تصانيفه دالة على سعة علمه فقد ذكر أن مصنفاته بلغت ثلاثمائة مصنف وقيل خمسة وستون مصنفًا وقيل ستون^(١) . وقد حاولنا استقصاء ما

(١) انظر مقدمة الميسر والقдах (ص ٣) ، مقدمة تأويل مشكل القرآن (ص ١٠٧) .

ذكر العلماء منها وما كان منها مطبوع أو مخطوط فكانت كالآتي :

(١) تأويل مشكل القرآن :

ذكره ابن خلكان والخطيب والسيوطي والسمعاني وابن كثير وابن الأنباري والداودي والقفطي وابن العماد وغيرهم^(١) . وذكره المؤلف في أدب الكاتب وتأويل مختلف الحديث وفي كتاب الأنواء^(٢) .

وتوجد منه نسخة خطية في مكتبة كوبريلي بالقسطنطينية وأخرى في مكتبة ليدن ونسختان مخطوطتان بدار الكتب المصرية ونسخة بمكتبة مراد ملا بدمشق^(٣) . وقد حققه السيد أحمد صقر وقدم له مقدمة ضافية وطبعت الطبعة الثانية منه عام ١٣٩٣ هـ نشر دار التراث . وقد تكلم ابن قتيبة فيه عن العرب وما خصهم الله به من العارضة والبيان واتساع المجاز ورد فيه على من طعنوا في القرآن وزعموا أن فيه لحناً وتناقضاً واختلافاً وتكلم عن المتشابه وعن تفسير كثير من الآيات القرآنية ولأبي القاسم العكبري عبد الله بن محمد المتوفي عام ٥١٦ هـ كتاب حول كتاب مشكل القرآن أسماه الانتصار لحمزة فيما نسب إليه ابن قتيبة في مشكل القرآن^(٤) . وعمل محمد بن القاسم الأنباري المتوفي سنة ٣٢٨ هـ رسالة في الرد عليه^(٥) .

(٢) غريب القرآن :

ذكره ابن خلكان والخطيب والداودي والسيوطي وابن كثير وابن الأنباري

(١) انظر مواضع ترجمة ابن قتيبة من هذه الكتب فقد ذكرنا أرقام صفحاتها وأجزائها بصفحة ٤٩ ، من هذا البحث .

(٢) انظر ادب الكاتب (ص ١٩) ، تأويل مختلف الحديث (ص ٨٣ ، ٣١٤) ، كتاب الأنواء (ص ٩) .

(٣) انظر مقدمة الميسر والقudah (ص ١٤) ، مقدمة تأويل مشكل القرآن (٨٦) .

(٤) انظر مقدمة المعارف (ص ٤٢) .

(٥) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (٢ : ٧١) .

والقفطي وابن العماد الحنبلي وحاجي خليفة . ومنه نسخة خطية في الخزانة الظاهرية بدمشق رقمها ٣٣ لغة ونسخة فيها بعض الزيادات في مكتبة الشيخ عثمان قاريء بالطائف^(١) .

وقد حققه ألسيد أحمد صقر ونشرته دار الباز للنشر بمكة المكرمة عام ١٣٩٨ هـ وهو في حقيقته تمة لكتاب تأويل مشكل القرآن وقد شرع ابن قتيبة في تأليف الكتابين في زمن واحد حيث يقول في مقدمة تأويل مشكل القرآن (وأفردت للغريب كتاباً كيلاً يطول هذا الكتاب)^(٢) . ويقول في مقدمة غريب القرآن : (ثم نبتيء في تفسير غريب القرآن دون تأويل مشكلة إذ كنا قد أفردنا للمشكل كتاباً جامعاً كافياً بحمد الله)^(٣) . وقد جمع بين كتابي غريب القرآن ومشكل القرآن لابن قتيبة العلامة محمد بن أحمد بن مطرف الكناني المتوفى سنة ٤٥٤ هـ في كتاب أسماه القرطين منه نسخة قديمة في الخزانة التيمورية برقم ٥٩ لغة وقد نشرته دار الباز للنشر بمكة المكرمة في مجلد ضخّم بدون تحقيق .

(٣) غريب الحديث :

ذكره معظم من ترجم لإبن قتيبة وذكره المؤلف في كتاب الشعر والشعراء^(٤) . وقد حققه الدكتور عبد الله الجبوري وقدم عليه دراسة وافية لنيل درجة الدكتوراه من جامعة بغداد بإشراف الأستاذ أحمد ناجي القيسي وتمت مناقشته في ٢٤/١١/١٩٧٦ م وطبعته وزارة الأوقاف العراقية في ثلاثة مجلدات .

يقول ابن قتيبة في مقدمته : « . . وقد كنت زماناً أرى أن كتاب أبي

(١) مقدمة الميسر والقдах (ص ١٣) .

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص ٣٢) .

(٣) غريب القرآن (ص ٣) .

(٤) انظر الشعر والشعراء (ص ٤٤٣) .

عبيد قد جمع تفسير غريب الحديث وإن الناظر فيه مستغن به ثم تعقبت ذلك بالنظر والتفتيش والمذاكرة فوجدت ما تركه نجواً مما ذكر أو أكثر منه فتبعت ما أغفل وفسرته على نحو مما فسر^(١). وقد ذكر المحقق الدكتور عبد الله الجبوري أنه حقق غريب الحديث على عدة نسخ توجد نسختان منها في المكتبة الظاهرية بدمشق ونسخة في مكتبة جستر بيتي في مدينة دبلن في أيرلندا ونسخة في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ونسخة مغربية صورتها بعثة المخطوطات العربية من إحدى مكتبات المغرب ونسخة في مكتبة فيض الله بالآستانة^(٢).

(٤) تأويل مختلف الحديث :

ذكره عامة من يترجم لابن قتيبة وإن حصل في إسمه بعض الاختلاف فبعضهم يسميه مشكل الحديث كإبن خلكان والخطيب والسمعاني وإبن الأنباري والقفطي وبعضهم يسميه مختلف الحديث كالداودي والسيوطي وبعضهم يسميه إختلاف تأويل الحديث كحاجي خليفة ، ودار الكتب المصرية نسخة منه برقم ع ٢٠٠ م مجاميع باسم الرد على من قال بتناقض الحديث^(٣). وقد طبعه السيد محمود شابندر البغدادي بمطبعة كردستان العلمية بالقاهرة سنة ١٣٢٦ هـ على ثلاث نسخ الأولى في دار الكتب المصرية كتبت سنة ١٢٥٣ هـ . والثانية في خزانة العلامة السيد محمود شكري الألوسي منقولة عن نسخة المكتبة المرجانية ببغداد . والثالثة للعلامة السيد جمال الدين القاسمي منقولة عن نسخة إختلاف الحديث الموجودة بالخزانة الظاهرية بدمشق برقم ٣٠٣ كتبت سنة ٤٠١ هـ وعليها خطوط العلماء وهي أجود أصل للنسخة التي طبعت بالقاهرة^(٤). وقد طبعته أيضاً دار الجيل

(١) غريب الحديث (ص ١٥٠) .

(٢) انظر مقدمة المحقق لغريب الحديث (ص ٩٠ ، ١٠٩) .

(٣) انظر كتاب المعارف (ص ٤٥) .

(٤) مقدمة الميسر والقдах (ص ١٦) .

بلبنان بتصحیح محمد زهدي النجار عام ١٣٩٣ هـ . وهو كتاب فريد من نوعه رد فيه على مثالب أهل الكلام لأهل الحديث وانتصر فيه لمذهب السلف على مخالفهم ودافع عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ضد من تنقصهم من الرافضة وأهل الكلام وجمع بين الأحاديث التي يوهم ظاهرها التعارض وقد كشف عن عقيدته في هذا الكتاب كما سيأتي إن شاء الله .

(٥) إصلاح غلط أبي عبيد في الحديث :

ذكره معظم من ترجم لابن قتيبة . وقد استدرك فيه ابن قتيبة على أبي عبيد في نيف وخمسين موضعاً^(١) وذكر فيه الأحاديث التي وقع فيها زلل عند أبي عبيد وبين في مقدمته منهجه في النقد وأن ذلك لا يغض من منزلة أبي عبيد^(٢) رحمه الله فقال : « ولا نعلم أن الله عز وجل أعطى أحداً من البشر موثقاً من الغلط وأماناً من الخطأ فنستكشف له منها بل وصل عباده بالعجز وقرنهم بالحاجة ووصفهم بالضعف والعجلة فقال : ﴿ وخلق الإنسان ضعيفاً ﴾ .. النساء : ٢٨ ، ﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ الأنبياء : ٣٧ ، ﴿ وفوق كل ذي علم عليم .. ﴾ يوسف : ١٦ ، ولا نعلمه خص بالعلم قوماً دون قوم ولا وقفه على زمن دون زمن بل جعله مشتركاً مقسوماً بين عباده يفتح للآخر منه ما أغلقه عن الأول وينبه المقل منه على ما أغفل عنه المكثّر ويحييه بمتأخر يتعقب قول متقدم وتال يعتبر على ماض وأوجب على كل من

(١) انظر المعارف (ص ٤٤) ، الميسر والقداح (ص ١٥) .

(٢) هو القاسم بن سلام البغدادي ابنو عبيد الفقيه القاضي صاحب التصانيف روى عن هشيم وإسماعيل بن عياش والأصمعي ويحيى القطان وابن المبارك وابن عيينة وخلق كثير وروى عنه سعيد بن أبي مريم المصري وعبد الله الدارمي وغيرهم . ولي قضاء طرسوس وصنف كتاباً كثيرة توفي بمكة سنة ٢٢٤ هـ . قال إسحاق بن راهويه الحق يحبه الله أبو عبيد أفقه مني وأعلم مني وقال ابن معين ثقة وقال الدارقطني ثقة وقال الحاكم هو الإمام المقبول عند الكل وقال ابن حبان في الثقات كان أحد أئمة الدنيا صاحب حديث وفقه ودين وورع ومعرفة بالأدب وأيام الناس .

أنظر تهذيب التهذيب (٨ : ٣١٨) ، شذرات الذهب (٢ : ٥٤) .

علم شيئاً من الحق أن يظهره وينشره وجعل ذلك زكاة العلم . . . ونذكر الأحاديث التي خالفنا الشيخ أبا عبيد رحمه الله في تفسيرها على قلتها في جنب صوابه وشكرنا ما نفعنا الله به من علمه»^(١) .

وقد شرحه أبو المظفر محمد بن آدم الهروي المتوفى سنة ٤١٤ هـ ونقده عبد المجيد بن عبدون الفهري المتوفى سنة ٥٢٧ هـ ويوسف بن عبد الله التميمي المتوفى سنة ٣٣٦ هـ . ومحمد بن نصر المروزي المتوفى سنة ٢٩٤ هـ وانتصروا لأبي عبيد على ابن قتيبة^(٢) .

(٦) أدب الكاتب :

ذكره ابن النديم وابن خلكان والسمعاني وابن كثير والقفطي بهذا الاسم وذكره الخطيب وابن الأنباري باسم أدب الكتاب ويرجح هذه التسمية الشرح الذي وضعه ابن السيد البطلوسي المتوفى سنة ٤٢١ هـ عليه وسماه الإقتضاب في شرح أدب الكتاب وقد تعرض له بالشرح غير ابن السيد كثيرون منهم أبو منصور الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ وأحمد بن داود الجذامي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ وإسحاق بن إبراهيم الفارابي المتوفى سنة ٣٥٠ هـ . كما شرح بعضهم خطبته مثل أبو القاسم الزجاجي المتوفى سنة ٣٥٠ هـ ومبارك بن فخر النحوي المتوفى سنة ٣٣٨ هـ وشرح أبياته أحمد بن محمد الخازرنجي المتوفى سنة ٣٤٨ هـ^(٣) ويقول محب الدين الخطيب : « وأخبرني الأستاذ الفاضل الشيخ خليل الخالدي المقدسي أن في خزانة نورعثمانية بالقسطنطينية شرحاً على أدب الكاتب لابن الخشاب بخطه ولشيخنا العلامة المحقق الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله تلخيص أدب الكاتب طبعناه سنة ١٣٣٧ هـ »^(٤) .

(١) إصلاح الغلط ، مخطوط منه صورة على ميكروفيلم بمركز البحث العلمي رقم (٥٢) .

(٢) انظر غريب الحديث لابن قتيبة (١ : ٧٦) .

(٣) انظر المعارف (ص ٤٨) ، الميسر والقдах (ص ١٨) .

(٤) الميسر والقдах (ص ١٩) .

وقد طبع أدب الكاتب سيرول في ليسيك سنة ١٨٧٧ م مع خلاصة انجليزية وأعاد طبعه ماكس غرونرت في ليدن سنة ١٩٠٠ م وطبع في مصر مراراً وقد حقق الطبعة الثالثة منه السيد محمد محيي الدين عبد الحميد سنة ١٣٧٧ هـ وهو يشتمل على أربعة كتب :

(١) كتاب المعرفة .

(٢) كتاب تقويم اليد .

(٣) كتاب تقويم اللسان .

(٤) كتاب الأبنية .

وقد قال عنه الشاعر أبو منصور العبدوني :

أدب الكاتب عندي ماله في الكتب ند

ليس للكاتب عنه إن أراد العلم بد^(١)

وقد ألف أبو الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كيسان كتاباً في نقده أسماه « غلط أدب الكاتب »^(٢) .

(٧) كتاب معاني الشعر الكبير :

ويحتوي على اثني عشر كتاباً وهي كتاب الفرس ستة وأربعون باباً وكتاب الإبل ستة عشر باباً وكتاب الحرب عشرة أبواب وكتاب القدور عشرون باباً وكتاب الديار عشرة أبواب وكتاب الرياح واحد وثلاثون باباً وكتاب السباع والوحوش سبعة عشر باباً وكتاب الهوام أربعة عشر باباً وكتاب الإيمان والدواهي سبعة أبواب وكتاب النساء والغزل باب واحد وكتاب الشيب والكبر ثمانية أبواب وكتاب تصحيف العلماء باب واحد ويوجد في خزانة آيا صوفيا بالقسطنطينية الجزء الأول من كتاب المعاني برقم ٤٠٥٠ وهو في الخيل وفي خزانة المكتب الهندي بلندن الجزء الثاني منه وأوله باب الذباب^(٣) وقد طبع

(١) انظر مقدمة أدب الكاتب (ص ٢) .

(٢) انظر مقدمة تأويل مشكل القرآن (ص ٢٣) .

(٣) انظر مقدمة المبسر والقдах (ص ١٩) ، فهرست ابن النديم (ص ١١٥) .

الموجود منه في الهند سنة ١٣٦٨ هـ في ثلاثة مجلدات عدد صفحاتها ١٢٧٠ صفحة من القطع الكبير غير فهرسها والكتاب الثاني عشر منه وهو تصنيف العلماء من الأقسام الضائعة من الكتاب . وقد ألف ابن المرزبان عبد الله بن جعفر بن درستويه في نقده كتاباً جعل عنوانه « الرد على ابن قتيبة في تصنيف العلماء » (١) .

(٨) عيون الأخبار :

ذكره معظم من ترجم لإبن قتيبة وقد طبعته دار الكتب المصرية سنة ١٣٤٣ هـ ثم طبعته الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٣ م في أربعة أجزاء طباعة حسنة وهو يحتوي على عشرة كتب وهي :

كتاب السلطان وكتاب الحرب وكتاب السؤدد وكتاب الطبائع والأخلاق وكتاب العلم وكتاب الزهد وكتاب الإخوان وكتاب الحوائج وكتاب الطعام وكتاب النساء .

ولكتاب عيون الأخبار أهمية كبيرة عند جلة الأدباء فقد قال أبو بكر بن دريد (٢) وقد تذاكر مع جماعة من جلسائه متزهات الدنيا وسمى كل منهم أنزه مكان رآه - هذه متزهات العيون فأين أنتم عن متزهات القلوب ؟ فقالوا له وما هي ؟ فقال عيون الأخبار للقتبي والزهرة لإبن داود وقلق المشتاق لإبن أبي طاهر (٣) . وقد قال إبن قتيبة في وصف كتابه عيون الأخبار : « وهذه عيون

(١) مقدمة تأويل مشكل القرآن (ص ٢٦) .

(٢) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي . ولد بالبصرة ونشأ بعمّان وطلب علم النحو وأخذ عن أبي حاتم السجستاني وأبي الفضل الرياشي وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي وكان من أكابر علماء العربية مقدماً في اللغة وأنساب العرب وأشعارهم أخذ عنه أبو سعيد السيرافي وأبو عبيد الله المرزباني وكان شاعراً كثير الشعر فمن ذلك المقصورة المشهورة وله من الكتب كتاب الجمهرة في اللغة وكتاب الخيل وغيرها سئل عنه الدارقطني رحمه الله فقال تكلموا فيه مات سنة ٣٢١ هـ . أنظر نزهة الألباء (ص ٢٥٦) .

(٣) أنظر مقدمة تأويل مشكل القرآن (ص ٢١) .

الأخبار نظمتها لمغفل التأدب تبصرة ولأهل العلم تذكرة ولسائس الناس ومسوسهم مؤدباً وللملوك مستراحاً من كدّ الجدّ والتعب . . . ولم أر ضواً بأن يكون كتابي هذا وفقاً على طالب الدنيا دون طالب الآخرة ولا على خواص الناس دون عوامهم ولا على ملوكهم دون سوقتهم . فوفيت كل فريق منهم قسمه ووفرت عليه سهمه وأودعته طرفاً من محاسن كلام الزهاد في الدنيا وذكر فجائعها والزوال والانتقال وما يتلاقون به إذا اجتمعوا ويتكاتبون به إذا افترقوا في المواعظ والزهد والصبر والتقوى واليقين وأشبه ذلك لعل الله يعطف به صادفاً ويأطر على التوبة متجانفاً ويردع ظالماً ويلين برقائه قسوة القلوب ولم أخله مع ذلك من نادرة طريفة وفطنة لطيفة وكلمة معجبة وأخرى مضحكة . . . وإنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الأكلين» (١) .

(٩) كتاب المعارف :

ذكره أغلب من ترجم لإبن قتيبة . وقد ذكره المؤلف في كتابه عيون الأخبار (٢) .

وقد طبع كتاب المعارف في جوتنجن سنة ١٨٥٠ م بعناية المستشرق أ . ف . وستفيلد وطبع في مصر سنة ١٣٥٣ هـ بتصحيح وتعليق محمد اسماعيل عبد الله الصاوي ونشرته المكتبة الحسينية في القاهرة وقد حققه أخيراً الدكتور ثروت عكاشة وخدمه خدمة ممتازة واعتمد في تحقيقه على سبع نسخ خطية ونشرته دار المعارف بمصر إذ صدرت الطبعة الثانية منه عام ١٩٦٩ م .

ويوجد في المكتبة الظاهرية بدمشق كتاب بعنوان تاريخ ابن قتيبة برقم ٨٠ تاريخ وقد ظن بعض الباحثين بأنه كتاب في التاريخ غير كتاب المعارف

(١) عيون الأخبار (١ : ١٠ ، ١٢) .

(٢) أنظر عيون الأخبار (١ : ١٦) .

حتى أطلع عليه الأستاذ إسحاق الحسيني والأديب السيد أحمد عبيد فإذا هو نسخة من كتاب المعارف^(١) وقد زعم أبو بكر محمد بن يحيى الصولي أن كتاب المعارف منقول من كتاب المحبر لابن حبيب^(٢) وقد أطلعت على الكتابين المعارف والمحبر فظهر لي أن ابن قتيبة اطلع على كتاب المحبر واستفاد منه كثيراً خاصة في باب صناعة الأشراف وأهل العاهات والعرج والصم غير أن ابن قتيبة لا ينقل حرفياً بل يختصر أحياناً ويطول أحياناً وقد تعرض ابن قتيبة لأشياء كثيرة لم يتعرض لها ابن حبيب كذكر الفرق المخالفة لأهل السنة من أباضية ورافضة وقدرية وذكر ابن حبيب أشياء لم يذكرها ابن قتيبة كأسماء أصحاب الكهف وغير ذلك واتفاقهما في نقل بعض الأخبار والحوادث لا يجعل الكتابين كتاباً واحداً فإن الحادثة يذكرها عدة مؤرخين ويتفقون في نقلها ولا ضير في ذلك والناظر في تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير وتاريخ ابن كثير يحد موافقات تجل عن الحصر ولم يعب أحد على اللاحق ما استفاده من السابق . وبهذا يظهر تجني ابن الصولي على ابن قتيبة رحمه الله . وكتاب المعارف لابن قتيبة يشتمل على أمور مهمة وفوائد جمة ولنستمع إليه الآن في وصف كتابه إذ يقول : « . . . وكتابي هذا يشتمل على فنون كثيرة من المعارف أولها : مبدأ الخلق وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأزمانهم وحلالمهم وأعمارهم وأعقابهم وافتراق ذرائعهم ونزولهم في مشارق الأرض ومغاربها وأسياف البحار والفلوات والرمال إلى أن بلغت زمن المسيح عيسى عليه السلام والفترة بعده . ووصلت ذلك بذكر أنساب العرب مختصراً لذلك ومقتصراً على العمائر ومشهور البطون . ثم اتبعته أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسبه وذكر عمومته وعماته وخالاته وجداته لأبيه وأمه وأظاره وأزواجه وأولاده ومواليه وأحواله في مبعثه ومغازيه إلى أن قبض

(١) أنظر مجلة الرسالة عدد ٨٤ سنة ١٩٣٥ م (ص ٢١٦) ، مقدمة محقق كتاب المعارف (ص

٦٣) .

(٢) أنظر (ص ١) من الفاخر للمفضل بن سلمة .

صلى الله عليه وسلم وأخبار العشرة من المهاجرين رحمهم الله ثم الصحابة المشهورين ثم الخلفاء من لدن معاوية بن أبي سفيان إلى أحمد بن محمد ابن المعتصم المستعين بالله^(١) والمشهورين من صحابة السلطان والخارجين عليهم من الخوارج ، ثم التابعين ومن بعدهم من حملة الحديث وأصحاب الرأي ومن عرف منهم بالرفض والتشيع والإرجاء والقدر . . . »^(٢) .

(١٠) الميسر والقداح :

وقد ذكره أغلب من ترجم لإبن قتيبة وحققه السيد محب الدين الخطيب وطبعه عام ١٣٤٢ هـ بالمطبعة السلفية . وقد قال ابن قتيبة في مقدمته : « أما بعد فإنك كتبت تعلمني تعلق قلبك بالميسر وكيفيته والقداح وحفظها والياسرين وأحوالهم ومعرفة ما في الميسر من النفع الذي ذكره الله في القرآن وأنت لم تجد فيه لأحد من علماء اللغة مقالاً كافياً ولا قرأت فيه لمتقدم من السلف خبراً شافياً . وتساءل أن أكتب اليك بذلك كتاباً يوضحه لك ويسهله عليك حتى كأنك للأمر حاضر وبالقداح ياسر وقد كلفت رحمك الله شططاً وحاولت عسيراً لأن الميسر أمر من أمور الجاهلية قطعه الله بالإسلام فلم يبق عند الإعراب إلا النبذ منه اليسير وعند علمائنا إلا ما أدى إليهم الشعر القديم من غير أن يجدوا فيه أخباراً تؤثر أو روايات تحفظ ولما رأيت شغفك بهذا الفن أحببت إسعافك بما أمكن منه وتعذر عليّ من قول العلماء فيه ما تعذر عليك ولم أجد السبب إلى ما التمسته إلا جمع الأبيات في الميسر وتدبرها والاستدلال على كيفيته باعتبارها . . . »^(٣) . وقد لفت نظري في هذه المقدمة عبارتان : الأولى (فإنك كتبت تعلمني تعلق قلبك بالميسر وكيفيته) .

(١) ذكر ابن قتيبة بعد المستعين ثلاثة خلفاء وهم المعتز بالله ومحمد المهدي والمعتمد على الله فلعله ألّف كتابه في خلافة المستعين ثم الحق أولئك أخيراً والله أعلم .

(٢) المعارف (ص ٣ ، ٤) .

(٣) الميسر والقداح (ص ٢٦) .

الثانية : « ولما رأيت شغفك بهذا الفن أحبيت إسعافك بما أمكن

منه » .

وهاتان العبارتان قد توحيان للقارئ بأن السائل يعشق الميسر وأن قلبه متعلق به وأنه سأل عنه ليمارسه . وقد يكون غرض السائل معرفة الميسر على حقيقته لكي يجتنبه ويحذر منه كما يسأل سائل عن تعريف الشرك والسحر لا ليعلمه ولكن ليجتنبه . فإن كان هدف السائل هذا فلا ضير على ابن قتيبة في تعريف الميسر له كما تعرف سائر الأمور المحرمة . وهذا ما نظنه بإبن قتيبة ونربي به عن غيره فإنه لو كان يعلم الميسر لرجل شغوف به ليعمله لكان شريكه في الإثم غير أن تعبيره عن طلب المعرفة بالشيء بالتعلق والشغف تعبير غير سديد في نظري فإن التعلق والشغف من علامات شدة المحبة والوجد بالشيء والميسر لا يحبه مؤمن كامل الإيمان . والعلم عند الله تعالى .

(١١) المسائل والأجوبة .

ذكره بهذا الإسم الداودي والسيوطي . وذكره إبن النديم وإبن خلكان والقفطي بإسم المسائل والجوابات . ومنه نسخة بدار الكتب المصرية (٦ لغة ش) وهو طائفة من الأحاديث والأخبار فسرّها إبن قتيبة على جهة السؤال والجواب لذلك سمي بالمسائل وهو يضيف جديداً إلى جهود ابن قتيبة في علم غريب الحديث ويعدّ تمة لكتابه غريب الحديث وإصلاح الغلط كما أنه يحتوي جملة نافعة من المواد اللغوية التي يفيد منها الدارس اللغوي وفيه مباحث حديثة وعقدية مهمة . وقد نشره حسام الدين القدسي في مطبعة السعادة سنة ١٣٤٩هـ على نسخة واحدة بخط الشقيطي محمد محمود بن التلاميذ المتوفى عام ١٣٢٢هـ ثم أعاد نشره السيد شاكر العاشور في مجلة المورد البغدادية (ص ٢٣٤) العدد الرابع سنة ١٩٧٤م على نسخة أخرى تحتفظ بها مكتبة عاشر أفندي في إستنبول وهناك نسخة أخرى في خزانة أيا

صوفيا في استنبول برقم ٤٥٧ ونسخة أخرى أيضاً في برلين (مخطوطات جوتة)^(١) .

(١٢) كتاب الأشربة .

ذكره معظم من ترجم لابن قتيبة وذكره المؤلف في كتابه الميسر والقдах والشعر والشعراء وعيون الأخبار^(٢) . وتوجد منه نسخة خطية في لندن وأخرى في دار الكتب المصرية (الرسالة العاشرة في المجموعة رقم ١٦٦)^(٣) وقد طبعه المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٢٦٦هـ بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي ونشر أكثره المستشرق أرثورك في مجلة المقتبس المجلد الثاني من (ص ٢٣٤) إلى (ص ٢٤٨)^(٤) .

(١٣) كتاب الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة .

وقد ذكره ابن النديم والداودي والسيوطي والقفطي باسم الرد على المشبهة . وقد طبع الكتاب في مطبعة السعادة سنة ١٣٤٩هـ ، باسم « الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة » بتحقيق الشيخ زاهد الكوثري . ونشره كذلك بهذا الاسم علي سامي الشار وعمار جمعي الطالبي سنة ١٩٧١م ضمن مجموعة عقائد السلف . وتحتوي هذه المجموعة على كتاب أحمد بن حنبل (الرد على الزنادقة والجهمية) وكتاب ابن قتيبة المذكور آنفاً وكتاب خلق أفعال العباد للإمام البخاري وكتاب رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد علي المريسي العنيد . وقد أبان ابن قتيبة في كتابه هذا عن عقيدة السلف فتكلم عن القرآن وأنه كلام الله تعالى وعن القدرية ورد عليهم بالحجج الدامغة وتطرق فيه لكثير من مباحث العقيدة كما سيأتي .

(١) أنظر مقدمة غريب الحديث للدكتور عبد الله الجبوري .

(٢) أنظر الميسر والقдах (ص ٣٦) ، الشعر والشعراء (ص ٥٤ ، ٨٩) ، عيون الأخبار (١) :

(١٦) .

(٣) الميسر والقдах (ص ١٧) .

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص ٢٥) ، وقارن بكتاب المعارف (ص ٤٧) .

(١٤) كتاب الأنواء :

ذكره كثير من الذين ترجموا لابن قتيبة وذكره هو في كتابه المعاني^(١) .
وقد طبع الكتاب عام ١٣٧٥هـ بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية
بـحيدر أباد بالهند وتوجد للكتاب اربع نسخ منها نسختان في مكتبة أوكسفورد
بإنجلترا ونسخة في مكتبة الآباء الكرمليين في بغداد ونسخة في الخزانة
التركية بمصر^(٢) . وقد تكلم ابن قتيبة في كتاب الأنواء عن معنى النوء وعن
منازل القمر وكيف يكون الطلوع والغروب وأسماء كواكب الجوزاء وذكر
البروج وذكر الكواكب الخنسى وذكر الكواكب المنسوبة إلى سهيل ثم بين
كيف يكون الاهتداء بالنجوم والمسير بطلوعها وغروبها إلى غير ذلك من
المباحث ولم يعتمد المؤلف في كتابه هذا على ما ترجم من كتب الفلك بل
اقتصر على استنتاج هذا الفن من أشعار العرب اذ يقول في مقدمة كتابه :
(وكان غرضي في جميع ما انبأت به الإقتصار على ما تعرف العرب في ذلك
وتستعمله دون ما يدعيه المنسوبون الى الفلسفة من الأعاجم ودون ما يدعيه
أصحاب الحساب ، فإنني رأيت علم العرب بها هو العلم الظاهر للعيان
الصادق عند الإمتحان النافع لنازل البر وراكب البحر وابن السبيل)^(٣) .

(١٥) كتاب الشعر والشعراء .

ذكره بهذا الاسم ابن النديم وذكره ابن خلكان والداودي والسيوطي
والقفطي وابن العماد باسم طبقات الشعراء وذكره المؤلف في كتابه المعارف
باسم كتاب الشعر^(٤) . وقد طبع هذا الكتاب في لندن سنة ١٨٧٥م ثم أعيد
طبعه فيها سنة ١٩٠٢م بتحقيق المستشرق دي غويه^(٥) ثم طبعه أحمد محمد

(١) أنظر المعاني (١ : ٣٧٥ ، ٧٣٨) .

(٢) أنظر مقدمة الأنواء .

(٣) كتاب الأنواء (ص ٢) .

(٤) المعارف (١ : ١٦) .

(٥) تاويل مشكل القرآن (ص ٢٣) .

شاكر في مصر سنة ١٣٦٦هـ ويقع الكتاب في مجلدين كبيرين .

(١٦) كتاب العرب .

ذكره ابن قتيبة في كتابه عيون الأخبار فقال : « وقد أفردت للشعراء كتاباً وللشعر باباً طويلاً في كتاب العرب »^(١) . وقد ذكره ابن النديم باسم كتاب التسوية بين العرب والعجم وقال الشيخ محب الدين الخطيب : « وقد أطلعت في دار الكتب المصرية على نسخة قديمة منه كتبت سنة ٥٨٩هـ وهي في جزئين صغيرين كتب في آخرهما تم كتاب العرب وعلومها وكتب في أول الجزء الثاني : الجزء الثاني في فضل العرب على العجم . وأما الجزء الأول فناقص الأول وفيه خرم كبير »^(٢) .

وقد طبع السيد محمد كرد علي ما وجد منه في رسائل البلغاء من (ص ٢٦٩ - ٢٩٥) .

(١٧) كتاب عيون الشعر .

ذكره ابن النديم وقال إنه يحتوي على عشرة كتب وهي كتاب المراتب كتاب القلائد ، كتاب المحاسن ، كتاب المشاهد ، كتاب الشواهد ، كتاب الجواهر ، كتاب المراكب ، كتاب المناقب ، كتاب المعاني ، كتاب الحوائج^(٣) .

(١٨) كتاب المراتب والمناقب .

ذكره ابن النديم والظاهر أنه كتاب من كتب عيون الشعر العشرة المتقدمة .

(١٩) ديوان الكتاب .

ذكره ابن النديم والداودي والسيوطي وقد يكون هو أدب الكاتب .

(١) عيون الأخبار (٢ : ١٨٥) .

(٢) الميسر والقдах (ص ٢١) .

(٣) الفهرست (ص ٨٦) تحقيق رضا .

- (٢٠) تقويم اللسان .
 ذكره صاحب كشف الظنون والظاهر أنه ليس كتاباً مستقلاً بل هو احد الكتب الأربعة التي يشتمل عليها أدب الكاتب .
- (٢١) خلق الانسان .
 ذكره ابن النديم والداودي والسيوطي وحاجي خليفة .
- (٢٢) جامع النحو الكبير وجامع النحو الصغير .
 ذكرهما ابن النديم والداودي والسيوطي والفقفي وحاجي خليفة .
- (٢٣) الحكاية والمحكي . ذكره ابن النديم .
- (٢٤) فرائد الدرر . ذكره ابن النديم .
- (٢٥) حكم الأمثال . ذكره ابن النديم .
- (٢٦) آداب العشرة . ذكره ابن النديم .
- (٢٧) كتاب العلم . ذكره ابن النديم وقال هو خمسون ورقة .
- (٢٨) كتاب القلم . ذكره السيوطي في البغية .
- (٢٩) الجوابات الحاضرة . ذكره في بغية الوعاة وكشف الظنون وقد يكون هو المسائل والأجوبة متقدم الذكر .
- (٣٠) كتاب الخيل . ذكره ابن النديم وابن خلكان والسيوطي .
- (٣١) كتاب الحيل . ذكره صاحب كشف الظنون .
- (٣٢) تعبير الرؤيا .

ذكره ابن قتيبة في كتابه عيون الأخبار^(١) وأبو الطيب اللغوي في مراتب النحويين وابن النديم ومنه نسخة مخطوطة في الخزانة التيمورية برقم ١٤٢٥ تاريخ . وقد قال عنه الشيخ علي الطنطاوي (إطلعت على نسخة منه في الخزانة التيمورية من رواية أحمد بن مروان المالكي عن ابن قتيبة وهو يقع

(١) عيون الأخبار (١ : ١٦) .

في ١٣٤ صفحة . . وقدم له بمقدمة قيمة تقع في أكثر من أربعين صفحة وتأتي من بعدها أبواب الكتاب وهي سنة وأربعون باباً^(١) .

(٣٣) معجزات النبي صلى الله عليه وسلم .
ذكره أبو الطيب اللغوي في مراتب النحويين .

(٣٤) دلائل النبوة من الكتب المنزلة على الأنبياء .
ذكره ابن النديم وابن الأنباري والسيوطي بكشف الظنون .

(٣٥) أعلام النبوة .
ذكره السخاوي^(٢) وقد يكون هو دلائل النبوة المتقدم .

(٣٦) جامع الفقه . ذكره ابن النديم .

(٣٧) كتاب التفقيه .

ذكره ابن خلكان وحاجي خليفة وابن النديم وقال رأيت منه ثلاثة أجزاء نحو ستمائة ورقة بخط برك وكانت تنقص على التقريب جزئين وسألت عن هذا الكتاب جماعة من أهل الخط فزعموا انه موجود وهو اكبر من كتب البندنجي^(٣) وأحسن من كتبه .

(٣٨) كتاب معاني القرآن . ذكره السيوطي في البغية .

(٣٩) كتاب القراءات . ذكره ابن النديم .

(٤٠) إعراب القراءات . ذكره ابن خلكان بهذا الاسم وذكره ابن النديم باسم إعراب القرآن .

(١) مجلة الرسالة عدد ٨٤ ، ٨٥ سنة ١٩٣٥ م . السنة الثالثة (ص ٢١٦) .

(٢) أنظر الإعلان بالتبويب لمن ذم التاريخ للسخاوي (ص ٩١) .

(٣) هو اليمان بن أبي اليمان البندنجي وكان ضريراً شاعراً عارفاً باللغة لقي ابن السكيت وغيره من علماء البصريين والكوفيين وله من الكتب كتاب التفقيه ، كتاب معاني الشعر ، كتاب العروض .

أنظر الفهرست لابن النديم (ص ١٢٢) .

(٤١) الرد على القائل بخلق القرآن .

ذكره السيوطي في البغية وقد يكون هو كتاب اختلاف اللفظ والرد على المشبهة فإنه رد فيه على من قال بخلق القرآن .

(٤٢) آداب القراءة . ذكره حاجي خليفة .

(٤٣) استماع الغناء بالألحان . ذكره حاجي خليفة .

(٤٤) كتاب التفسير . ذكره القاضي عياض^(١) .

(٤٥) كتاب الجرائيم .

قال عنه سيد صقر : « توجد منه نسخة خطية عتيقة في المكتبة الظاهرية (٥٩ لغة) تقع في ٤٤٠ صفحة كتب عليها « كتاب الجرائيم مستوعب لأسماء أصول العالم والبهائم والوحش والطيور والسباع والهوام وكل نسمة تعرف ومتصرفاتهم وأفعالهم وأسماء أنواع الأرض والشجر والنبات وغير ذلك والوحوش وقوافي الشعر » تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم ومجلد كتاب الجرائيم هذا يحتوي عدة كتب لغوية نشر منها الأب مورييس بويجس كتاب النعم والبهائم والوحوش والسباع والطيور وحشرات الأرض سنة ١٩٠٨م ونسبه لأبي عبيد القاسم بن سلام . كما نشر الدكتور أوغست هفنز كتاب النخل والكرم في مجلة المشرق ونسبه للأصمعي ثم أعاد نشره الأب لويس شيخوفي المجموعة اللغوية التي سماها البلغة في شذور اللغة . ولكنه لم يرتض نسبته للأصمعي ونسبه لأبي عبيد وقد نشر شيخو أيضاً من كتاب الجرائيم كتاب الرحل والمنزل وشك في نسبته لابن قتيبة لأنه لم يذكره أحد ضمن مصنفاته ومال إلى أنه لأبي عبيد . وقد نشر أيضاً من تلك المجموعة فصلاً عنوانه أبواب اللبن والشراب ولم يحاول نسبته إلى أحد غير ابن قتيبة »^(٢) .

(١) ترتيب المدارك (٣ : ٢٩٢) .

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص ٣٠) .

ويقول محب الدين الخطيب : « وإذا صحت نظرية أن كتاب الجرائم
مجموعة لمؤلفين متعددين فلا يبعد أن يكون فيها قطعة أو أكثر لابن قتيبة فكان
ذلك باعثاً على نسبة الكتاب إليه في هذه النسخة المخطوطة » (١) .

(٤٦) كتاب الوحش . ذكره ابن قتيبة في كتابه الأنواء (٢) .

(٤٧) كتاب الصيام . ذكره ابن قتيبة في كتاب الأنواء (٣) .

(٤٨) كتاب الوزراء . ذكره ابن منظور في لسان العرب (٤) .

(٤٩) كتاب آلة الكتاب . ذكره ابن السيد البطليوسي (٥) .

(٥٠) كتاب صناعة الكتابة . ذكره الخزاعي (٦) .

(٥١) أرجوزة الظاء والضاد . نشرها داوود جليبي في مجلة لغة العرب (٧) :

٤٦١ - ٤٦٣) .

وقد نشرت جريدة المدينة المنورة في عدد ٤٩٩٥ يوم الخميس ١٧ من
شهر شوال سنة ١٤٠٠ هـ في الصفحة ١١ أرجوزة الظاء والضاد . قال ناشرها
د . أحمد عبد الرحيم مصطفى إنها موجودة في خزانة كتب مدرسة الحجيات
في الموصل تحت رقم ٤٢ وفي مقدمتها :

(١) أفضل ما فاه به الإنسان وخير ما يجري به اللسان

(٢) حمد الإله والصلاة بعده على نبي فهو أسنى عنده

(٣) محمد وآله الأبرار وصحبه الأفاضل الأخيار

وآخرها !

(١) أنظر مقدمة الميسر والقдах (ص ٢٤) .

(٢) الأنواء (ص ٤٣) .

(٣) الأنواء (ص ١٣٠) .

(٤) لسان العرب (١٣ : ١٤٣) .

(٥) الإقتضاب (ص ٨٧) .

(٦) الدلالات السمنية (ص ٣٥٨) .

- (١) والمظّرمان الجبال فاعلم ومضه بالشتم زيد فافهم
(٢) وناظراً إلى العيون الناظرة كرامق إلى الوجوه الناضرة
(٣) وللرجال والسباع ظفر والرجل القصير فهو ضفر

(٥٢) سير العجم . ذكره ابن السراج^(١) .

(٥٣) رسالة في فضل أبي بكر الصديق .

مخطوطة في عشر ورقات مخرومة الآخر توجد في مكتبة الأوقاف العامة
ببغداد برقم ٩ / ٩٩٣٠ - ٩٩٣٦ مجاميع . ذكرها الدكتور عبد الله
الجبوري^(٢) .

وقد ذكر بروكلمان بأن لابن قتيبة تفسير سورة النور نشر بالقاهرة عام
١٣٤٣هـ وكتاب الألفاظ المغربية بالألقاب المعربة ، مكتبة القرويين بفاس رقم
١٢٦٢ وكتاب تلقين المتعلم في النحو - باريس أول ٤٧١٥ وكتاب منتخب
اللغة وتواريخ الغرب : القاهرة ثاني ٢ / ٤١^(٣) . ولم يذكر هذه الكتب أحد
غير بروكلمان حسب علمي فالله أعلم هل هي له أم منحوالة عليه .

وينسب إلى ابن قتيبة كتاب الإمامة والسياسة . وقد طبع هذا الكتاب
في القاهرة سنة ١٣٢٢هـ ثم أعادت طبعه مطبعة الفتوح الأدبية بمصر سنة
١٣٣١هـ وأخيراً نشرته مؤسسة الحلبي سنة ١٣٧٨هـ في جزئين بتحقيق
الدكتور طه الزيني . وقد أطلعت على هذه الطبعة فوجدت أن المحقق
سامحه الله لم يجز على عادة المحققين فلم يذكر للكتاب سنداً ولا سماعات
ولا أدري على أي أساس نسب الكتاب إلى ابن قتيبة وهو لم يذكره جميع
من ترجموا له إلا منفاً عنه ولم يشر إلي نفي العلماء لكتاب الإمامة والسياسة
عن ابن قتيبة مما يجعل تحقيق هذا الرجل لا وزن له بتاتاً .

(١) مصارع العشاق (ص ٤٧٣) .

(٢) فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف ببغداد (٤ : ٢٣٦) .

(٣) أنظر تاريخ الأدب العربي (٢ : ٢٢٩) .

وقد كتب الأستاذ عبد الله عسيان مقالاً في مجلة كلية اللغة العربية بالرياض أثبت فيه بطلان نسبة كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة من إثني عشر وجهاً نلخصها فيما يلي :

(١) إن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألف كتاباً في التاريخ يدعى الإمامة والسياسة ولا نعرف من مؤلفاته التاريخية إلا كتاب المعارف .

(٢) إن المتصفح للكتاب يشعر أن ابن قتيبة أقام في دمشق والمغرب في حين أنه لم يخرج من بغداد إلا إلى الدينور . قلت بل خرج أيضاً إلى مكة ونيسابور كما تقدم لكنه لم يذهب إلى الشام أو المغرب .

(٣) إن المنهج والأسلوب الذي سار عليه مؤلف الإمامة والسياسة يختلف تماماً عن منهج وأسلوب ابن قتيبة في كتبه التي بين أيدينا ومن الخصائص البارزة في منهج ابن قتيبة أنه يقدم لمؤلفاته بمقدمات طويلة يبين فيها منهجه والغرض من مؤلفاته وعلى خلاف ذلك يسير صاحب الإمام والسياسة فمقدمته قصيرة جداً لا تزيد على ثلاثة أسطر هذا إلى جانب الاختلاف في الأسلوب ومثل هذا النهج لم نعهده في مؤلفات ابن قتيبة .

(٤) يروي مؤلف الكتاب عن ابن أبي ليلى بشكل يشعر بالتلقي عنه وابن أبي ليلى هذا هو محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى الفقيه قاضي الكوفة المتوفي سنة ١٤٨هـ والمعروف أن ابن قتيبة لم يولد إلا سنة ٢١٣هـ أي بعد وفاة ابن أبي ليلى بخمسة وستين عاماً .

(٥) إن الرواة والشيوخ الذين يروي عنهم ابن قتيبة عادة في كتبه لم يرد لهم ذكر في أي موضع من مواضع الكتاب .

(٦) يبدو من الكتاب أن المؤلف يروي أخبار فتح الأندلس مشافهة من أناسٍ عاصروا حركة الفتح من مثل قوله : « حدثني مولاة لعبد الله بن

موسى وكانت من أهل الصدق والصلاح أن موسى حاصر حصنها التي كانت من أهله » والمعروف أن فتح الأندلس كان سنة ٩٢هـ أي قبل مولد ابن قتيبة بنحو مائة وواحد وعشرين عاماً .

(٧) إن كتاب الإمامة والسياسة يشتمل على أخطاء تاريخية واضحة مثل جعله أبا العباس والسفاح شخصيتين مختلفتين وجعله هارون الرشيد الخلف المباشر للمهدي واعتباره أن هارون الرشيد أسند ولاية العهد لابنه المأمون ومن ثم لابنه الأمين وإذا رجعنا إلى كتاب المعارف لابن قتيبة نجده يمدنا بمعلومات صحيحة عن السفاح والرشيد تخالف ما ذكره صاحب الإمامة والسياسة .

(٨) إن في الكتاب رواية لم يرو عنهم ابن قتيبة في كتاب من كتبه من مثل ابن أبي مريم وابن عفير . قلت بل الكتاب كله يكاد يكون مبنياً على هذين الرجلين حيث جاء في الصفحة العاشرة منه ما يلي : (عن ابن أبي مريم قال : حدثنا العرياني عن أبي عون بن عمرو بن تميم الأنصاري رضي الله عنه وحدثنا سعيد بن كثير عن عفير بن عبد الرحمن قال : حدثنا بقصة إستخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وشأن السقيفة وما جرى فيها من القول والتنازع بين المهاجرين والأنصار وبعضهم يزيد على بعض في الكلام فجمعت ذلك وألفته على معنى حديثهم ومجاز لغتهم ثم أخذ في سرد الكتاب وكل ما أتى عند بداية فصل قال : وذكروا كذا إلى آخر الكتاب تقريباً إلا حكايات قليلة تعد على الأصابع يذكر عن رواها وممن روى عنه يحيى بن عبد الحميد الحمامي والوليد بن مسلم وابن أبي ليلى ولم يرو ابن قتيبة عن أحد من هؤلاء) .

(٩) ترد في الكتاب عبارات ليست في مؤلفات ابن قتيبة نحو : (قال : ثم أن) (وذكروا عن بعض المشيخة) . وحدثنا بعض المشيخة ومثل هذه التراكيب بعيدة كل البعد عن أسلوب وعبارات ابن قتيبة ولم ترد في

كتاب من كتبه .

(١٠) من الملاحظ أن مؤلف الإمامة والسياسة لا يهتم بالتنسيق والتنظيم فهو يورد الخبر ثم ينتقل منه إلى غيره ثم يعود ليتم الخبر الأول وهذه الفوضى لا تتفق مع منهج ابن قتيبة الذي يستهدف التنسيق والتنظيم .

(١١) إن مؤلف الإمامة والسياسة يروي عن اثنين من علماء مصر وابن قتيبة لم يدخل مصر ولا أخذ عن هذين العالمين .

(١٢) ابن قتيبة يحتل منزلة عالية لدى العلماء فهو عندهم من أهل السنة وثقة في علمه ودينه ورجل هذه منزلته لدى رجال العلم هل من المعقول أن يكون مؤلف الكتاب الذي شوه التاريخ وألصق بالصحابة الكرام ما ليس فيهم . . . هـ^(١) .

وبعد قراءتي لكتاب الإمامة والسياسة قراءة فاحصة ترجح عندي أن مؤلف الإمامة والسياسة رافضي خبيث أراد إدماج هذا الكتاب في كتب ابن قتيبة نظراً لكثرتها ونظراً لكونه معروفاً عند الناس بانتصاره لأهل الحديث وقد يكون من رافضة المغرب فإن ابن قتيبة له سمعة حسنة في المغرب بل أن أهل المغرب يغفلون فيه حتى أنهم قالوا من ليس في بيته شيء من تصانيف ابن قتيبة فلا خير فيه ومن يطعن في ابن قتيبة عندهم يتهمونه بالزندقة^(٢) . فاستغل أحد الروافض إسم ابن قتيبة اللامع في تلك المنطقة ووضع عليه تخريفاته لتروج عند من لا علم له .

ومما يرجح أن مؤلف الإمامة والسياسة من الروافض ما يلي :

(١) أن مؤلف الإمامة والسياسة ذكر على لسان علي رضي الله عنه أنه قال للمهاجرين : (أَللهُ الله يا معاشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمد

(١) مختصراً من مجلة كلية اللغة العربية بالرياض لعام ١٣٩٢ هـ (٢ : ٢٥٥ - ٢٥٧) .

(٢) فتاوى ابن تيمية (١٧ : ٣٩١) .

في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم ولا تدفعوا اهله عن مقامه في الناس وحقه فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به لأننا أهل البيت ونحن أحق بهذا الأمر منكم . . . والله أنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله^(١) ولا أحد يرى أن الخلافة وراثية لأهل البيت إلا الشيعة .

(٢) إن مؤلف الإمامة والسياسة قدح في صحابة رسول الله قدحاً عظيماً فصور ابن عمر رضي الله عنه جباناً وسعد بن أبي وقاص حسوداً وذكر أن محمد بن مسلمة غضب على علي بن أبي طالب لأنه قتل مرجأ اليهودي بخير وإن عائشة رضي الله عنها أمرت بقتل عثمان^(٢) .
والقدح في الصحابة من أظهر خصائص الرافضة وأن شاركهم الخوارج إلا أن الخوارج لا يقدحون في عموم الصحابة .

(٣) إن مؤلف الإمامة والسياسة يذكر أن المختار بن أبي عبيد قتل من قبل مصعب بن الزبير لكونه دعا إلى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكر شرافاته وإدعائه للوحي^(٣) . والرافضة هم الذين يحبون المختار بن أبي عبيد لكونه انتقم من قتلة الحسين مع العلم أن ابن قتيبة رحمه الله ذكر المختار من الخارجين على السلطان ويُن أنه كان يدّعي أن جبريل يأتيه^(٤) .

(٤) إن مؤلف الإمامة والسياسة لم يذكر دور عبد الله بن سبأ اليهودي في الفتنة ولم يذكر اسمه مطلقاً في كتابه في حين أن أغلب العلماء الذين كتبوا عن الفتنة التي وقعت بين الصحابة ذكروا دور عبد الله بن سبأ

(١) الإمامة والسياسة (١ : ١٢) .

(٢) أنظر الإمامة والسياسة (١ : ٥٤ - ٥٥) .

(٣) الإمامة والسياسة (٢ : ٢٠) .

(٤) المعارف (ص ٤٠١) .

وممن ذكر ذلك أبْن قتيبة في كتابه المعارف^(١) وابن تيمية^(٢) فدل على أن مؤلف الإمامة والسياسة من الرافضة لأنهم ينكرون أن يكون أصل مذهبهم مقتبساً من اليهود .

يقول ابن حجر : « إن عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة ضال مضل وأصله من اليمن وكان يهودياً فأظهر الإسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل بينهم الشرّ ودخل دمشق لذلك وأخبار عبد الله بن سبأ شهيرة في التواريخ وليست له رواية ولله الحمد وله أتباع يقال لهم السبائية معتقدون لإلهية علي بن أبي طالب وقد أحرقتهم بالنار في خلافته »^(٣) .

(٥) اطلعت على نسخة خطية لكتاب الإمامة والسياسة في مكتبة الأصفية بحيدر اباد تحت رقم ١٢١ ولم يكن لها سند ولا سماعات غير أن ناسخها شيعي ومالكها شيعي إذ عليها ختم بإسم عبد الراجي محمد باقر أسد الله الموسوي وقال كاتبها في نهايتها . وكتبها عبد الله بن محمد بن حسن حشره الله مع الأئمة الأطهار - والأئمة عند الشيعة معصومون من الخطأ - فدلّ هذا الحرص على اقتناء الكتاب ونسخه بأنه يخدم أغراضهم ويشبع رغبتهم الشريرة والعلم عند الله تعالى .

(٦) إن مؤلف الإمامة والسياسة كتب عن خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان خمساً وعشرين صفحة فقط وكتب عن الفتنة التي وقعت بين الصحابة مائتين صفحة وهذا يخالف منهج السلف الصالح الذين يمسكون عما شجر بين الصحابة . مما يدل على أن مؤلف الإمامة والسياسة له غرض شيطاني إذ يختصر التاريخ الناصع المشرق ويسود الصحائف بتاريخ زائف لم يثبت منه إلا القليل وهذه من أخلاق

(١) المعارف (ص ٦٢٢) .

(٢) الفتاوى (٤ : ٤٣٥) .

(٣) أنظر لسان الميزان (٣ : ٢٩٠) بتصرف .

الروافض المعهودة نعوذ بالله من الضلال والخذلان .

(٧) يقول السيد محمود شكري الألوسي في مختصره للتحفة الاثنا عشرية « ومن مكايدهم [يعني الرافضة] أنهم ينظرون في أسماء الرجال المعبرين عند أهل السنة فمن وجدوه موافقاً لأحد منهم في الاسم واللقب أسندوا رواية حديث ذلك الشيعي إليه فمن لا وقوف له من أهل السنة يعتقد أنه إمام من أئمتهم فيعتبر بقوله ويعتد بروايته كالسدي فإنهما رجلان أحدهما السدي الكبير والثاني السدي الصغير فالكبير من ثقات أهل السنة والصغير من الوضاعين الكذابين وهو رافضي غال . وعبد الله بن قتيبة رافضي غال وعبد الله بن مسلم بن قتيبة من ثقات أهل السنة وقد صنف كتاباً سماه بالمعارف فصنف ذلك الرافضي كتاباً وسماه بالمعارف أيضاً قصداً للإضلال^(١) وهذا مما يرجح أن كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة الرافضي وليس لابن قتيبة السني الثقة وإنما خلط الناس بينهما لتشابه الأسماء والله أعلم .

(١) مختصر التحفة الاثنا عشرية للألوسي ص ٣٢ .

المبحث الرابع

صلته بحكام عصره

كانت صلة علماء السلف بخلفاء بني العباس ووزرائهم خاصة في العصر العباسي الثاني صلة فيها شيء من الحذر إذ كثر عند بعضهم الظلم والبدع كبدع التشيع والإعتزال فجانب أكثر العلماء السلاطين وأعوانهم لئلا يعينوهم على باطل أو لئلا يحضروا منكراً لا يقدرّون على إزالته ولم يكن ابن قتيبة كثير الإختلاط بالسلاطين وأعوانهم ولم يكن مجانباً لهم مطلقاً بل أتصل بهم ناصحاً كما ذكر هو ذلك فقال : « وكتبت إلى بعض السلاطين كتاباً وفي فصل منه ولم يزل حزمة الرجال يستحلون مرارة قول النصحاء ويستهدون العيوب ويستثيرون صواب الرأي من كل أحد حتى الأمة الوكعاء »^(١) .

وأتصل بهم مهدياً كما فعل مع الموفق الذي كان بيده تصريف أمور الدولة في خلافة أخيه المعتمد . فأهدى له كتاب المعارف فأجازه بعشرة آلاف دينار^(٢) . وأهدى كتاب أدب الكاتب للوزير أبي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان^(٣) وزير المتوكل ثم المعتمد ويبدو أن ابن قتيبة كان معجباً

(١) أنظر عيون الأخبار (١ : ٢٨) .

(٢) هو عبيد الله بن يحيى بن خاقان أبو الحسن وزير المتوكل وقد نفاه المستعين إلى برقة ثم قدم

بعد وفاة المستعين فوزر للمعتمد إلى أن مات وهو واسع الحيلة له أخبار في الحلم والسخاء .

مات وعليه ستمائة ألف دينار مع كثرة ضياعه . توفي عام ٢٦٣ هـ .

أنظر شذرات الذهب (٢ : ١٤٧) ، سير أعلام النبلاء (٩ : ١) .

بهذا الوزير حيث يقول عنه في مقدمة أدب الكاتب :

« . . . فالحمد لله الذي أعاد الوزير أبا الحسن أيده الله من هذه الرذيلة^(١) وأبانه بالفضيلة وجباه بخيم السلف الصالح ورداء الإيمان وغشاه بنوره وجعله هدىً من الضلالات ومصباحاً في الظلمات وعرفه ما اختلف فيه المختلفون على سنن الكتاب والسنة^(٢) . وحق لابن قتيبة أن يعجب بالوزير أبي الحسن لأنه لم يشتغل - كغيره من بعض الكتاب في ذلك العصر - بعلم المنطق الذي يعده السلف مذمة . ولكونه صاحب صفات حميدة فقد قال عنه الذهبي : « انه كان سمحاً جواداً واسع الحيلة وله أخبار في العلم والسخاء حيث مات وعليه ستمائة ألف دينار مع كثرة ضياعه »^(٣) .

وكان لابن قتيبة اتصالاً بالأمير محمد بن عبد الله بن طاهر^(٤) وكانت للأمير عليه أيادي بيضاء أفصح عنها بقوله : « . . . أما شكري للأمير على سالف معروفة فقد أغار وأنجد وأما ابتهالي إلى الله في جزائه عني بالحسن فإخلاص النية عند مظان القبول »^(٥) .

ولا نجد لابن قتيبة اتصالاً بالخلفاء الذين عرف عنهم الانتصار للمعتزلة وأهل الكلام كالمعتصم والواثق والمستعين وغيرهم بل اقتصر اتصاله على من شايع السنة وأعلى قدرها كالمتوكل والموفق الذي قضى على ثورة الزنج

(١) المراد بالرذيلة هي الشغف بعلم المنطق وحدوده وأقيسته لأن ابن قتيبة قد انتقده قبل هذا الكلام بأسطر ويُن أن له ترجمة تروق بلا معنى وإسم يهول بلا جسم .

(٢) أدب الكاتب (ص ٥) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٩ : ١) .

(٤) هو محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي كان جواداً ، ممدحاً قوي المشاركة جيد الشعر وهو أمير بن أمير بن أمير ولي امارة بغداد في أيام المتوكل وكان مألماً لأهل العلم والأدب . مات سنة ٢٥٣ هـ . بسبب خراج في حلقه . . أنظر تاريخ بغداد (٥ : ٤١٨) ، شذرات الذهب (٢ : ١٢٨) .

(٥) عيون الأخبار (٢ : ٢٢٢) .

الزنادقه . وهذا يدل على أن ابن قتيبة يعيش لعقيدته لا لأهوائه ورغباته فلا يركن إلا لمن يرى فيه عوناً على عقيدته . ويذكر الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد محقق أدب الكاتب أن ابن قتيبة عمل أدب الكاتب للوزير أبي الحسن بن خاقان فأحسن صلته واصطنعه وقدمه للمتوكل وأحسن الشئاء عليه عنده حتى صرفه المتوكل إلى بعض عمله^(١) بينما يرجح السيد أحمد صقر محقق تأويل مشكل القرآن بأنه ألّف أدب الكاتب للوزير المذكور في عهد المعتمد لا في عهد المتوكل^(٢) وهذا أظهر لأن ابن قتيبة ذكر قصة الكاتب شجاع بن القاسم الذي كان يقرأ على الخليفة المستعين ويصحف الكلام تصحيفاً يضحك الحاضرين في أدب الكاتب^(٣) . وخلافة المستعين بعد خلافة المتوكل . وعلى هذا يكون تولى ابن قتيبة القضاء الدينور في خلافة المعتمد لأن الوزير اصطنعه وعينه في القضاء بعد أن أهدى له أدب الكاتب^(٤) .

(١) أدب الكاتب (ص ٥) .

(٢) مقدمة تأويل مشكل القرآن (ص ٤٢) .

(٣) أدب الكاتب (ص ٧) .

(٤) مقدمة تأويل مشكل القرآن (ص ٤١) .

المبحث الخامس

تلاويذه

كما أن ابن قتيبة روى عن عدد كثير من أهل العلم في عصره فقد أخذ عنه العلم عدد لا يُحصى نظراً لكثرة مصنفاته ولاشتمالها على معارف شتى وعلوم جمّة : وسوف نقتصر على التعريف بأشهرهم وهم :

(١) ابنه أحمد أبو جعفر الذي روى عن والده جميع كتبه وكان يحفظها كما يحفظ السورة من القرآن^(١) .

(٢) أحمد بن مروان بن محمد المعروف بالمالكي أبو بكر . من أهل مصر وقيل في نسبه أحمد بن جعفر بن مروان بن محمد القاضي الدينوري يعرف بالمالكي وباليخاشي نزل مصر وبها مات . أخذ عن إسماعيل القاضي ويحيى بن معين وصالح بن أحمد بن حنبل وأبي محمد بن قتيبة وعلي بن عبد العزيز وابن أبي الدنيا وغيرهم وغلب عليه الحديث حدث ببغداد وبمصر روى عنه الناس كثيراً وروى عنه أبو بكر الأبهري وأبو محمد الضراب وأبو بكر المهدي وأبو القاسم السيوري وغيرهم . ضعفه الدارقطني . ألف كتاباً في فضائل مالك وكتاباً في الرد على الشافعي وكتاب المجالسة . مات سنة ٢٩٨ هـ وعمره ٨٤ سنة^(٢) .

(١) تقدمت ترجمته وافية في (ص ٤٨) من هذا البحث .

(٢) الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون (١ : ١٥٣) .

ومما رواه عن ابن قتيبة كتاب تأويل مختلف الحديث وقد وصل إلينا بروايته .

(٣) عبد الله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان أبو محمد الفارسي النحوي حدث عن أحمد بن الحباب الجميري ويعقوب بن سفيان الفسوي وأبي قلابة الرقاشي وأبي العباس المبرد وعبد الله بن مسلم بن قتيبة وغيرهم . وكان فسوياً سكن بغداد إلى حين وفاته وحمل عنه من علوم الأدب كتب عدة صنفها منها : تفسير كتاب الجرمي ومنها كتابه في النحو الذي يدعى الإرشاد ومنها كتابه في الهجاء وهو من أحسن كتبه . وروى عنه محمد بن المظفر والدارقطني وابن شاهين وغيرهم . ولد سنة ٢٥٨ هـ وتوفي سنة ٣٤٧ هـ^(١) وقد روي عن ابن قتيبة كتاب الأشربة .

(٤) عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عيسى أبو محمد السكري سمع زكريا بن يحيى المنقري صاحب الأصمعي ومحمد بن الجارود القطان وعبد الله بن مسلم بن قتيبة وغيرهم . وروى عنه القاضي أبو بكر بن الجعابي وأبو عمر بن حيوية وأحمد بن إبراهيم بن شاذان وأبو الحسن الدارقطني وغيرهم وكان ثقة مات سنة ٣٢٣ هـ^(٢) ، وقد سمع من ابن قتيبة كتاب غريب الحديث وإصلاح الغلط في سنة ٢٦٨ هـ وقد وصل إلينا من روايته عنه كتاب المسائل والأجوبة وإصلاح الغلط^(٣) .

(٥) محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام أبو بكر الأجري المحولي . كان يسكن باب المحول فنسب إليه وكان إخبارياً مصنفاً حسن التأليف حدث عن محمد بن أبي السوي الأزدي وأحمد بن منصور الرمادي والزبير بن بكار وعبد الله بن أبي سعد الوراق وأحمد بن أبي خيثمة وغيرهم .

(١) انظر تاريخ بغداد (٩ : ٤٢٨) ، قارن بنزهة الألباء (ص ٢٨٤) .

(٢) تاريخ بغداد (١٠ : ٣٥٠) .

(٣) مقدمة تحقيق مشكل القرآن (ص ٣٧) .

وروي عنه أبو بكر بن الأنباري النمري وأبو جعفر بن بركة الهاشمي وأبو الفضل بن المتوكل وجماعة . توفي سنة ٣٠٩ هـ^(١) .

(٦) أحمد بن محمد بن الحسن أبو بكر الضراب الدينوري . قدم بغداد وحدث بها عن عبد الله بن محمد بن سنان الروحي وهارون بن موسى الأشناني ومحمد بن عبد العزيز بن المبارك الدينوري وغيرهم . وروي عنه أبو حفص بن الزيات وأبو الحسن بن البواب وغيرهم وكان ثقة توفي يوم الأربعاء لأربع عشرة خلت من جمادي الأولى سنة ٣٢٨ هـ^(٢) . وقد قرأ على أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة كتابه تأويل مختلف الحديث^(٣) .

(٧) إبراهيم بن محمد بن أيوب بن بشير أبو القاسم الصائغ . حدث عن محمد بن حسان الأزرق وإسحاق بن إبراهيم البغوي وعلي بن الحسين بن أشكاب وغيرهم . وروي عن عبد الله بن مسلم بن قتيبة مصنفاته . حدث عنه أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الزهري وعلي بن عمر السكري . وكان ثقة مات سنة ٣١٣ هـ^(٤) .

(٨) قاسم بن إصبع بن محمد بن يوسف الحافظ الإمام محدث الأندلس أبو محمد القرطبي مولى بني أمية ويقال له البياني - وبيانه محله بقرطبة - وهو ثقة انتهى إليه التقدم في الحديث معرفة وحفظاً وعلو إسناد . سمع بقي بن مخلد وأقرانه ومنه حفيد قاسم بن محمد وعبد الله بن محمد الباجي والقاسم بن محمد بن غسلون وغيرهم ورحل سنة أربع وسبعين ومائتين فسمع محمد بن إسماعيل بمكة وأبا بكر بن أبي الدنيا وأبا

(١) انظر تاريخ بغداد (٥ : ٢٣٨) ، مقدمة تحقيق تأويل مشكل القرآن (ص ٣٧) .

(٢) تاريخ بغداد (٤ : ٤٢٧) .

(٣) مقدمة تحقيق مشكل القرآن (ص ٣٨)

(٤) تاريخ بغداد (٦ : ١٥٧) .

محمد بن قتيبة ومحمد بن الجهم وطبقتهم ببغداد وإبراهيم القصار بالكوفة وصنف كتاباً على وضع سنن أبي داود وكان إماماً في العربية مشاوراً في الأحكام عاش ثلاثاً وستين سنة وتغير ذهنه يسيراً قبل موته بثلاثة أعوام ومات في جمادي الأولى سنة ٣٤٠هـ (١) .

(٩) أبو سعيد الهيثم بن كليب بن شريح بن معقل الشاشي البكثي أصله من ترمذ وسكن بنكث فنسب إليها كان إماماً حافظاً رحالاً أديباً قرأ الأدب على أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ببغداد . وروى عن عيسى بن أحمد العسقلاني وأبي عيسى الترمذي وغيرهما من أهل خراسان والجال والعراق . وروى عنه أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد الخزاعي ومات بالشاش سنة ٣٣٥هـ وله مسند في مجلدين (٢) .

(١٠) عبيد الله بن أحمد بن عبد الله بن بكير أبو القاسم التميمي . سمع محمد بن علي بن قدامة ويحيى بن أبي طالب وحمدان بن علي الوراق وعلي بن عبد العزيز البغوي وأبا محمد بن قتيبة المصنف روى عنه الدارقطني ومحمد بن الخضر بن أبي خزام ومحمد بن عبد الرحيم المازني وأبو حفص بن الأجرى وكان ثقة مات في ذي الحجة من سنة ٣٣٤هـ (٣) .

(١١) عبيد الله بن محمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله أبو القاسم الأزدي النحوي . حدث عن محمد بن الجهم السمرى كتاب معاني القرآن وعن مسلم بن عيسى الصفار وأبي بكر بن أبي الدنيا وعبد الله بن مسلم بن قتيبة . روى عنه المعافي بن زكريا الجريري وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري وأبو الفرج عبيد الله بن عمر المصاحفي وغيرهم . قال عنه أبو يعلى محمد بن الحسين السراج المقرئ ضعيف

(١) انظر شذرات الذهب (٢ : ٣٥٨) ، وقارن بتذكرة الحفاظ للذهبي (١ : ٦٧٠) .

(٢) انظر تذكرة الحفاظ (٣ : ٦٢) ، قارن بمعجم البلدان في اسم « بنكث » .

(٣) تاريخ بغداد (١٠ : ٣٥٣) .

مات سنة ٣٤٨هـ في خلافة المطيع^(١) .

(١٢) محمد بن حامد بن محمد بن الحارث بن عبد الحميد أبورجاء التميمي حدث عن محمد بن الجهم السمرري ومحمد بن يحيى الكسائي المقرئ وغيرهم . روى عنه أبو القاسم بن الشلاج وأبو محمد بن النحاس المصري توفي سنة ٣٤٣هـ ذكره سيد صقر في تلاميذ ابن قتيبة^(٢) .

(١٣) محمد بن علي بن أحمد أبو العباس الأديب الكرجي . كان عالماً بالفرائض مقدماً في التأديب وهو أحد المؤذنين بنيسابور . توفي سنة ٣٤٣هـ^(٣) .

(١٤) أبو بكر أحمد بن الحسين بن إبراهيم الدينوري . وقد روى عنه تأويل مختلف الحديث^(٤) .

(١٥) أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني البغدادى المتوفى سنة ٢٩٨هـ .

(١٦) أبو العباس أحمد بن محمد بن عميرة الإروائي المروزي^(٥) .

(١٧) أبو عبد الله محمد بن أبي الأسود البلثي المتوفى سنة ٣٤٣هـ^(٦) .

(١) تاريخ بغداد (١٠ : ٣٥٨) ، قارن بنزهة الألباء (ص ٣٨٦) .

(٢) انظر تاريخ بغداد (٢ : ٢٨٩) ، وقارن بمقدمة تحقيق مشكل القرآن (ص ٣٨) .

(٣) طبقات الشافعية (٣ : ١٩٩) .

(٤) انظر مقدمة تأويل مختلف الحديث (ز) .

(٥) انظر مقدمة تأويل مشكل القرآن (ص ٣٨) .

(٦) انظر المصدر السابق .

المبحث السادس

وفاته

ورد في وفاة ابن قتيبة أربع روايات :

الرواية الأولى أنه توفي عام ٢٧٠ هـ وذكرها معظم من ترجم لابن قتيبة .

الرواية الثانية أنه توفي عام ٢٧١ هـ ولم يذكرها الا ابن خلكان .
الرواية الثالثة أنه توفي عام ٢٧٦ هـ وهذه الرواية يرجحها أغلب المؤرخين .

الرواية الرابعة : أنه توفي عام ٢٩٦ هـ ولم يذكرها الا الزبيدي في طبقات النحويين^(١) .

والراجح من الروايات هي الرواية الثالثة وهي أنه توفي عام ٢٧٦ هـ وذلك لأمرين :

الأول : أن هذه الرواية يذكرها المؤرخون عن تلميذ ابن قتيبة أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن أيوب الضائع^(٢) . ولا شك أن التلميذ أعرف بأحوال معلمه لا سيما في حادث جليل كهذا .

(١) أنظر هذه الروايات في مواضع ترجمة ابن قتيبة فقد ذكرنا مراجعها وأرقام صفحاتها في (ص ٤٩ من هذا البحث .

(٢) انظر تاريخ بغداد (١٠ : ١٧٠) .

الثاني : أن قاسم بن إصينغ الأندلسي رحل الى المشرق عام ٢٧٤ هـ واجتمع بابن قتيبة في بغداد وروى عنه كما هو ثابت عند المؤرخين^(١) وهذا يبطل الرواية الأولى القائلة بأنه مات عام ٢٧٠ هـ والرواية الثانية القائلة بأنه مات سنة ٢٧١ هـ .

أما الرواية الرابعة القائلة بأنه مات سنة ٢٩٦ هـ فهي رواية شاذة لم يذكرها غير الزبيدي وليس له مستند في ذلك وأغلب ظني أنه حصل في كتاب الزبيدي تصحيف من النسخ فحرفت السبعة الى تسعة والله تعالى أعلم .

وأغلب المؤرخين على أن ابن قتيبة توفي ببغداد وقد ذكر ابن الجوزي في المنتظم أن ابن قتيبة مات بالكوفة ودفن الى جنب قبر أبي حازم القاضي^(٢) ، والله أعلم بالصواب .

أما سبب الوفاة فتكاد تجمع عليه المراجع التاريخية وهو ما رواه الخطيب البغدادي عن تلميذ ابن قتيبة إبراهيم الصائغ حيث جاء فيه أن ابن قتيبة أكل هريسة فأصاب حرارة ثم صاح صيحة شديدة ثم أغمي عليه الى وقت صلاة الظهر ثم اضطرب ساعة ثم هدأ فما زال يتشهد الى وقت السحر ثم مات وذلك في أول ليلة من رجب سنة ٢٧٦ هـ^(٣) .

(١) أنظر شذرات الذهب (٢ : ٣٥٧) .

(٢) انظر المنتظم (٥ : ١٠٢) .

(٣) تاريخ بغداد (١٠ : ١٧٠) وقارن بمراجع حياته المتقدمة .

المبحث السابع

أقوال العلماء فيه

العلماء في ابن قتيبة ثلاث طوائف :

- (١) طائفة يوثقونه في دينه وعلمه .
 - (٢) وطائفة يقدحون في علمه وخلقه .
 - (٣) وطائفة ينسب اليهم الطعن في عقيدته .
- وسأورد أقوال الجميع وأناقش ما يستحق المناقشة منها بدون تعصب لأحد فإن الله أمرنا بالعدل في كل شيء فقال : ﴿ إعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ المائدة : ٨ ، وليس بيني وبين ابن قتيبة نسباً سوى الإخوة في الله .

الطائفة الأولى - الموثقون له في دينه وعلمه :

- (١) الخطيب البغدادي^(١) ؛ قال عن ابن قتيبة (وكان ثقة ديناً فاضلاً وهو

(١) هو أبو بكر الخطيب أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي الحافظ أحد الأئمة الأعلام وصاحب التأليف المنتشرة في الاسلام . ولد في جمادى الآخرة سنة ٣٩٢ هـ وتفقّه في مذهب الشافعي على القاضي أبي الطيب الطبري وأبي الحسن المحاملي وغيرهما ولم يكن للبغداديين بعد الدارقطني مثله قال ابن الأهدل تصانيفه قريب من مائة مصنف تصدق بجميع ماله قبل وفاته وأوصى بأن يتصدق بشيابه . ووقف كتبه على المسلمين . توفي سنة ٤٦٣ هـ ولم يكن له عقب .

أنظر شذرات الذهب (٣ : ٣١١) .

- صاحب التصانيف المشهورة والكتب المعروفة (١) .
- (٢) ابن النديم (٢) : قال عنه : (وكان صادقاً فيما يرويه عالماً باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه والشعر والفقه كثير التصنيف والتأليف) (٣) .
- (٣) أبو محمد بن حزم (٤) . قال عنه : « ابن قتيبة ثقة في دينه وعلمه » (٥) .
- (٤) ابن خلكان (٦) . قال عنه : (كان فاضلاً ثقة وتصانيفه كلها مفيدة) (٧) .
- (٥) أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري (٨) . قال عنه : (وكان فاضلاً في اللغة والنحو والشعر متفنناً في العلوم وله المصنفات

-
- (١) تاريخ بغداد (١٠ : ١٧٠) .
- (٢) هو أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم صنف كتاب الفهرست وجود فيه واستوعب إستيعاباً يدل على اطلاعه ولا يبعد أن يكون وراقاً يبيع الكتب وهو شيعي معتزلي وله كتاب التشبيهات . توفي عام ٣٨٥ هـ . مقدمة الفهرست (ص ١) .
- (٣) الفهرست (ص ١١٥) .
- (٤) هو العلامة علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الأموي مولاهم الفارسي الأصل الأندلسي القرطبي الظاهري صاحب المصنفات روى عن أبي عمر بن الجصور ويحيى ابن مسعود وكان إليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل إلا أنه كثير الوقوع في العلماء المتقدمين لا يكاد أحد يسلم من لسانه فنفرت منه القلوب واستمطل منه فقهاء وقته وحذروا سلاطينهم منه فأقصته الملوك وشردته عن بلاده . ومات مشرداً بالبادية وله كتب جمة مفيدة منها الإحكام في أصول الأحكام والمحلى والفصل في الملل والنحل مات رحمه الله سنة ٤٥٦ هـ . انظر شذرات الذهب (٣ : ٢٩٩) .
- (٥) مقدمة مشكل القرآن (ص ٥٢) .
- (٦) وهو شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي الشافعي سمع البخاري من ابن مكرم وأجاز له المؤيد الطوسي وجماعة وتفقه بالموصل على كمال الدين بن يونس وبالشام على ابن شداد ولي قضاء الشام عشر سنوات ثم عزل بآب الصايغ ثم رد إلى قضاء الشام ثم عزل ثانية في أول سنة ٦٨٠ هـ قال عنه الذهبي كان إماماً فاضلاً متقناً عارفاً بالمذهب حسن الفتاوى جيد القريحة بصيراً بالعربية علامة في الأدب والشعر وأيام الناس . توفي سنة ٦٨١ هـ .
- انظر شذرات الذهب (٥ : ٣٧١) .
- (٧) وفيات الأعيان (٢ : ٢٤٦) .
- (٨) هو أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الشافعي تفقه بالنظامية على ابن الرزاز وأخذ النحو عن ابن الشجري واللغة عن ابن الجواليقي وبرع في الأدب حتى صار شيخ

المذكورة والمؤلفات المشهورة (١).

(٦) أبو منصور الأزهري (٢). قال عنه : (ما رأيت أحداً يدفعه عن الصدق فيما يرويه) (٣).

(٧) مسلمة بن قاسم : قال عنه : (ابن قتيبة لغوياً كثير التأليف عالماً بالتصنيف صدوقاً من أهل السنة) ذكره ابن حجر (٤).

(٨) الحافظ أبو طاهر السلفي (٥). قال عنه : (ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة) ذكره ابن حجر (٦).

(٩) الصلاح العلائي (٧). قال عنه : (ابن قتيبة جار على طريقة أهل

العراق وكان زاهداً عابداً مخلصاً تاركاً للدنيا وله مائة وثلاثون مصنفاً في اللغة والأصول والزهد وأكثرها في فنون العربية . مات في شعبان سنة ٥٧٧ هـ وله ٦٤ سنة . انظر الشذرات (٤) : ٢٥٨ .

(١) نزهة الألباء (٢٠٩) .

(٢) هو العلامة أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي اللغوي النحوي الشافعي صاحب تهذيب اللغة وغيره . روى عن البغوي ونفطويه وأبي بكر بن السراج وترك الأخذ عن ابن دريد تورعاً لأنه رآه سكران وقد بقي الأزهري في أسر القرامطة مدة طويلة توفي رحمه الله في سنة ٣٧٠ هـ وله ٨٨ سنة .

انظر شذرات الذهب (٣ : ٧٢) .

(٣) تهذيب اللغة (١ : ٣١) .

(٤) لسان الميزان (٣ : ٣٥٧) .

(٥) هو العلامة أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني الحرواني سمع من أبي عبد الله الثقفى وأحمد بن عبد الغفار بن أشته وخلق كثير طاف ببلاد كثيرة وتفقه في بغداد على الكيالبي الهراسي وأبي بكر الشاشي وأتقن مذهب الشافعي وبرع في الأدب واستوطن الاسكندرية بضعاً وستين سنة مكباً على الإشتغال بالعلم . توفي سنة ٥٧٦ هـ وهو من المعمرين .

شذرات الذهب (٥ : ٢٥٥) .

(٦) لسان الميزان (٣ : ٣٥٧) .

(٧) هو صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي الشافعي الإمام المحقق ولد بدمشق وبلغ عدد شيوخه بالسماع سبعمائة وأخذ علم الحديث عن المزني وغيره ودرس في =

الحديث في عدم التأويل (ذكره ابن حجر أيضاً^(١) .

(١٠) الحافظ ابن كثير . قال عنه : (ابن قتيبة أحد العلماء والأدباء والحفاظ الأذكياء وكان ثقة نبلاً وكان أهل العلم يهتمون من لم يكن في منزله شيء من تصانيفه)^(٢) .

(١١) ابن الجوزي^(٣) . قال عنه : (وكان عالماً ثقة ديناً فاضلاً وله التصانيف المشهورة)^(٤) .

(١٢) الذهبي . قال عنه : [الامام العالم صاحب التصانيف الشهيرة]^(٥) وقال عنه : (ابن قتيبة من أوعية العلم صدوق في الرواية)^(٦) .

(١٣) شيخ الإسلام ابن تيمية . قال عنه : (ابن قتيبة من أهل السنة . . وهو

القدس بمدرسة الصلاحية وكان مفتناً في علم الحديث ومعرفة الرجال قال السبكي كان حافظاً ثباً ثقة عارفاً بأسماء الرجال والعلل والمتون فقيهاً متكلماً أدبياً أشعرياً . توفي عام ٧٦١ هـ .
انظر الشذرات (٦ : ١٩٠) .

(١) لسان الميزان (٣ : ٣٥٧) .

(٢) البداية والنهاية (١١ : ٥٧) .

(٣) هو ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر وينتهي نسبه الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة في أنواع العلوم من التفسير والحديث والفقه والزهد والوعظ والأخبار والتاريخ والطب وغير ذلك وهو حنبلي المذهب في الفقه . قال ابن رجب نقم عليه جماعة من مشائخ أصحابنا وأئمتهم ميله الى التأويل في بعض كلامه واشتد نكيرهم عليه في ذلك ولا ريب أن كلامه في ذلك مضطرب مختلف وكان معظماً لأبي الوفاء بن عقيل متابعاً لأكثر ما يجد من كلامه وابن عقيل بارع في الكلام ولم يكن له خبرة بالحديث والآثار . فلهذا يضطرب في هذا الباب ويتلون فيه وأبو الفرج تابع له في هذا التلون . وقال الشيخ موفق الدين المقدسي كان ابن الجوزي إمام أهل عصره . . . وكان حافظاً للحديث وصنف فيه إلا أننا لم نرض تصانيفه في السنة ولا طريقته فيها . توفي عام ٥٩٧ هـ . أنظر شذرات الذهب (٤ : ٣٣١) .

(٤) المنتظم (٥ : ١٠٢) .

(٥) مختصر العلو للذهبي بتحقيق الألباني ص ٢١٦ .

(٦) ميزان الاعتدال (٢ : ٥٠٣) وقارن بتذكرة الحفاظ وسير أعلام النبلاء ودول الإسلام في مواضع ترجمته التي مورت معنا في حياته .

من المنتسبين الى أحمد واسحاق والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة وله في ذلك مصنفات متعددة قال فيه صاحب كتاب الحديث بمناقاة أهل الحديث هو أحد أعلام الأئمة والعلماء والفضلاء أجودهم تصنيفاً وأحسنهم ترصيفاً . . . وكان أهل المغرب يعظمونه ويقولون من استجاز الوقعة في ابن قتيبة يتهم بالزندقة ويقولون كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه فلا خير فيه قلت ويقال هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة فإنه خطيب السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة (١) .

(١٤) شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب . ذكر جملة من العلماء كالذهبي وابن كثير وابن رجب وابن عبد البر والخطابي والشافعي وابن جرير وابن قتيبة وأبي عبيد ثم قال : (فهؤلاء اليهم المرجع في كلام الله وكلام رسوله وكلام السلف) (٢) .

الطائفة الثانية - القادحون في علمه وخلقه :

(١) أبو الطيب الحلبي (٣) :

قال عن ابن قتيبة : (وكان يشرع في أشياء لا يقوم بها نحو تعرضه لتأليف كتابه في النحو وكتابه في تعبير الرؤيا وكتابه في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وعيون الأخبار والمعارف والشعراء ونحو ذلك مما أزرى به عند العلماء وإن كان نفق بها عند العامة ومن لا بصيرة له) (٤) .

(١) الفتاوى الكبرى (١٧ : ٣٩١) .

(٢) الدرر السنية (١ : ٣٧) .

(٣) هو أبو الطيب محمد بن أحمد بن اسحاق بن يحيى النحوي المعروف بابن الوشاء فإنه كان أديباً فاضلاً حسن التصنيف حدث عن عبد الله بن أبي سعد الوراق وأحمد بن عبيد بن ناصح ومحمد بن أحمد بن النضر الكديمي وأبي العباس ثعلب والمبرد وطبقته وروى عنه منة جارية خلافة أم ولد المعتمد على الله : له من الكتب شعر الدرر ومراتب النحويين وكتاب الموشى . مات سنة ٣٥١ هـ . انظر الغرر المثلثة والدرر المبتة للفيروز آبادي (ص ١٣٢) .

(٤) مراتب النحويين (ص ١٣٧) .

قلت لم أقف على كتابه في النحو وكتابته في تعبير الرؤيا وكتابته في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم غير أن الشيخ علي الطنطاوي قال عن كتابه في تعبير الرؤيا : (أنه من نفائس تراثنا العلمي ومكانه من الخزانة العربية لا يزال خالياً لم يشغله كتاب وقال إنه يحتوي على جملة من نواتج الشعر وطرائف اللغة ودرر الأدب)^(١) . أما كتاب عيون الأخبار وكتاب المعارف وكتاب الشعراء فهي من أحسن الكتب عند الأدباء ولقد مر معنا قول ابن دريد : (أن عيون الأخبار من متنزهات القلوب)^(٢) .

ويبدو أن أبا الطيب الحلبي غير دقيق في كلامه لقوله أنه نفق بها عند العامة ومن لا بصيرة له . فقد مر معنا قريباً ثناء أربعة عشر عالماً من جلة علماء الإسلام على مؤلفات ابن قتيبة وهم أنفذ بصيرة وأعرف بالجميل من الرديء من أبي الطيب وأمثاله .

(٢) أبو منصور الأزهري :

قال عن ابن قتيبة : (فأما ما يستبد فيه برأيه من معنى غامض أو حرف من علل التصريف والنحو أو مشكل أو حرف غريب فإنه ربما زل فيما لا يخفى على من له أدنى معرفة وألفيته يحدث بالظن فيما لا يعرفه ولا يحسنه)^(٣) قلت قد أثنى عليه ثناءً عاطراً في موضع آخر فقال : (. . . فأما أبو تراب والقتيبي فكانا من المعرفة والإتقان بحيث يشئ بهما الخناصر)^(٤) .

ولا أدري كيف وقع أبو منصور في هذا التناقض ؟ وأي القولين يريد أن يعتمد عليه القارئ .

(١) مجلة الرسالة عدد ٨٥ فبراير سنة ١٩٣٥ م السنة الثالثة ص (٢١٦) .

(٢) انظر (ص ٨٨) من هذا البحث .

(٣) تهذيب اللغة (١ : ٣١) .

(٤) تهذيب اللغة (١ : ١٦) .

(٣) أبو بكر بن الأنباري (١) :

قال الأزهري : (رأيت ينسب ابن قتيبة الى الغفلة والغباوة وقلة المعرفة وقد رد عليه قريباً من ربع ما ألفه من مشكل القرآن) (٢) .

وقد بين ابن تيمية رحمه الله سبب كثرة انتقاد ابن الأنباري لابن قتيبة فقال : (. . . وابن الأنباري يحتج لما يقوله في القرآن بالشاذ من اللغة وقصده بذلك الإنكار على ابن قتيبة وليس هو أعلم بمعاني القرآن والحديث وأتبع للسنة من ابن قتيبة ولا أفقه في ذلك - وإن كان ابن الأنباري من أحفظ الناس للغة لكن باب فقه النصوص غير باب حفظ ألفاظ اللغة - وقد نقم هو وغيره على ابن قتيبة كونه رد على أبي عبيد أشياء من تفسيره غريب الحديث وابن قتيبة قد اعتذر عن ذلك وسلك في ذلك مسلك أمثاله من أهل العلم) (٣) . وكذلك فقد أنضح للشريف المرتضى ما اتضح لابن تيمية من تعصب أبي بكر بن الأنباري وعدم التزامه منهج الصواب في نقده لابن قتيبة فقال : (. . . ان من شأن أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري أن يرد كل ما يأتي به ابن قتيبة وأن تعسف في الطعن عليه) (٤) وبين سيد صقر سبباً آخر يحمل ابن الأنباري على التعصب على ابن قتيبة فقال : (وابن الأنباري من نحاة الكوفة المتعصبين وابن قتيبة من البصريين ولكنه لم يكن متعصباً لمذهبه

(١) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن ابو بكر الأنباري النحوي كان من أعلم الناس بالنحو والأدب واكثرهم حفظاً سمع اسماعيل بن إسحاق القاضي وأحمد بن الهيثم بن خالد البراء ومحمد بن يونس الكديمي وكان صدوقاً فاضلاً ديناً خيراً من أهل السنة وصنف كتباً كثيرة في علوم القرآن وغريب الحديث والمشكل والوقف وقد روي عنه ابو عمرو بن حيوة وابو الحسن الدارقطني وغيرهم وقد كتب عنه وابوه حي وكان يملئ في ناحية من المسجد وابوه في ناحية اخرى توفي في ليلة النحر من ذي الحجة سنة ٣٢٨ هـ . انظر تاريخ بغداد (٣ : ١٨٥) .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (١ : ٣١) .

(٣) الفناوي الكبرى (١٧ : ٤١١) .

(٤) امالي المرتضى (٢ : ١٣) .

بل مزج بين المذهبين فتعصب عليه ابن الأنباري كما تعصب على معاصره
أبي الحسن بن كيسان المتوفى سنة ٢٩٦ هـ لأنه مزج بين النحويين وكان ميله
الى مذهب البصريين أكثر^(١) .

(٤) ابن تغري بردى^(٢) :

قال عن ابن قتيبة : (أنه خيبت اللسان يقع في حق كبار العلماء)^(٣)
وأظنه يقصد بذلك إنتقاد ابن قتيبة لأصحاب الرأي الذين يذهبون الى الرأي
مع وجود النص الشرعي . وابن تغري بردى متفقه على مذهب الأحناف الذي
بنيت أكثر أحكامه على الرأي^(٤) . وقد بين ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف
الحديث خطأ أصحاب الرأي في اعتمادهم على الرأي مع وجود النص
الشرعي^(٥) . فقال : حدثني سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعي عن حماد
ابن زيد قال شهدت أبا حنيفة سئل عن محرم لم يجد إزاراً فلبس سراويل فقال
عليه الفدية فقلت سبحان الله . حدثنا عمرو بن دينار عن جابر بن زيد عن
ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في المحرم إذا
لم يجد إزاراً لبس سراويل وإذا لم يجد نعلين لبس خفين^(٦) فقال دعنا من
هذا حدثنا حماد عن ابراهيم أنه قال عليه الكفارة . .

(١) مقدمة مشكل القرآن (ص ٧٣) .

(٢) هو جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن الأمير سيف الدين تغري بردى الحنفي ولد بالقاهرة
سنة ٨١٢ ورياه زوج اخته ناصر الدين ابن العديم الحنفي الى ان مات فتزوج بأخته جلال
الدين البلقيني الشافعي فتولى تربيته ولما كبرا اشتغل بفقه الحنفية وحجب اليه علم التاريخ
فلازم مؤرخي عصره مثل العيني والمقرئزي ومن مصنفاته المنهل الصافي وكتاب المستوفي
بعد الوافي وكتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . توفي في ذي الحجة سنة
٨٧٤ هـ . شذرات الذهب (٧ : ٣١٧) .

(٣) النجوم الزاهرة (٣ : ٥٧) .

(٤) انظر شذرات الذهب (٧ : ٣١٧) .

(٥) انظر تأويل مختلف الحديث (ص ٥١) .

(٦) هذا الحديث أخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك (٢ : ٩٧٧) .

وبين ابن قتيبة أشياء كثيرة ذهب فيها أهل الرأي الى مخالفة النصوص الشرعية^(١) وهذا ما حمل متعصبة أهل الرأي على انتقاده . وذم الرأي وأهله لم يكن خاصاً بابن قتيبة فقط بل عرف عن كثير من السلف الصالح كأسحاق ابن راهويه شيخ ابن قتيبة وأحمد بن حنبل والشافعي وغيرهم .

(٥) أبو المعالي الجويني^(٢) :

قال عن ابن قتيبة : (أنه هجاء ولوج فيما لا يحسنه) ذكره ابن حجر ثم عقب عليه بقوله كأنه يريد كلامه في الكلام^(٣) . قلت ليس ابن قتيبة وحده هو الهجاء على أهل الكلام الذين تركوا الكتاب والسنة وتعلقوا بنظريات أرسطو وأفلاطون بل عامة علماء السلف هجأهم حتى يهدموا باطلهم وليت شعري ما حكم الجويني على الشافعي الذي قال : (حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام)^(٤) .

(٦) أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري المشهور بالحاكم^(٥) :

قال عن ابن قتيبة : (أجمعت الأمة على أن القتيبي كذاب) ذكره

(١) انظر تأويل مختلف الحديث (ص ٥٢ - ٥٩) .

(٢) هو إمام الحرمين عبد الملك بن أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني الفقيه الشافعي أحد الأئمة الأعلام قال ابن الأهدل تفقه على والده في صباه خرج الى بغداد وإلى مكة وإلى أصبهان وأخذ عنه خلق كثير وله مصنفات كثيرة منها الشامل في أصول الدين والإرشاد والعقيدة النظامية وغيرها . توفي في نيسابور سنة ٤٧٨ هـ . انظر شذرات الذهب (٣: ٣٥٧) .

(٣) لسان الميزان (٣ : ٣٥٩) .

(٤) انظر الإسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي (٢ : ٢٠) .

(٥) هو أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدون بن نعيم بن البيع الضبي الطهماني النيسابوري ولد سنة ٣٢١ هـ ، وحدث عن الأصم وعثمان بن السماك وطبقتهما وكان فيه تشيع وحط على معاوية وهو ثقة حجة قال ابن ناصر صدوق من الإثبات لكن فيه تشيع وتصحيح واهيات وقال الخطيب ثقة يميل الى التشيع وقال الذهبي هو معظم للشيخين بيقين ولذي النورين وإنما تكلم في معاوية فأوذى أخذ عنه البيهقي فأكثر عنه وبكتيه تفقه . مات سنة ٤٠٥ هـ . انظر شذرات الذهب (٣ : ١٧٧) .

الذهبي^(١) . وقد تولى الذهبي رحمه الله الرد عليه فقال بعد أن حكى قوله (قلت هذه مجازفة قبيحة وقلت ورع فما علمت أحداً إتهمه بالكذب قبل هذه القولة)^(٢) . وقال في كتابه المغني بعد حكايته لقول الحاكم (قلت هذا بغى وتخرص بل قال الخطيب هو ثقة)^(٣) . وقال أيضاً في كتابه الشهير « تاريخ دول الاسلام » : (. . . وقال مسعود السجزي سمعت الحاكم يقول أجمعت الأمة على أن القتيبي كذاب قلت وهذه مجازفة بشعة من الحاكم فما علمت أحداً اتهم ابن قتيبة في نقل مع أن أبا بكر الخطيب قد وثقه وما أعلم أحداً أجمعت الأمة على كذبه إلا مسيلمة والدجال)^(٤) . وابن قتيبة رحمه الله تعالى قد انتقد الشيعة إنتقاداً لاذعاً وبين قبائحهم في كتابه تأويل مختلف الحديث^(٥) والحاكم يميل الى التشيع كما ذكره الخطيب البغدادي^(٦) فلعل هذا هو الحامل للحاكم على إتهام ابن قتيبة بالكذب وهو منه براء والله تعالى أعلم .

الطائفة الثالثة - من نسب اليهم الطعن في عقيدته وبيان بطلانه :

ذكر سبط بن الجوزي في كتابه مرآة الزمان^(٧) بدون إسناد أن الدارقطني قال كان ابن قتيبة يميل الى التشبيه وكلامه يدل عليه وقال البيهقي كان يرى رأي الكرامية^(٨) .

(١) سير أعلام النبلاء (٩ : ١٣٨) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المغني في الضعفاء (١ : ٣٥٧) .

(٤) تاريخ دول الإسلام ، مخطوطة مصورة على ميكروفيلم بجامعة الرياض برقم ٤٧٥ .

(٥) انظر تأويل الحديث (ص ٧٢) وما بعدها .

(٦) تاريخ بغداد (٥ : ٤٧٤) .

(٧) مرآة الزمان مخطوطة بالمكتبة الازهرية برقم ٤٦٩ ومنه صورة على ميكروفيلم بمركز البحث العلمي بمكة برقم ٦٧٦٥ .

(٨) الكرامية نسبة الى ابي عبد الله محمد بن كرام السجستاني . طرده عثمان بن سعيد الدارمي =

ونقل هذه التهم عنه الذهبي في ثلاثة من كتبه ، في سير أعلام النبلاء^(١) وفي تاريخ دول الإسلام^(٢) وفي ميزان الاعتدال^(٣) ونقلها السيوطي في بغية الوعاة^(٤) وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة^(٥) والرد على هذه التهم من عدة وجوه :

أولاً : أن المؤرخين القريبين من عهد ابن قتيبة لم يذكروا شيئاً من هذه التهم كالخطيب البغدادي وابن النديم وابن الجوزي والسمعاني وابن الأنباري والزبيدي والأزهري وأبي الطيب الحلبي .

ثانياً : أن الذين نقلوا هذه التهم مصدرهم الوحيد هو كتاب مرآة الزمان فلم يشيروا الى غيره .

ثالثاً : أن سبط ابن الجوزي ذكر التهم من غير إسناد الى شخص أو كتاب .

رابعاً : أن الدارقطني^(٦)

= من هراة ثم دخل خراسان واكثر الاختلاف الى أحمد بن حرب الزاهد ثم جاوز بمكة خمس سنين ثم ورد نيسابور وانصرف منها الى سجستان وباع ما كان يملكه وعاد الى نيسابور وباع بالتجسيم وقال ان الإيمان بالقول كاف وان لم يكن معه معرفة بالقلب . قال الذهبي ساقط الحديث على بدعته . وقال ابن حبان خذل حتى التقط من المذاهب أرداها وقد سجن بنيسابور لأجل بدعته ثمان سنوات ثم سار الى بيت المقدس ومات بالشام سنة ٢٥٥هـ . انظر طبقات الشافعية (٢ : ٣٠٤) ، ميزان الاعتدال (٤ : ٢١) ، الفرق بين الفرق (ص ٢١٥) .

(١) مخطوطة منها صورة فوتوغرافية بمكتبة جامعة الملك عبد العزيز (٩ : ١٣٩) .

(٢) مخطوط في جامعة الرياض برقم (٤٧٥) .

(٣) ميزان الاعتدال (٢ : ٥٠٣) .

(٤) (٢ : ٦٣) .

(٥) (٣ : ٧٦) .

(٦) هو ابو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود البغدادي الإمام الحافظ الكبير شيخ الإسلام . اليه النهاية في معرفة الحديث وعلومه وكان يدعي فيه أمير المؤمنين . روى عن البغوي وطبقته ودرس فقه الشافعي على أبي سعيد الاصطخري سمع البغوي وطبقته =

..... والبيهقي^(١) اللذين عزا سبط ابن الجوزي التهم إليهما لم يلقهما فالدارقطني متوفى عام ٣٨٥ هـ والبيهقي متوفى عام ٤٥٨ هـ وسبط ابن الجوزي مولود عام ٥٨٣ هـ فهو لم يأخذ منهما مشافهة .

خامساً : لقد بذلت قصارى جهدي في التنقيب عن هذه التهم في كتب الدارقطني والبيهقي فلم أعثر عليها ولم أستقصِ جميع ما كتبه فإن كثيراً من كتبهما مفقودة أو في حكم المفقود .

سادساً : سبط بن الجوزي غير ثقة في نقله . وبينه وبين ابن قتيبة مخالفة في الإعتقاد فابن قتيبة سني وسبط بن الجوزي رافضي وقد انتقد ابن قتيبة الرافضة انتقاداً مبرراً^(٢) .

فلا يستبعد أنه اختلق هذه التهم ليشف غيظ نفسه أولاً وليشف غيظ أولاد الملك عيسى العادل الذي انقطع إليهم وكان حنبلياً فنقلوه إلى مذهب أبي حنيفة فانتقل إليه لا لإقتناع بل لأجل الدنيا^(٣) ثم نقلوه إلى الرفض لكي يوافقهم في المذهب والإعتقاد .

يقول الإمام الذهبي عن سبط بن الجوزي : (وألف مرآة الزمان فتراه يأتي فيه بمناكير الحكايات وما أظنه بثقة فيما ينقله بل يجنف ويجازف ثم انه

= وخلائق ببغداد والكوفة وواسط وارتحل في كهولته الى مصر والشام وصنف التصانيف : حدث عنه الحاكم وأبو حامد الاسفرائيني والبرقاني وغيرهم . قال الخطيب كان فريد عصره وإمام وقته . توفي في ثامن ذي القعدة سنة ٣٨٥ هـ .

انظر مقدمة تحفة الاحوذى (١ : ٢١٠) ، شذرات الذهب (٣ : ١١٦) .

(١) هو ابو بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي (نسبة الى خسروجرد بيهق) الشافعي صاحب التصانيف المفيدة منها السنن الكبرى والصغرى والمعارف وكتاب الأسماء والصفات ودلائل النبوة وغيرها لزم الحاكم مدة وأكثر عن أبي الحسن العلوي . توفي عام ٤٥٨ هـ .

شذرات الذهب (٣ : ٣٠٥) .

(٢) انظر تأويل مختلف الحديث (ص ٧٠) .

(٣) انظر فوات الوفيات (٤ : ٤٥٦) ، وقارنه بشذرات الذهب (٥ : ٢٦٦) .

ترفض وله مؤلف في ذلك نسأل الله العافية . . وقال الشيخ محيي الدين السوسي لما بلغ جدي موت سبط بن الجوزي قال : لا رحمه الله كان رافضياً^(١) .

سابعاً : إن قول سبط بن الجوزي هذا الذي رواه بدون إسناد مع توجه التهمة إليه في نقله واعتقاده معارض بقول الأئمة الأعلام من أئمة الإسلام الذين شهدوا لابن قتيبة بالصلاح وحسن الاعتقاد وأنه على مذهب أهل السنة والجماعة كالخطيب البغدادي وابن حزم والحافظ السلفي والعلائي والذهبي وابن تيمية . فقد قال الخطيب ثقة في دينه^(٢) وقال ابن حزم ثقة في دينه وعلمه وقال مسلمة بن قاسم ابن قتيبة من أهل السنة يذهب إلى قول إسحاق بن راهويه : (وإسحاق بن راهويه من كبار علماء السلف) وقال الحافظ السلفي : ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة وقال العلائي ابن قتيبة جار على طريقة أهل الحديث في عدم التأويل وقال الذهبي ما رأيت لأبي محمد في كتابه مشكل الحديث ما يخالف طريقة المثبتة والحنابلة من أن أخبار الصفات تمر ولا تتأول^(٣) . وقال ابن تيمية ابن قتيبة من أهل السنة بل هو خطيب أهل السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة^(٤) . وبعد هذه الشهادات لابن قتيبة من هؤلاء العلماء المشاهير لا أظن منصفاً يلتفت إلى قول رجل مبتور السند مطعون في عدالته من عالم بالرجال كالذهبي .

ثامناً : ان ابن قتيبة قد صرح في كتبه بأن عقيدته هي عقيدة أهل الحديث وليس أهل الحديث مشبهة ولا كرامية فقال : (ولو أردنا أن ننقل عن أصحاب الحديث ونرغب عنهم إلى أصحاب الكلام ونرغب فيهم لخرجنا من اجتماع إلى تشتت وعن نظام إلى تفرق وعن أنس إلى وحشة وعن اتفاق إلى

(١) ميزان الاعتدال للذهبي (٤ : ٤٧١) .

(٢) تاريخ بغداد (١٠ : ١٧٠) .

(٣) لسان الميزان (٣ : ٣٥٧) وقارنه بما في تاريخ دول الإسلام وسير أعلام النبلاء للذهبي .

(٤) ملخصاً من مجموع الفتاوي (٤ : ٣٩١) جمع ابن قاسم .

اختلاف لأن أصحاب الحديث كلهم مجمعون على أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لا يكون وعلى أنه خالق الخير والشر وعلى أن القرآن كلام الله غير مخلوق وعلى أن الله تعالى يرى يوم القيامة وعلى تقديم الشيخين وعلى الإيمان بعذاب القبر لا يختلفون في هذه الأصول ومن فارقهم في شيء منها نابذوه وباغضوه وبدعوه وهجروه (١) .

وأصحاب الحديث الذين يرتضي ابن قتيبة عقيدتهم ولا يرغب أن ينتقل عنها - في عصره هم البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد بن حنبل وابن أبي شيبة وإسحاق بن راهويه وهؤلاء كلهم أئمة في العقيدة السلفية فلم يعرف عن أحد منهم تعطيل أو تمثيل . ويقول ابن قتيبة في كتاب من آخر ما ألفه : (وتعمق آخرون في النظر وزعموا أنهم يريدون تصحيح التوحيد بنفي التشبيه عنه فأبطلوا الصفات مثل الحلم والقدرة والجلال والعفو وأشباه ذلك فقالوا نقول هو الحليم ولا نقول بحلم وهو القادر ولا نقول بقدره وهو العالم ولا نقول بعلم . . . ولما رأى قوم من الناس إفراط هؤلاء في النفي عارضوهم بالإفراط في التمثيل فقالوا بالتشبيه المحض وبالأقطار والحدود وحملوا من مستشنع الحديث عرق الخيل وحديث عرفات (٢) وأشباه هذا من الموضوع ما رأوا أن الإقرار به من السنة وفي إنكاره الريبة وكلا الفريقين غالط وقد جعل الله التوسط منزلة العدل ونهى عن الغلو فيما دون صفاته من أمر ديننا فضلاً عن صفاته ووضع عنا أن نفكر فيه كيف كان ؟ وكيف قدر ؟ وكيف خلق ؟ ولم يكلفنا ما لم يجعله في تركيبنا ووسعنا وعدل القول في هذه الأخبار أن نؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها فنؤمن بالرؤية والتجلي وأنه يعجب وينزل إلى السماء وأنه على العرش استوى وبالنفس واليدين من غير أن نقول في ذلك بكيفية أو بحد أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت فنرجو أن نكون في ذلك

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ١٦) .

(٢) هذه احاديث وضعها الزنادقة . انظر في آخر هذا البحث مبحث دفاع ابن قتيبة عن السنة .

القول والعقد على سبيل النجاة غداً إن شاء الله تعالى (١) .

تاسعاً : أن ابن قتيبة قد انتقد المشبهة بل ألف كتاباً في الرد عليهم بعنوان « الإختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة » ونقلنا اعتقاده آنفاً منه .

عاشراً : إن الناظر في مؤلفات ابن قتيبة يجد أنه يخالف الكرامية في كل ما ذهبوا إليه من آراء تخالف السلف الصالح والكرامية قد أتوا بأشياء مبتدعة خالفوا فيها السلف (٢) منها قولهم :

(١) إن الله جسم لا كالأجسام وأنه جوهر .

(٢) وقولهم أن الإيمان قول اللسان فقط وأنه لا يزيد ولا ينقص ، وإن المنافق مؤمن في الدنيا ويستحق العذاب في الآخرة .

(٣) وقولهم أن الله تكلم بعد أن لم يكن متكلماً فراراً من القول بحوادث لا أول لها (٣) .

وقد خالف ابن قتيبة الكرامية فيما ذهبوا إليه فهو لا يطلق على الله أنه جسم أو جوهر بل يتوقف في إطلاق العبارات التي لم يرد إطلاقها على الله في الكتاب والسنة . إذ يقول : (نحن لا ننتهي في صفاته جلّ جلاله إلا إلى حيث انتهى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٤) .

ومعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقل أن الله جسم أو جوهر . فإطلاق الكرامية هذه العبارات على الله مخالف لمنهج السلف الذين

(١) إختلاف اللفظ لابن قتيبة (ص ٢٣٢ ، ٢٤٣) .

(٢) انظر مقالات الإسلاميين للأشعري (١ : ٢٢٣) ، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢١٥) ، الملل والنحل (١ : ١٠٨) .

(٣) انظر عنهم مذاهب التجسيم للدكتورة سهير مختار (ص ٨٢) وقارن بما في الملل والنحل

(١ : ١٠٨) ، مختصر الصواعق المرسلة (٢ : ٢٩٢) .

(٤) تأويل مختلف الحديث (٢٠٨) .

ينتهون في صفات الله وأسمائه إلى حيث انتهى . وقد انتقد ابن قتيبة استعمال العبارات المحدثثة في إثبات العقيدة حيث يقول : (ومعاني الكتاب والحديث وما أودعاه من لطائف الحكمة وغرائب اللغة لا يدرك بالطفرة والتولد والعرض والجوهر والكيفية والكمية والأينية ولو ردوا المشكل منهما إلى أهل العلم بها وضع لهم المنهج واتسع لهم المخرج)^(١) .

وأما قول الكرامية أن الإيمان تصديق اللسان فقط وأنه لا يزيد ولا ينقص فابن قتيبة يخالفه لأنه يرى أن الإيمان هو قول اللسان واعتقاد الجنان وعمل الأركان وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية كما هو قول السلف الصالح يدل على هذا قوله : (... وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمن من لم يأمن جاره بوائقه^(٢) يريد ليس بمستكمل الإيمان وقال لم يؤمن من لم يأمن المسلمون من لسانه وبده^(٣) أي ليس بمستكمل الإيمان وقال لم يؤمن من بات شعبان وبات جاره طاوياً^(٤) أي لم يستكمل الإيمان وهذا شبيه بقوله لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه يريد لا كمال وضوء ولا فضيلة وضوء والناس يقولون فلان لا عقل له يريدون ليس هو مستكمل العقل ولا دين له أي ليس بمستكمل الدين)^(٥) . وهذه التفسيرات القيمة للأحاديث التي يوهم ظاهرها نفي الإيمان عن مرتكب الذنب تدل على أن ابن قتيبة على قول السلف الصالح لا على قول الكرامية لأنه يرى أن العمل من الإيمان وأن من أتى بمعصية فقد نقص إيمانه لكونه أحلّ بالعمل . وابن قتيبة جعل المرجئة التي توافق الكرامية في هذا القول من الفرق الضالة حيث يقول :

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ١٣ ، ١٤) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب (٤ : ٥٣) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان (١ : ١١) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان (١ : ١١) .

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ٢٠) وقال الألباني (أخرجه البيهقي في شعب الإيمان

واسناده حسن . أنظر المشكاة بتحقيقه (٣ : ١٣٩١) رقم الحديث (٤٩٩١) .

(٥) تأويل مختلف الحديث (ص ١٧٢) .

(وأما المرجئة فيقال بهمز وبغير همز وهو من أرجيت الشيء وأرجأته إذا أنت أخرته ومنه قول الله عز وجل : ﴿ ترجي من تشاء منهم ﴾ . . . الآية . .
الأحزاب : ٥١ . وإنما سموا بذلك لأنهم زعموا أن الإيمان قول وأرجأوا العمل (١) .

وقول ابن قتيبة زعموا أن الإيمان قول وأرجأوا العمل يدل على مخالفته لهم فإن الزعم مطية الكذب ولو كان معتقداً لمعتقدهم لما أوردتهم في ضمن الفرق المخالفة للسلف الصالح لأن كل فرقة من فرق المسلمين تدعي أنها على نمط السلف الصالح وأن المخالف غيرها .

أما قول الكرامية أن الله تعالى تكلم بالقرآن بعد أن لم يكن متكلماً . فابن قتيبة لم يقل مثلما قالوا ومعاذ الله أن يكون الله عاجزاً عن الكلام في فترة من الزمن . وقول ابن قتيبة هو قول السلف حيث يقول : فالقرآن كلام الله تعالى وكلام الله من الله وليس من الله عز وجل شيء مخلوق (٢) ولم نجد في كتبه أنه قال أن الله تكلم بعد أن لم يكن متكلماً وسوف يأتي إن شاء الله تفصيل قول ابن قتيبة في كلام الله تعالى في الفصول الآتية .

أما قول الكرامية أن علياً ومعاوية كانا خليفتين في آنٍ واحد فإن ابن قتيبة صرح بخلافه وهو على مذهب السلف في أن الخليفة الرابع هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد عقد فصلاً في كتابه المعارف بعنوان (خلافة علي بن أبي طالب) قال فيه : (أن عثمان لما قتل بويع علي بن أبي طالب رضي الله عنه بيعته العامة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . . .) (٣) . وقال عن معاوية رضي الله عنه أنه ولي الخلافة سنة أربعين وهو ابن اثنتين

(١) إصلاح غلط أبي عبيد . مخطوطة بمركز البحث العلمي بمكة .

(٢) انظر تأويل مختلف الحديث (ص ٢٥٩) .

(٣) انظر المعارف لابن قتيبة (ص ٢٠٨) .

وستين سنة وبلغه أن أهل الكوفة قد بايعوا الحسن بن علي فسار يريد الكوفة وسار الحسن يريده فالتقوا بمسكن من أرض الكوفة فصالح الحسن معاوية وبايع له^(١) . وبهذا يتضح أن ابن قتيبة لم ير صحة خلافة معاوية إلا بعد موت علي بن أبي طالب رضي الله عنه عام ٤٠ هـ ويتضح أن ابن قتيبة مخالف للكرامية في كل قول ابتدعه وخالفت به السلف الصالح وأن القائل بأن ابن قتيبة كرامي لم يصدق في قوله ولا شاهد له من كلام ابن قتيبة وأني أكاد أجزم بأن العالمين الجليلين الدارقطني والبيهقي لم يطلقا هذه التهم على ابن قتيبة وإنما لفقها عليه كذاب وضاع من خصومه - الذين كشف عوارهم وما أكثرهم حتى بلغ بهم الأمر إلى وضع كتاب كامل عليه كما تقدم - ونسبها إلى الدارقطني والبيهقي لكثرة مصنفاتهما ونقدهما للرجال وبالأخص الدارقطني فإنه من النقاد الأفاضل .

بقي أن أشير إلى تهمة ألحقت أخيراً بابن قتيبة لم يعرف مصدرها وهي أن ابن قتيبة منحرف عن العترة وهذه التهمة وردت في نسخة من نسخ ميزان الاعتدال للذهبي في ترجمة ابن قتيبة وفي لسان الميزان لابن حجر وتلقف هذه التهمة الكتاب المعاصرون بدون تمحيص ولا تدقيق فشاعت في أغلب المؤلفات التي تدرس حياة ابن قتيبة فكان إلزاماً علي إبطال هذه التهمة أو إثباتها على ابن قتيبة لا سيما وهي تهمة لها صلة بالعقيدة . فأقول وبالله التوفيق :

(١) إن محقق الطبعة الأولى من ميزان الاعتدال (والمتداولة الآن بأيدي الناس) الأستاذ علي محمد البجاوي اعتمد في تحقيقه على ثلاث نسخ منها نسختان موثقتان من علماء أجلاء في علم الحديث ونقد الرجال كما قاله المحقق في مقدمة تحقيقه^(٢) ونسخة هندية كثيرة التصحيف والغلط

(١) انظر المعارف (ص ٣٤٩) .

(٢) انظر مقدمة ميزان الاعتدال - الطبعة الأولى .

وقد وردت هذه التهمة في النسخة الهندية ولم ترد في النسختين الموثقتين .

(٢) إن هذه التهمة وردت ضمن الكلام الذي نقله الذهبي عن سبط بن الجوزي ولم تكن من قول الذهبي وبمراجعتي لمرآة الزمان تأليف سبط بن الجوزي لم تكن فيها هذه التهمة .

(٣) إن الذهبي قد نقل التهم الموجهة إلى ابن قتيبة عن سبط بن الجوزي في كتابيه سير أعلام النبلاء وتاريخ دول الإسلام ولم تكن فيها هذه التهمة فدل على أن إدخالها في بعض نسخ ميزان الاعتدال من النساخ لا من الذهبي رحمه الله ولعل الحامل لهم على ذلك أن هذه التهمة موجودة في لسان الميزان فظنوا أن لها أصلاً وأغلب ظني أنها أدخلت في نسخ اللسان من بعض النساخ . والله أعلم بالصواب .

(٤) إن الذهبي رحمه الله رد على التهم الموجهة إلى ابن قتيبة ولم يتعرض لهذه التهمة بالرد أو الإثبات فدل على أنها لم تكن موجودة في كتبه رحمه الله وإنما زادها النساخ بعد وفاته .

(٥) إن ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة والسيوطي في بغية الوعاة ذكرا التهم الموجهة إلى ابن قتيبة ولم يذكرا هذه التهمة من ضمنها .

(٦) إن تهمة إنحراف ابن قتيبة عن العترة تدل على أنها من وضع الشيعة وإلا فما معنى انحرافه عن العترة ؟ إن كان المقصود أنه لا يغالي في أهل البيت ولا يدعي لهم العصمة فهذا حق وليس انحرافاً وإن كان المقصود أنه يبغضهم ولا يحبهم فمعاذ الله أن يصدر منه هذا وهو القائل في رده على النظام المعتزلي^(١) الذي يلزم صحابة رسول الله صلى الله

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام وهو ابن أخت أبي الهذيل العلاف وعنه أخذ الاعتزال وهو شيخ أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ يذكرون أنه ظهر في سنة ٢٢٠ هـ وقرر مذهب الفلاسفة في القدر فتبعه خلق وكان قد اطلع على كثير من كتب الفلاسفة ومال في =

عليه وسلم : (وهذا فوله في جلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم كأنه لم يسمع بقول الله عز وجل في كتابه الكريم : ﴿ محمد رسول الله والذين معه ﴾ . . . إلى آخر السورة . . الفتح : ٢٩ ولم يسمع بقوله تعالى : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم ﴾ . الفتح : ١٨ . ولو كان ما ذكرهم به حقاً لا مخرج منه ولا عذر فيه ولا تأويل له إلا ما ذهب إليه لكان حقيقاً بترك ذكره والإعراض عنه إذ كان قليلاً يسيراً مغموراً في جنب محاسنهم وكثير مناقبهم وصحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلهم مهجهم وأموالهم في ذات الله تعالى) (١) .

(٧) إن ابن قتيبة ردّ على الذين شنعوا على علي رضي الله عنه في قضايا خالف فيها عمر بن الخطاب فقال : (أين هؤلاء عن قضايا علي رضي الله عنه اللطيفة التي تغمض وتدق وتعجز عن أمثالها أجلّة الصحابة) (١) . ثم عدد جملة من القضايا اللطيفة التي كان حليفه فيها الصواب مما يدل على محبته له لا انحرافه عنه كما يقول الكاذبون .

(٨) إن ابن قتيبة قد بيّن إعتقاده في علي رضي الله عنه وعالج انحرافاً كان مستشرياً في عهده وهو أن بعض الناس تحامي ذكر الأحاديث التي فيها فضائل علي رضي الله عنه بغضاً للرافضة وبين رحمة الله أن من أبغض علياً رضي الله عنه فهو هالك وأن من غالى في حبه حتى رفعه إلى منزلة النبوة فهو هالك وأن القول الحق هو قول السلف إذ يقول : (وقد رأيت هؤلاء أيضاً حين رأوا غلو الرافضة في حب علي وتقديمه

= كلامه الى الطيغيين منهم والإلهيين فاستنبط من كلامهم مسائل وخلطها بكلام المعتزلة وانفرد بها عنهم . توفي سنة ٢٣١ هـ .

أنظر دائرة المعارف للبستاني (١ : ٢٦٨) ، الفرق بين الفرق (ص ٧٩) .

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٣) .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ١٦٠) .

على من قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته عليه وادعاءهم له شركة النبي صلى الله عليه وسلم في نبوته وعلم الغيب للأئمة من ولده وتلك الأقاويل والأمور السرية التي جمعت إلى الكذب والكفر إفراط الجهل والغباوة ورأوا شتمهم خيار السلف وبغضهم وتبرأؤهم منهم قابلوا ذلك أيضاً بالغلو في تأخير علي كرم الله وجهه وبخسه حقه ولحنوا في القول وإن لم يصرحوا إلى ظلمه واعتدوا عليه بسفك الدماء بغير حق ونسبوه إلى الممالة على قتل عثمان رضي الله عنه وأخرجوه بجهلهم عن أئمة الهدى إلى جملة أئمة الفتن ولم يوجبوا له إسم الخلافة لاختلاف الناس عليه وأوجبوها ليزيد بن معاوية لإجماع الناس عليه واتهموا من ذكره بخير وتحامى كثير من المحدثين أن يحدثوا بفضائله كرم الله وجهه أو يظهروا ما يجب له .

فإن قال قائل أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم علي وأبو سبطيه الحسن والحسين وأصحاب الكساء علي وفاطمة والحسن والحسين تمعرت الوجوه وتنكرت العيون وطارت حسائك الصدور . وإن ذكر ذاكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : « من كنت مولاه فعلي مولاه »^(١) . وأنت مني بمنزلة هارون من موسى^(٢) وأشباه هذا التمسوا لتلك الأحاديث المخارج ليتقصوه ويبخسوه حقه بغضاً منهم للرافضة وإلزاماً لعلي عليه السلام بسببهم ما لا يلزمه وهذا هو الجهل بعينه والسلامة لك أن لا تهلك بمحبته ولا تهلك ببغضته وأن لا تحتمل ضغناً عليه بجناية غيره فإن فعلت فأنت جاهل مفرط في بغضه وأن تعرف له مكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتربية والأخوة والصبر والصبر في مجاهدة أعدائه وبذل مهجته في الحروب بين يديه مع مكانه في العلم والدين والبأس والفضل من غير أن تتجاوز به الموضع الذي

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣ : ١١٠) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة . انظر مختصر صحيح مسلم للمنذري (ص ٤٣٣) .

وضعه به خيار السلف لما تسمعه من كثير من فضائله فهم كانوا أعلم به وبغيره
ولأن ما أجمعوا عليه هو العيان الذي لا يشك فيه^(١). وبعد هذا القول
الواضح البين الموافق لاعتقاد السلف في الخليفة الرابع رضي الله عنه تسقط
هذه التهمة البلقاء التي لا سند لها ولا أصل بل لعلها من وضع بعض النساخ
أو الشيعة . ولولا تلقف بعض الكتاب لها ونقلها في كتبهم لما أطنبت في الرد
عليها . والله أعلم .

(١) إختلاف اللفظ (ص ٢٤٣ ، ٢٤٤) .

الباب الثالث

تَوْضِيحُ لِعَقِيدَةِ السَّلَفِ وَمَرَدَّةُ عَلَى الْمُخَالَفِينَ

- تمهيد : في تعريف عقيدة السلف .
- المبحث الأول : منهجه في توضيح العقيدة .
- المبحث الثاني : عقيدته في صفات الله تعالى .
- المبحث الثالث : عقيدته في القدر .
- المبحث الرابع : عقيدته في النبوات .
- المبحث الخامس : عقيدته في السمعيات .
- المبحث السادس : عقيدته في الإمامة .

1	1
2	2
3	3
4	4
5	5
6	6
7	7
8	8
9	9
10	10
11	11
12	12
13	13
14	14
15	15
16	16
17	17
18	18
19	19
20	20
21	21
22	22
23	23
24	24
25	25
26	26
27	27
28	28
29	29
30	30
31	31
32	32
33	33
34	34
35	35
36	36
37	37
38	38
39	39
40	40
41	41
42	42
43	43
44	44
45	45
46	46
47	47
48	48
49	49
50	50
51	51
52	52
53	53
54	54
55	55
56	56
57	57
58	58
59	59
60	60
61	61
62	62
63	63
64	64
65	65
66	66
67	67
68	68
69	69
70	70
71	71
72	72
73	73
74	74
75	75
76	76
77	77
78	78
79	79
80	80
81	81
82	82
83	83
84	84
85	85
86	86
87	87
88	88
89	89
90	90
91	91
92	92
93	93
94	94
95	95
96	96
97	97
98	98
99	99
100	100

تمهيد

في تعريف عقيدة السلف

العقيدة هي الأمر الذي يطمئن اليه القلب وتصدق به النفس ويكون يقيناً عند صاحبه لا يخالطه ريب ولا شك . ومادة عقد في اللغة مدارها على اللزوم والتأكد والاستيثاق . ففي القرآن الكريم : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾ . . المائدة : ٨٩ . وتعقد الأيمان إنما يكون بقصد القلب وعزمه بخلاف لغو اليمين التي تجري على اللسان بدون قصد . والعقود أوثق العهود ومنه قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ . . المائدة : (١) .

فالإعتقاد هو التصديق الجازم . فمن صدق جزماً أن الثلج بارد والنار محرقة فقد اعتقد أن في الثلج خاصية البرودة وأن في النار خاصية الإحراق . ولم يتطرق له شك في ذلك .

أما العقيدة السلفية : فهي التصديق الجازم الذي لا يخالطه شك ولا ريب بأن الله هو العلي الأعلى الموصوف بصفات الكمال المنزه عن النقائص والعيوب المستحق لجميع أنواع العبادة الواحد الأحد الفرد الصمد رب

(١) انظر العقيدة في الله لعمر الأشقر (ص ٧) ، وقارن بالعقيدة السلفية بين السلفية والمعتزلة لمحمد خفاجي (ص ٦) .

العالمين الى غير هذا من الأسماء الحسنى والصفات العليا التي وردت في كتاب الله أو في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

والتصديق الجازم بصحة ما أخبر الله به في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من أمور الغيب جميعها كأشراط الساعة وأحوال يوم القيامة وصفة الجنة والنار والتصديق بالملائكة الأطهار والجن والشیاطين ونحو ذلك .

وبأن الله له كتب أنزلها على رسله بالهدى ودين الحق وأن له رسل وأنبياء خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم والتصديق الجازم بأن الله قدر الأشياء قبل خلقها وعلمها وأن الأمور كلها بيده سبحانه لا راد لما قضى ولا مانع لما أعطى ولا يكون في ملكه ما لا يريد وإرادة العباد ومشيتهم تابعة لإرادته ومشيته .

والتصديق الجازم بما ذكر من أصول الشرائع والأحكام^(١) .
وبعبارة أوجز فالعقيدة السلفية هي التصديق الجازم بكل ما ورد عن الله تعالى في كتبه أو على لسان رسله صلوات الله عليهم والعمل بمقتضى ذلك - على أصول معلومة عندهم سوف نذكرها بعد هذا - .

والمراد بالسلف هم الصحابة والتابعون من أهل القرون الثلاثة الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته »^(٢) دون من وصف بالبدعة كالخوارج^(٣)

(١) انظر العقائد الإسلامية لسيد سابق (ص ٨) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة (٢ : ٢٨٨) .

(٣) الخوارج هم الذين خرجوا على الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد التحكيم وأصول مذهبهم هي تكفير مرتكب الكبيرة وقتال الأئمة إذا أخطأوا والتبرؤ من عثمان وعلي بعد التحكيم وأصحاب الجمل ثم يفرقون الى فرق عديدة لكل فرقة اجتهادات خاصة في الاعتقاد والعمل .

والشيعة^(١) والقدرية^(٢)

والمرجئة^(٣) والمعتزلة^(٤) ونحوهم^(٥) .

فإن أصحاب البدع وإن كانوا في القرون المفضلة فليسوا من السلف في شيء بل السلف الصالح حذروا منهم فأنكر ابن عباس على الخوارج وناظرهم وأنكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه على من فضله على الشيخين ولما حدثت بدعة القدرية في أواخر عهد الصحابة رضوان الله

للاطلاع على نحلتهم وفرقتهم أنظر تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة (١ : ٧١) ، الفرق بين الفرق للبغدادى (ص ٧٢) الملل والنحل للشهرستاني (١ : ١١٤) ، مقالات الإسلاميين للأشعري (١ : ١٦٧) .

(١) الشيعة هم القائلون بأن الإمامة وراثية في أهل البيت ويقدمون علياً رضي الله عنه على سائر الصحابة ويطعنون في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونهم لم يعطوا الخلافة علياً بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم على درجات وملل مختلفة وبعضهم لهم مذاهب متطرفة تخرجهم من الإسلام . أنظر عنهم تاريخ المذاهب لأبي زهرة (١ : ٣٥) ، الفرق بين الفرق (ص ٢٩) مقالات الإسلاميين (١ : ٦٥) ، الملل والنحل (١ : ١٤٦) .

(٢) القدرية هم الذين يجعلون العبد يخلق أفعاله ويقولون لا قدر والأمر أنف بعكس الجبرية الذين يجعلون العبد كالريشة في الهواء لا فعل له ولا اختيار وهم أتباع معبد الجهنى وغيلان الدمشقي . انظر عنهم تاريخ المذاهب لأبي زهرة (١ : ١٣٠) ، الفرق بين الفرق (ص ١٨) .

(٣) المرجئة هم الذين لا يجعلون العمل من الإيمان ويجعلون إيمان الملائكة والنبين كإيمان الفساق لأنه لا تفاضل في الإيمان عندهم وهم أتباع جهم بن صفوان . انظر عنهم تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة (١ : ١٣٢) ، مقالات الإسلاميين (١ : ٢١٣) ، الملل والنحل (١ : ١٣٩) ، الفرق بين الفرق (ص ٢٠٢) .

(٤) المعتزلة وهم أتباع واصل بن عطاء الغزال وعمرو بن عبيد وهم أصحاب الأصول الخمسة التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهم يشاركون القدرية في جعلهم العبد يخلق أفعاله ويشاركون الخوارج في تخليد مرتكب الكبيرة في النار وينكرون صفات الله تعالى وهم فرق متعددة . انظر عنهم تاريخ المذاهب الإسلامية (١ : ١٤٢) ، مقالات الإسلاميين (١ : ٢٣٥) ، الملل والنحل (١ : ٤٣) ، الفرق بين الفرق (ص ١١٤) .

(٥) انظر قواعد المنهج السلفي للدكتور مصطفى حلمي (ص ٣٥) .

عليهم أنكرها متأخروهم كابن عباس وعبد الله بن جابر وأنس بن مالك^(١) .
وقد أنكر جلة علماء السلف على أهل البدع إنكاراً بالغاً حتى تخرجوا من
الحديث عنهم فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن علي بن شقيق أنه قال
سمعت عبد الله بن المبارك^(٢) يقول على رؤوس الناس دعوا حديث عمرو بن
ثابت^(٣) فإنه كان يسب السلف^(٤) .

ومن شعره رحمه الله في التحذير من أهل البدع قوله :

أيها الطالب علماً أئت حماد بن زيد
فخذ العلم بحلم ثم قيده بقيد
وذر البدعة من آثار عمرو بن عبيد

وقوله :

اني امرؤ ليس في ديني لغامزة لين ولست على الإسلام طعاناً
فلا أسب أبا بكر ولا عمرأ ولن أسب معاذ الله عثماناً

(١) انظر الفرق بين الفرق (ص ١٩) .

(٢) هو الإمام القدوة المجاهد عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التيمي مولاهم أبو عبد
الرحمن المروزي أحد الأئمة روى عن سليمان التيمي وحמיד الطويل وإسماعيل بن أبي خالد
وخلق لا يحصون حتى لقد قيل روي عن ألف شيخ وروى عنه أصحاب الصحيحين
وأصحاب السنن وغيرهم ال عنه الذهبي هو الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام فخر
المجاهدين قدوة الزاهدين صاحب التصانيف النافعة أفنى عمره في الأسفار حاجاً ومجاهداً
وتاجراً والله أني لأحبه في الله وأرجو الخير بحبه لما منحه الله من التقوى والعبادة والإخلاص
والجهاد وسعة العلم والإتقان والمواساة والفتوة والصفات الحميدة وقال إسماعيل بن عياش لا
أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير الا وقد جعلها في ابن المبارك . وقال النووي هو
الإمام المجمع على إمامته وجلالته في كل شيء ولد سنة ١١٨ ومات سنة ١٨١ هـ رحمه
الله . انظر تهذيب التهذيب (٥ : ٣٨٦) ، كتاب عبد الله بن المبارك الإمام القدوة تأليف
محمد عثمان جمال .

(٣) هو عمرو بن ثابت بن هرمز البكري رافضي خبيث . انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٨) :

(٩) .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (١ : ٨٩) .

ولا ابن عم رسول الله أشتمه حتى ألبس تحت الترب أكفاننا
ولا الزبير حواري الرسول ولا أهدي لطلحة شتماً عز أو هانا
ولا أقول علي في السحاب إذاً قد قلت والله ظلماً ثم عدوانا
ولا أقول بقول الجهم أن له قولاً يضارع أهل الشرك أحياناً
ولا أقول تخلّى عن خليفته رب العباد وولّى الأمر شيطاناً
ما قال فرعون هذا في تجبره فرعون موسى ولا هامان طغياناً^(١)

ولا شك أن من سار على طريقة الصحابة والتابعين فهو من السلف لأنه
سائر على طريقتهم فيقال له سلفي نسبة إلى السلف الكرام فإنه لا فصل بين
السلف ومتبعيهم إلى يوم القيامة كما ذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال : « لا تزال طائفة من أمتي قواماً على أمر الله لا يضرها من
خالفها »^(٢) . نسأل الله العليّ القدير أن يجعلنا منهم .

(١) أنظر عبد الله بن المبارك الإمام القدوة لمحمد عثمان جمال (ص ١٥٧) .

(٢) رواه ابن ماجه (١ : ٥) وروى نحوه أبو داود (٣ : ١١) .

المبحث الأول منهجه في توضيح العقيدة

المتبع لما كتب ابن قتيبة في مؤلفاته المتعددة يلحظ أن له منهجاً واضح المعالم في توضيح العقيدة إستطعنا أن نلخصه في سبع قواعد .

القاعدة الأولى :

إن ابن قتيبة يثبت ما أثبتته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من غير أن يقول في ذلك بكيفية . يدل على هذه القاعدة قوله : (فنحن نقول كما قال الله تعالى وكما قال رسوله ولا نتجاهل ولا يحملنا ما نحن فيه من نفي التشبيه على أن ننكر ما وصف به نفسه ولكننا لا نقول كيف)^(١) وقوله : (إن الله وضع عنا أن نفكر فيه كيف كان وكيف قدر وكيف خلق ولم يكلفنا ما لم يجعله في تركيبنا ووسعنا)^(٢) . وقوله رحمه الله في مناقشة المنكرين لرؤية الله تعالى يوم القيامة : (. . . فإن قالوا لنا كيف ذلك النظر والمنظور إليه قلنا نحن لا ننتهي في صفاته جل جلاله إلا إلى حيث انتهى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ندفع ما صح عنه لأنه لا يقوم في أوهامنا ولا يستقيم على نظرنا بل نؤمن بذلك من غير أن نقول فيه

(١) اختلاف اللفظ (ص ١٣٦) .

(٢) المصدر السابق (ص ٢٤٣) .

بكيفية أو حد أو نقيس على ما جاء ما لم يأت (١) .

وما ذهب إليه ابن قتيبة يرحمه الله في هذه القاعدة الجليلة من قواعد المنهج السلفي هو ما عليه علماء السلف قديماً وحديثاً ولنقتطف بعضاً من أقاويل مشاهير علماء السلف ومن سار على نهجهم ليتضح للقارئ الكريم موافقة ابن قتيبة لهم .

يقول العالم السلفي المعروف محمد الأمين الشنقيطي (٢) في كتابه القيم منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات : (إن مبحث آيات الصفات دل القرآن العظيم أنه يركز على ثلاثة أسس من هذه الأسس الإيمان بما وصف الله به نفسه لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله : ﴿أأنتم أعلم أم الله . . . ﴾ البقرة : ١٤٠ . والإيمان بما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لأنه لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال في حقه : ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى . . . ﴾ النجم : ٣ ، فيلزم كل مكلف أن يؤمن بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم . . . وعلى كل حال فلا يجوز للإنسان أن يتنطع فيذهب إلى وصف أثبتته الله جلّ وعلا لنفسه فينفي هذا الوصف عن الله متهجماً على رب السموات والأرض مدّعياً عليه أن هذا الوصف الذي تمدح به أنه لا يليق به وأنه هو ينفيه عنه ويأتيه بالكمال من

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٣٠٨) .

(٢) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن نوح بن محمد . ولد سنة ١٣٠٥ هـ في شنقيط وحفظ القرآن وعمره عشر سنوات ودرس فقه الإمام مالك والنحو والأدب وأخذ عن الشيخ محمد بن صالح المشهور بابن أحمد الأحزم والشيخ أحمد الأحزم بن محمد المختار والشيخ أحمد بن عمر وغيرهم وهو شاعر رقيق رحل إلى مكة والمدينة ودرس في كليات الشريعة في الرياض والمدينة وفي المسجد النبوي الشريف وله من المصنفات أضواء البيان في تفسير القرآن ومنهج ودراسات في الأسماء والصفات وهو سلفي العقيدة توفي عام ١٣٩٣ هـ بمكة المكرمة . أنظر ترجمته ملحقاً بالجزء التاسع من تفسيره أضواء البيان كتبها تلميذه عطية محمد سالم .

كيسه الخاص فهذا جنون وهوس ولا يذهب اليه إلا من طمس الله بصائرهم) (١) .

ويقول العالم الجليل ابن تيمية : (إن ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه فإنه يجب الإيمان به سواء عرفنا معناه أم لم نعرف لأنه الصادق المصدوق فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به وإن لم يعرف معناه) (٢) .

ويقول عليه رحمة الله : (والقول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث قال الإمام أحمد رضي الله عنه لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه . أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ونعلم أن ما وصف الله به نفسه من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول وأفصح الخلق في بيان العلم وأنصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد) (٣) .

القاعدة الثانية :

إن ابن قتيبة ينزه الله عما نزه الله نفسه عنه سبحانه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من غير أن يعطل النصوص عن معانيها الواردة لها في لسان الشرع يدلُّ على ذلك تفسيره لقوله تعالى ليس كمثله

(١) ملخصاً من منهج ودراسات (ص ٣ ، ١٤) .

(٢) الرسالة التدمرية (ص ٢٨) .

(٣) من الفتوى الحموية ضمن مجموعة نفائس جمعها محمد حامد الفقي (ص ١٠١) .

شيء ولسورة الإخلاص فهو يقول ليس كمثله شيء أي ليس كهو شيء^(١) . ولم يكن له كفواً أحد . أي مثيلاً^(٢) . ويقول في قوله تعالى هل تعلم له سمياً أي شبيهاً^(٣) .

وهذه القاعدة هي من القواعد التي ينبنى عليها مذهب السلف الصالح . يقول الشنقيطي : (أن مبحث آيات الصفات دلّ القرآن العظيم أنه يركز على ثلاثة أسس . . . أحد هذه الأسس الثلاثة هو تنزيه الله جلّ وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين وهذا الأصل يدلّ عليه قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء . . . ﴾ الشورى : ١١ ، ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ . ﴿ لا تضربوا لله الأمثال ﴾ النحل : ٧٤ ، . . . فيلزم كل مكلف أن ينزه ربه جلّ وعلا عن أن تشبه صفته صفة الخلق . . . ومن ظنّ أن صفة خالق السموات والأرض تشبه شيئاً من صفات الخلق فهو جاهل ملحد ضال ومن آمن بصفات ربه جلّ وعلا منزهاً ربه عن تشبيه صفاته بصفات الخلق فهو مؤمن منزّه سالم من ورطة التشبيه والتعطيل . وهذا التحقيق هو مضمون ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . فهذه الآية فيها تعليم عظيم يحلّ جميع الإشكالات ويجيب عن جميع الأسئلة حول الموضوع ذلك لأن الله قال وهو السميع البصير بعد قوله ليس كمثله شيء ومعلوم أن السمع والبصر من حيث هما سمع وبصر يتصف بهما جميع الحيوانات فكأن الله يشير للخلق ألا ينفوا عنه صفة سمعه وبصره بادعاء أن الحوادث تسمع وتبصر وأن ذلك تشبيه بل عليهم أن يثبتوا له صفة سمعه وبصره على أساس ليس كمثله شيء فالله جلّ وعلا له صفات لا تقيده بكماله وجلاله والمخلوقات لهم صفات مناسبة لحالهم وكل هذا حق ثابت^(٤) .

(١) غريب القرآن (ص ٣٩١) .

(٢) المصدر السابق (ص ٤٥٥) .

(٣) المصدر السابق (ص ٢٧٢) .

(٤) منهج ودراسات (ص ٤٢٣) .

ويقول الشيخ حمد بن ناصر^(١) - تلميذ شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب - حول هذه القاعدة السلفية: (فإن إيماننا بما يثبت من نعوته كإيماننا بالذات المقدسة إذ الصفات تابعة للموصوف فتعقل وجود الباري وننزه ذاته المقدسة عن الأشياء من غير أن نتعقل الماهية فكذلك القول في صفاته نؤمن بها ونعقل وجودها وتعلمها في الجملة من غير أن نتعقلها أو نشبهها أو نكيفها أو نمثلها بصفات خلقه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً)^(٢). هذا ما قرره ابن قتيبة وغيره من علماء السلف الصالح من التنزيه وهو إجماع عندهم أن الله منزّه عن مشابهة خلقه ولكن خصوم السلف من الجهمية ومن سار على طريقتهم يتعامون عن هذه الأقوال ويصفون مثبتى الصفات بأنهم مشبهة أو مجسمة ولم يسلم ابن قتيبة من هذه الفرية التي روجها عنه منكري الصفات ولو أنصف خصوم السلف وتبصروا في كلامهم المسطور في كتبهم لعرفوا أن لا وجود للتشبيه عندهم . وأنهم من أشد الناس تنزيهاً لله سبحانه وتعالى فأين التشبيه والتجسيم في مثل قول العالم السلفي المشهور ابن تيمية هذا ؟ إذ يقول: (القول في الصفات كالقول في الذات فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فإذا كان له ذات حقيقية لا تماثل الذوات فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل سائر الصفات فإذا قال السائل كيف استوى على العرش ؟ قيل له كما قال ربعة ومالك وغيرهما الإستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عن الكيفية بدعة لأنه سؤال عما

(١) هو العلامة الفقيه حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر العنقري السعدي التميمي ولد في مدينة العُتَيَّة ولأزم الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأخذ عن الشيخ سليمان بن عبد الوهاب وحسين ابن غنام وأخذ عنه عبد العزيز بن معمر وسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب وعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ وعبد الله أبو بطين وخلق غيرهم كثير . أرسله الإمام عبد العزيز ابن محمد آل سعود إلى مكة لمناظرة علمائها سنة ١٢١١ هـ وأسند له رئاسة قضاة مكة المكرمة وأقام فيها إلى أن توفي ١٢٢٥ هـ .

أنظر علماء نجد للباسم (١ : ٢٣٩) .

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢ : ٢٠٨) .

لا يعلمه البشر ولا يمكنهم الإجابة عنه . وكذلك إذا قال كيف ينزل ربنا الى السماء الدنيا ؟ قيل له كيف هو فإذا قال لا أعلم كيفيته قيل له ونحن لا نعلم كيفية نزوله إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف وهو فرع له وتابع له فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه واستوائه ونزوله وأنت لا تعلم كيفية ذاته وإذا كنت تقرّ بأن له حقيقة ثابتة في نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال لا يماثلها شيء فسمعه وبصره وكلامه ونزوله واستوائه ثابت في نفس الأمر وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمع المخولفين وبصرهم وكلامهم ونزولهم واستوائهم^(١) .

وبهذا القول المفحم للخصوم يظهر لكل ذي لب أن مذهب السلف بين التعطيل والتمثيل فلا يمثّلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم فيعطّلوا أسماءه الحسنى وصفاته العليا ويحرّفوا الكلم عن مواضعه والمتدبر للقاعدتين الأولى والثانية يتّضح له أن ابن قتيبة على منهج السلف الصالح الجامع بين إثبات الصفات لله وتنزيهه عن المشابهة والمماثلة للمحدثات .

القاعدة الثالثة :

إن ابن قتيبة يُمسكُ عما لم يردّ ذكره في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم من إثبات أو نفي يدل على هذه القاعدة عنده قوله : (وإن سئلنا فنقتصر على جملة ما قال الله ونُسك عما لم يُقل)^(٢) . وقوله : (إن الواجب علينا أن ننتهي في صفات الله إلى حيث انتهى في صفاته أو حيث انتهى رسوله صلى الله عليه وسلم ولا نزيل اللفظ عما تعرفه العرب ونضعه عليه ونمسك عما سوى ذلك)^(٣) .

(١) الرسالة التدمرية (ص ١٩ ، ٢٠) .

(٢) إختلاف اللفظ (ص ٢٣٦) .

(٣) إختلاف اللفظ (ص ٢٤٣) .

وهذه القاعدة السلفية التي سار عليها ابن قتيبة هي من أجل القواعد فإن الناس لا يعلمون من الله إلا ما أعلمهم به فمن سوء الأدب مع الله أن يثبت شخص صفة أو إسماً لم يذكرها الله لنفسه فكأن لسان حال هذا الشخص يقول أنا أعلم بالله من الله أو ينفي عنه شيئاً لم ينفيه عن نفسه كحال بعض المبتدعة الذين يتوسعون في النفي بعبارات مبتدعة لم يرد بها كتاب ولا سنة فيقولون ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا يُحس ولا يُلمس ولا .. إلى آخر هذيانهم .

والقاعدة السلفية الاقتصار على ما نفاه الله عن نفسه في كتابه : ﴿ هل تعلم له سميّاً .. ﴾ مريم : ٦٥ ، ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم .. ﴾ البقرة : ٢٥٥ ، ﴿ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ . ﴿ وما مسنا من لغوب .. ﴾ ق : ٣٨ . ونحو هذا النفي الوارد به الشرع الحكيم وهذه القاعدة الجليلة عليها السلف الصالح قديماً وحديثاً . يقول عبد العزيز بن الماجشون^(١) : (إعلم رحمك الله أن العصمة في الدين أن تنتهي في الدين حيث انتهى بك ولا تتجاوز ما قد حدّ لك فإن من قوام الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر فما بسطت عليه المعرفة وسكنت إليه الأفتدة وذكر أصله في الكتاب والسنة وتوارث علمه الأمة فلا تخافن في ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه عيباً ولا تكلفن بما وصف لك من ذلك قدراً وما أنكرته نفسك ولم تجد ذكره في كتاب ربك ولا في حديث عن نبيك من ذكر صفة ربك فلا تكلفن علمه بعقلك ولا تصفه بلسانك وأصمت عنه . كما صمت

(١) هو عبد العزيز بن عبد الله بن أبي مسلم الماجشون أحد الأعلام مولى آل الهذير التميمي روى عن أبيه وعمه يعقوب ومحمد بن المنكدر وخلق لا يحصون وعنه ابنه عبد الملك وزهير بن معاوية والليث بن سعد وخلق كثير . وقال ابن سعد أنه كان ثقة كثير الحديث وأهل العراق أروى عنه من أهل المدينة توفي ببغداد سنة ١٦٤ هـ وكان فقيهاً ورعاً متبعاً لمذهب أهل الحرمين مفرعاً على أصولهم ذاباً عنها وقال أبو زرعة وأبو حاتم وأبو داود والنسائي أنه ثقة . انظر تهذيب التهذيب (٦ : ٣٤٤) .

الرب عنه من نفسه فإن تكلفك معرفة ما لم يصف من نفسه كإنكارك ما وصف منها فكما أعظمت ما جحدته الجاحدون مما وصف من نفسه فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها فقد والله عزَّ المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يعرف وينكرون المنكر ويإنكارهم ينكر يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه وما يبلغهم مثله عن نبيه فما مرض من ذكر هذا وتسميته قلب مسلم ولا تكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب مؤمن وما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سماه من صفة ربه فهو بمنزلة ما سمي ووصف الرب تعالى من نفسه . والراسخون في العلم الواقفون حيث انتهى علمهم الواصفون ربهم بما وصف من نفسه التاركون لما ترك من ذكرها لا ينكرون صفة ما سمي منها جحداً ولا يتكلفون وصفه بما لم يسم تعمقاً لأن الحق ترك ما ترك وتسمية ما سمي^(١) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية عليه رحمه الله : (ما تنازع فيه المتأخرون نفياً وإثباتاً فليس على أحد بل ولا له أن يوافق أحداً على إثبات لفظه أو نفيه حتى يعرف مراده فإن أراد حقاً قبل وإن أراد باطلاً رد وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقاً ولم يرد جميع معناه بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى^(٢) .

وقول ابن تيمية هذا إن أراد حقاً وإن أراد باطلاً رد ليس معناه إثبات شيء لله لم يثبت هو لنفسه أو نفي شيء عنه لم ينفيه عن نفسه بل المراد إن أراد معنى حقاً قد ورد به الكتاب والسنة قبل وإن أراد معنى باطلاً قد ورد الكتاب والسنة ببطالانه رد والله تعالى أعلم .

(١) نقله ابن تيمية عن كتاب السنة للأثرم والإبانة لابن بطة في الفتوى الحموية (ص ١١٥) وقال
إسناده صحيح .

(٢) الرسالة التدميرية (ص ٢٨) .

القاعدة الرابعة :

إن ابن قتيبة لا يعتمد على المقاييس العقلية في إثبات ما يجب لله أو يتنع عليه سبحانه بل يشنَّ على من يسلك هذا المنهج ويعتقد أن القياس العقلي في باب الاعتقادات سبب ضلال كثير من المتأخرين عن القرون الماضية المفضلة يدلُّ على هذا قوله : (وكنت أسمعهم يقولون إن الحق يدرك بالمقاييس والنظر ويلزم من لزمته الحجة أن ينقاد لها ثم رأيتهم في طول تناظرهم والزام بعضهم بعضاً الحجة في كل مجلس مرات لا يزولون عنها ولا ينتقلون وسأل آخر آخر عن العلم فقال له أتقول أن سميعاً في معنى عليم ؟ قال نعم . قال لقد سمع الله قول الذين قالوا أن الله فقير هل سمعه حين قالوه ؟ قال نعم . قال فهل سمعه قبل أن يقولوا ؟ قال لا قال فهل علمه قبل أن يقولوه ؟ قال نعم قال له فأرى في سميع معنى غير معنى عليم فلم يجب قلت له لزمك الحجة فلم لا تنتقل عما تعتقد إلى ما ألزمتك الحجة فقال لو فعلت ذلك لانتقلت في كل يوم مرات قلت فإذا كان الحق إنما يعرف بالقياس والحجة وكنت لانتقلا لهما بالإتباع كما تنقاد بالإنقطاع فما تصنع بهما التقليد أربح لك والمقام على أثر الرسول صلى الله عليه وسلم أولى بك)^(١) .

ويقول ابن قتيبة رحمه الله في نقد أصحاب المنهج العقلي الذين لا يثبتون إلا ما اثبتته عقولهم بزعمهم : (فقد كان يجب مع ما يدعونه من معرفة القياس وإعداد آلات النظر أن لا يختلفوا كما لا يختلف الحساب والمساح والمهندسون لأن آلتهم لا تدل إلا على عدد واحد وإلا على شكل واحد وكما لا يختلف حذاق الأطباء في الماء وفي نبض العروق لأن الأوائل قد وقفوهم من ذلك على أمر واحد . فما بالهم أكثر الناس اختلافاً لا يجتمع

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٦٣ ، ٦٥) بتصرف .

إثنان من رؤسائهم على أمر واحد في الدين . فأبو الهذيل العلاف^(١) يخالف النظام^(٢) . والنجّار يخالفهما^(٣) .

وهشام بن الحكم^(٤) يخالفهم كذلك . . وليس منهم واحد إلا وله مذهب في الدين يُدان برأيه وله عليه تبع ولو كان اختلافهم في الفروع والسنن لا تسع لهم العذر عندنا - وإن كان لا عذر لهم مع ما يدعونه لأنفسهم - كما اتسع لأهل الفقه ولكن اختلافهم في التوحيد وفي صفات الله تعالى وفي قدرته وفي نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار وعذاب البرزخ وفي اللوح وفي غير ذلك من الأمور التي لا يعلمها نبي إلا بوحي من الله تعالى ولن يعدم هذا من رد مثل هذه الأصول إلى استحسانه ونظره وما أوجبه القياس عنده لاختلاف الناس في عقولهم وإرادتهم واختياراتهم فإنك لا تكاد ترى رجلين متفقين حتى يكون كل واحد منهما يختار ما يختاره الآخر ويرذل ما يرذله الآخر إلا من جهة التقليد والذي خالف بين مناظرهم وهيئاتهم وألوانهم ولغاتهم وأصواتهم وحظوظهم وآثارهم حتى فرق القائف بين الأثر والأثر وبين الأنثى والذكر هو الذي خالف بين آرائهم^(٥) .

وهذه القاعدة المهمة من عدم الاعتماد على الشبه والقياسات العقلية

(١) هو أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله البصري العلاف شيخ المعتزلة ومقدمهم ومقرر طريقتهم والمناظر عليها والذاب عنها أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عن أبيه بن عطاء . توفي سنة ٢٢٦ وقيل ٢٣٥ هـ . أنظر هامش الفرق بين الفرق (ص ١٢٢) .

(٢) تقدمت ترجمته (ص ١٦٢) .

(٣) هو أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله النجار كان حائطاً في طراز العباس بن محمد الهاشمي وهو متكلمي المجبرة وله مع النظام مناظرات وزعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص . توفي سنة ٢٣٠ هـ تقريباً . أنظر الفرق بين الفرق (ص ٢٠٨) ، الملل والنحل (ص ٨٨) .

(٤) هشام بن الحكم أبو محمد مولى بني شيبان كوفي تحول إلى بغداد وهو من أصحاب أبي عبد الله جعفر بن محمد وهو من متكلمي الشيعة ممن فتن الكلام في الإمامة وهذب المذهب وكان منقطعاً إلى يحيى بن خالد البرمكي وكان القيم بمجالس كلامه ونظره . توفي بعيد نكبة البرامكة بمدة مستراً وله كتب عديدة . أنظر عنه الفهرست لابن النديم (ص ٢٥٠) .

(٥) أنظر تأويل مختلف الحديث (ص ١٤ ، ١٥) .

في باب الاعتقادات هي الفصل بين السلف وبين المبتدعة من الفرق التي خالفت السلف في منهجها مع اعتقاد السلف أن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح . يقول ابن القيم رحمه الله : (أن ما علم بصريح العقل الذي لا يختلف فيه العقلاء لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة ومن تأمل ذلك فيما تنازع العقلاء فيه من المسائل الكبار وجد ما خالف النصوص الصريحة الصحيحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها فتأمل ذلك في مسائل التوحيد والصفات ومسائل القدر والنبوت والمعاد تجد ما يدل عليه صريح العقل لم يخالفه سمع قط بل السمع الذي يخالفه إما أن يكون حديثاً موضوعاً أو لا تكون دلالاته مخالفة لما دل عليه العقل ونحن نعلم قطعاً أن الرسل لا يخبرون بمحالات العقول (١) . والاعتماد على النص الشرعي وعدم الالتفات إلى القياسات المنطقية والشبه العقلية التي لا يدل عليها نص صحيح ولا عقل صريح هو المراد من هذه القاعدة الجليلة التي استنبطناها من كلام ابن قتيبة ويوافقه على هذه القاعدة كل السلف الصالح . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير هذه القاعدة وفي التشنيع على من خالفها (فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء أنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله عز وجل وما يستحقه من الصفات نفياً وإثباتاً لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الأمة ولكن أنظروا أنتم فما وجدتموه مستحقاً له من الصفات فصفوه به سواء كان موجوداً في الكتاب والسنة أو لم يكن وما لم تجدوه مستحقاً له في عقولكم فلا تصفوه به . . . وهذا الكلام قد رأيته صرح بمعناه طائفة منهم وهو لازم لجماعتهم لزوماً لا محيد لهم عنه ومضمونه : أن كتاب الله لا يهتدى به في معرفة الله وأن الرسول معزول عن التعليم والأخبار بصفات من أرسله وأن الناس عند التنازع لا يردون ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول بل إلى مثل ما كانوا عليه في الجاهلية وإلى مثل ما يتحاكم إليه من لا يؤمن بالأنبياء . . . ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيراً

(١) مختصر الصواعق (١ : ١٤١) .

لهم في أصل دينهم لأن مردهم قبل الرسالة ويعدها واحد وإنما الرسالة زادتهم عمى وضلالة . . يا سبحان الله . . كيف لم يقل الرسول يوماً من الدهر ولا أحد من سلف الأمة هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم واعتقدوا كذا وكذا فإنه الحق وما خالف ظاهره قياس عقولكم فلا تعتقدوا ظاهره وانظروا فيها فما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه وما لا فتوقفوا فيه أو أنفوه ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر بأن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة فقد علم ما سيكون ثم قال إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي . وروي عنه أنه قال في صفة الفرقة الناجية هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي^(١) . فهلا قال : من تمسك بالقرآن أو بدلالة القرآن أو بمفهوم القرآن أو بظاهر القرآن في باب الاعتقادات فهو ضال وإنما الهدى رجوعكم الى مقاييس عقولكم^(٢) . وفي مثل هذا المعنى يقول ابن القيم رحمه الله : (فتأمل اضطراب فرق الشيعة والخوارج والمعتزلة وطوائف أهل الكلام وكل منهم يدعي أن صريح العقل معه وأن مخالفه قد خرج عن صريح العقل ونحن نصدق جميعهم ونبطل عقل كل فرقة بعقل الأخرى ثم نقول للجميع بعقل من منكم يوزن كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ؟ فما وافقه قبل واقر عليه وما خالفه اول او فوض الى عقولكم . . اعقل أرسطو وشيعته أم عقل أفلاطون أم فيثاغورس أم بقراط أم الفارابي أم ابن سينا أم محمد بن زكريا أم ثابت بن قرة أم جهم بن صفوان أم النظام أم العلاف أم الجبائي أم بشر المريسي أم الاسكافي أم ترضون عقول القرامطة والباطنية والإسماعيلية أم عقول الاتحادية فكل هؤلاء وأضعاف أضعافهم يدعي أن العقل الصريح معه وأن مخالفه خرجوا عن صريح المعقول وهذه عقولهم تنادي عليهم ولولا الإطالة لعرضناها على السامع عقلاً عقلاً وقد عرضها المعتنون بذكر المقالات

(١) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ٤٠٠/٧ أبواب الايمان .

(٢) ملخصاً من الفتوى الحموية (ص ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧) .

وهذه العقول إنما تفيد الريب والشك والحيرة والجهل المركب فإذا تعارض النقل وهذه العقول أخذ بالنقل الصحيح ورمى بهذه العقول تحت الأقدام وحطت حيث حطها الله وأصحابها (١).

القاعدة الخامسة :

إن ابن قتيبة لا يعتمد على علم الكلام في فهم نصوص العقيدة ولا في الدفاع عنها ويرى أن هذا المنهج هو سبب الضلال في العقيدة يدل على هذا قوله : (فأما الكلام فليس من شأننا ولا أرى أكثر من هلك إلا به) (٢) . وقوله وقد تدبرت مقالة أهل الكلام فوجدتهم يقولون على الله ما لا يعلمون ويفتنون الناس بما يأتون ويبصرون القذي في عيون الناس وعيونهم تطرف على الإجذاع ويتهمون غيرهم في النقل ولا يهتمون آراءهم في التأويل ومعاني الكتاب والحديث وما أودعاه من لطائف الحكمة وغرائب اللغة لا يدرك بالطفرة والتولد والعرض والجوهر والكيفية والكمية والانية ولوردوا المشكل منهما إلى أهل العلم بهما وضح لهم المنهج واتسع لهم المخرج ولكن يمنع من ذلك طلب الرئاسة وحب الأتباع واعتقاد الأخوان بالمقالات (٣) . وابن قتيبة في نقده لأهل الكلام وبيانه لانحرافهم ليس مقلداً لأحد بل عايشهم وحضر مجالسهم وبصر خطأهم عن كثب وعرف ما يدور في حلقاتهم مشاهدة وليس الخبر كالمعاينة يقول عن نفسه : (وقد كنت في عنفوان الشباب وتطلب الآداب أحب أن أتعلق من كل علم بسبب وأن أضرب فيه بسهم فربما حضرت بعض مجالسهم وأنا مغتر بهم طامع أن أصدر عنه بفائدة أو كلمة تدل على خير أو تهدي لرشد فأرى من جرأتهم على الله تبارك وتعالى وقلة توقيهم وحملهم أنفسهم على العظامم لطرده القياس أو لثلا يقع انقطاع ما أرجع معه

(١) مختصر الصواعق (١/ ١٢٧ - ١٢٨) .

(٢) إختلاف اللفظ (ص ٢٢٥) .

(٣) تأويل مختلف الحديث (ص ١٢ ، ١٤) .

خاسراً نادماً وقد ذكرهم محمد بن بشير الشاعر وقد أصاب في وصفهم حين يقول :

دُعْ من يقول الكلام ناحية فما يقول الكلام ذو ورع
كل فريق بدؤهم حسن ثم يصيرون بعد للشنع
أكثر ما فيه أن يقال له لم يكُ في قوله بمنقطع^(١)

وأين قتيبة في هذه القاعدة الجليلة سائر على منهج السلف الصالح الذين ذموا علم الكلام وحذروا منه إذ قال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة من طلب العلم بالكلام تزندق وقال الشافعي عليه رحمة الله حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام ولقد أطلعت من أهل الكلام على شيء ما كنت أظنه ولأن يبتلي العبد بكل ذنب ما خلا الإشراف بالله خير من أن يبتلى بالكلام . وقال الإمام أحمد ما ارتدي أحد بالكلام فأفلح وقل أحد نظر في الكلام إلا كان في قلبه غلٌّ على أهل الإسلام^(٢) .

وأختم هذه القاعدة السلفية بما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في انتقاد مخالفيها : (إن المتكلمين كثر في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم وأخبر الواقف على نهاية إقدامهم بما انتهى إليه أمرهم)^(٣) .

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيَّرتُ طرفي بين تلك المعالم
فلم أرَ إلا واضعاً كفَّ حائر على ذقن أوقار عاً سن نادم

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٦١ ، ٦٢) .

(٢) أنظر موافقة صحيح المنقول بهامش منهاج السنة لابن تيمية (١ : ١٤١) .

(٣) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشهرستاني المتكلم صاحب التصانيف أخذ علم النظر والأصول عن أبي القسم الأنصاري وأبي نصر بن القشيري واتهم بمذهب الباطنية ومن كتبه نهاية الإقدام في علم الكلام وكتاب الملل والنحل . توفي سنة ٥٤٨ هـ .

أنظر شفاء الغلب (٤ : ١٤٩) .

وأقرّوا على أنفسهم بما قالوا متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم كقول بعض رؤسائهم^(١) :

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وغاية دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن . إقرأ في الإثبات ﴿ الرحمن على العرش استوى .. ﴾ طه : ٥ ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب .. ﴾ فاطر : ١٠ وإقرأ في النفي ﴿ ليس كمثله شيء .. ﴾ الشورى : ١١ ﴿ ولا يحيطون به علماً .. ﴾ طه : ١١٠ ، ومن جرّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي .

ويقول الآخر منهم : « لقد خضت البحر النخض وتركت أهل الإسلام وعلومهم وخضت في الذي نهوني عنه والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان وها أنا أموت على عقيدة أمي ويقول الآخر منهم أكثر الناس شكا عند الموت أصحاب الكلام ثم هناك المتكلمون المخالفون للسلف إذا حق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر ولا وقعوا من ذلك على عين ولا أثر »^(٢) .

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الرازي صاحب التصانيف المشهورة ولد سنة ٥٤٤ هـ تعلم عن والده خطيب الري صاحب محيي السنة البغوي وله مصنّفات كثيرة منها تفسيره مفاتيح الغيب وكتاب المحصول والمنتخب ونهاية العقول وتأسيس التقديس والمعالم في أصول الدين والمعالم في أصول الفقه والملخص في الفلسفة يقول ابن الصلاح أخبرني القطب الطوعاني مرتين أنه سمع فخر الدين الرازي يقول يا ليتني لم أشتغل بعلم الكلام وبكى وروى عنه ما ذكره ابن تيمية هنا والله أعلم بالصواب . توفي سنة ٦٠٦ هـ . أنظر شذرات الذهب (٥ : ٢١) .

(٢) أنظر الفتوى الحموية ضمن مجموعة نفائس (ص ٩٠ ، ٩١) .

القاعدة السادسة :

إبن قتيبة يعتبر أن ما وصف الله به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم على الحقيقة لا على المجاز يدل على هذه القاعدة قوله : (وذهب قوم في قول الله وكلامه إلى أنه ليس قولاً ولا كلاماً على الحقيقة وإنما هو إيجاد للمعاني وصرفوه في كثير من القرآن إلى المجاز وقد تبين لمن قد عرف اللغة أن أفعال المجاز لا تخرج منها المصادر ولا تؤكد بالتكرار : والله تعالى يقول : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ۝ ﴾ النساء : ١٦٤ ، فوكّد بالمصدر معنى الكلام ونفى عنه المجاز وقال : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ ﴾ النحل : ٤٠ ، فوكّد القول بالتكرار ووكد المعنى بإنما (١) .

وعقد رحمه الله باباً في كتابه تأويل مُشكل القرآن بعنوان : (باب القول في المجاز) واستعرض فيه صوراً كثيرة من أساليب المجاز ولم يورد فيه شيئاً من آيات الصفات أو أحاديثها مما يدل على أنه يرى أن صفات الله تعالى على الحقيقة لا على المجاز (٢) .

وهذه القاعدة قاعدة سلفية ولا شك . يقول الحافظ إبن عبد البر (٣) :

(١) ملخصاً من مشكل القرآن (ص ١٠٦ ، ١١١) .

(٢) أنظر تأويل مشكل القرآن (ص ١٠٣ - ١٣٤) .

(٣) هو العلامة الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي أحد الأعلام وصاحب التصانيف . روى عن سعيد بن نصر وعبد الله بن أسد وابن صيفون وغيرهم وليس لأهل المغرب أحفظ منه مع الثقة والدين والنزاهة والتبحر في الفقه والعربية والأخبار قال أبو علي الحسين الغساني الأندلسي ابن عبد البر شيخنا من أهل قرطبة بها طلب العلم وتفقه ولزم أبا الوليد بن الفرضي الحافظ وعنه أخذ كثيراً من علم الحديث ودأب في طلب العلم وتفنن فيه وبرع وألف في الموطأ كتاباً مفيدة منها كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد وله كتاب الإستهيعاب في معرفة الأصحاب وكتاب جامع بيان العلم وفضله وكتاب الدرر في اختصار المغازي وغيرها . تولى قضاء الأشبون وشتيرين في أيام ملكها المظفر بن الأفطس . توفي رحمه الله في سنة ٤٦٣ هـ . أنظر شذرات الذهب (٣ : ٣١٥) .

(أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسنة وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لم يكتفوا شيئاً من ذلك) (١) .

ويقول العالم السلفي حمد بن ناصر (٢) موضحاً إعتقاد السلف في نصوص الصفات وإنهم يعتبرونها حقيقة لا مجازاً : « فلا نقول أن معنى اليد القدرة ولا أن معنى الإستواء الإستيلاء ولا معنى نزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا نزول رحمته ونحو ذلك بل نؤمن بأنها صفات حقيقية والكلام فيها كالكلام في الذات يحتذى فيه حذوه فإذا كانت الذات تثبت إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية ومن ظن أن نصوص الصفات لا يعقل معناها ولا يدري ما أراد الله ورسوله منها ولكن يقرؤها ألفاظاً لا معاني لها وإنها بمنزلة (كهيعص ، حم ، عسق ، والمص) وأن لها تأويلاً لا يعلمه إلا الله » .

وظن أن هذه طريقة السلف وأنهم لم يكونوا يعرفون حقائق الأسماء والصفات ولا يعلمون حقيقة قوله : ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه .. ﴾ الزمر : ٦٧ ، وقوله : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي .. ﴾ ص : ٧٥ ، وقوله : ﴿ الرحمن على العرش استوى ... ﴾ طه : ٥ ، ونحو ذلك فهذا الظان من أجهل الناس بعقيدة السلف وهذا الظن يتضمن استجهال السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة وأنهم كانوا يقرأون هذه الآيات ويروون حديث النزول وأمثاله ولا يعرفون معنى ذلك ولا ما أريد به ولازم هذا الظن أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتكلم بذلك ولا يعرف معناه فمن ظن أن هذه عقيدة السلف فقد أخطأ في ذلك خطأ بيناً بل السلف رضي الله عنهم أثبتوا لله حقائق الأسماء والصفات ونفوا عنه مماثلة المخلوقات فكان مذهبهم مذهباً بين

(١) العلو للذهبي (ص ١٨٢) .

(٢) تقدمت ترجمته (ص ١٤٢) .

مذهبين وهديّ بين ضلالين خرج من مذهب المعطلين والمشبّهين كما خرج اللبن من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين^(١) .

القاعدة السابعة :

إبن قتيبة يجري نصوص الصفات على ظاهرها مع اعتقاده أن ظاهرها يليق بالله ولا يشبه صفات المحدثات يدلّ على هذا قوله : (الواجب علينا أن ننتهي في صفات الله إلى حيث انتهى في صفته أو حيث انتهى رسوله صلّى الله عليه وسلّم ولا نزيل اللفظ عما تعرفه العرب ونضعه عليه ونمسك عما سوى ذلك)^(٢) . ثم إن إبن قتيبة عقد باباً في كتابه تأويل مشكل القرآن بعنوان (باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه) وعدد من ذلك أشياء ليس فيها شيء من نصوص الصفات فدلّ على أنه يرى إجراءاتها على ظاهرها . وهذه القاعدة مشهورة عند علماء السلف . يقول أبو سليمان الخطابي^(٣) : (فأما ما سألت عنه من الصفات وما جاء منها في الكتاب والسنة فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها)^(٤) . وقال القاضي أبو يعلى^(٥) في كتاب إبطال التأويل : « لا يجوز رد هذه الأخبار ولا التشاغل

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢ : ٢١٩) .

(٢) اختلاف اللفظ (ص ٢٣٧) .

(٣) هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخباب البستي الخطابي إمام فاضل كبير الشأن جليل القدر صاحب التصانيف الحسنة مثل أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري ومعالم السنن في شرح الأحاديث التي في السنن وكتاب غريب الحديث . والعزلة وغيرها سمع أبا سعيد بن الإعرابي بمكة وأبا بكر محمد بن بكر بن داسة التمار بالبصرة وإسماعيل بن محمد الصفار ببغداد وغيرهم روى عنه الحاكم وأبو الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي وجماعة كثيرة . توفي سنة ٣٨٨ هـ . أنظر الأنساب للسمعاني (٥ : ١٥٩) .

(٤) الفتوى الحموية (ص ١٢٤) .

(٥) هو أبو يعلى بن الفراء شيخ الطبقة الخامسة من الحنابلة القاضي الحبر محمد بن الحسين بن محمد بن خلف البغدادي صاحب التصانيف وفقه العصر كان إماماً لا يدرك قراره ولا يشق غباره عاش ثمانية وسبعين سنة وحدث عن أبي الحربي والمخلص وطبقتهم وأبلى عدة

بتأويلها والواجب حملها على ظاهرها وإنها صفات لله لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من سائر الخلق ولا يعتقد التشبيه فيها» (١) .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : (وقد أخبر الله تعالى عن رسوله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ . . . يوسف : ١٠٨ ، وأخبر تعالى عنه أنه سراج منير وأنه هاد إلى صراط مستقيم وبأن من اتبع النور الذي أنزل معه هو المفلح لا غيره وإن من لم يحكمه في كل ما تنازع فيه المتنازعون وينقاد لحكمه ولا يكون عنده حرج منه فليس بمؤمن فكيف يجوز على من أخبر الله عنه بما ذكر أن يكون قد أخبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله بما لهدى في خلاف ظاهره . . . معاذ الله فإنه لو خرج عن ظاهره بتأويل المتأولين انتقضت عرى الإيمان كلها وكان لا تشاء طائفة من طوائف أهل الضلال أن تتأول النصوص على مذهبها إلا وجدت السبيل إليه) (٢) .

وهنا أمر يجب التفطن له وهو أن بعض الناس يظن أن إجراء نصوص الصفات على ظاهرها أي على المعهود من صفات المحدثات وليس هذا مقصود السلف فإن هذا هو التشبيه وإنما المراد إثبات المعاني الموضوعة لها الألفاظ مع اعتقاد أن صفات كل موصوف تناسبه فالله ليس كالمحدثات حتى تكون صفاته كصفات المحدثات وقد أشاع المتكلمون أن ظواهر النصوص تقتضي المشابهة حتى أن بعض المنتصرين لمذهب السلف يقول نصوص الصفات تمر على ما جاءت به مع إعتقاد أن ظاهرها غير مراد ويقصد بظواهرها

مجالس وولى قضاء الحرمين وتفقه على أبي عبد الله بن حامد وغيره وجميع الطائفة معترفون بفضلهم ومعترفون من بحر توفى في تاسع عشر رمضان عام ٤٥٨ هـ .

أنظر شذرات الذهب (٣ : ٣٠٧) ، طبقات الحنابلة تصنيف ابن أبي الحسين فإنه قد ترجم

له ترجمة إضافية (٢ : ١٩٣) .

(١) الفتوى الحموية (ص ١٤٦) .

(٢) مختصر الصواعق (١ : ٦) .

ما أَرَادَهُ المتكلمون من المشابهة وقد ناقش هذه المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية مناقشة قيمة وبين ما فيها من ملائسات وسأورد ما ذكره بنصه ليتضح للقارئ ما المراد بظواهر النصوص عند السلف :

(أعلم أن من المتأخرين من يقول مذهب السلف أمرارها على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد وهذا اللفظ مجمل فإن قوله ظاهرها غير مراد يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين مثل أن يراد بكون الله قبل وجه المصلي أنه مستقر في الحائط الذي يصلي إليه وأن الله معنا ظاهره أنه إلى جانبنا ونحو ذلك فلا شك أن هذا غير مراد ومن قال أن مذهب السلف أن هذا غير مراد فقد أصاب في المعنى لكن أخطأ بإطلاق القول بأن هذا ظاهر الآيات والأحاديث فإن هذا المحال ليس هو الظاهر اللهم إلا أن يكون هذا المعنى الممتنع صار يظهر لبعض الناس فيكون القائل لذلك مصيباً بهذا الاعتبار معذوراً في هذا الإطلاق فإن الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس وهو من الأمور النسبية وكان أحسن من هذا أن يبين لمن اعتقد أن هذا هو الظاهر إن هذا ليس هو الظاهر حتى يكون قد أعطى كلام الله وكلام رسوله حقه لفظاً ومعنى وإن كان الناقل عن السلف أراد بقوله ظاهرها غير مراد عندهم أن المعاني التي تظهر من هذه الآيات والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته ولا تختص بصفة المخلوقين بل هي واجبة لله أو جائزة عليه جوازاً ذهنياً أو جوازاً خارجياً غير مراد فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف أو تعمد الكذب فما يمكن احد قط أن ينقل عن واحد من السلف ما يدل لا نصاً ولا ظاهراً أنهم كانوا يعتقدون أن الله ليس فوق العرش ولا أن الله ليس له سمع وبصر ويد حقيقة (١) والله أعلم .

(١) الفتوى الحموية (ص ١٥٩ - ١٦٠) .

المبحث الثاني عقيدته في صفات الله تعالى

تمهيد :

(١) ابن قتيبة سلفي في طريقة بحثه في العقيدة - كما مرَّ آنفاً في منهجه في توضيح العقيدة - وقد كان من منهجه أنه يمسك عما لم يرد ذكره في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لذا فإن كتبه خالية من كثير من المباحث التي يتعرّض لها بعض الباحثين في العقيدة المتأثرين بأهل الكلام كقولهم : هل الصفات زائدة على الذات ؟ أم هي عين الذات ونحو هذا من المباحث التي لم تعرف عند علماء السلف الأوائل .

(٢) لم يكن ابن قتيبة صاحب كتب مطولة في العقيدة كحال بعض علماء السلف الذين ذكروا سائر أمور العقيدة وذكرُوا أدلّتها مستوفاة وردّوا على الفرق المخالفة لهم ونقضوا شبههم بالتفصيل كما هو الشأن عند ابن تيمية وابن القيم وأضرابهما . بل يوجد كلامه في العقيدة متناثراً في كتبه يكثر في بعضها ككتاب تأويل مختلف الحديث ويقل في بعضها ككتاب تأويل مشكل القرآن .

(٣) لم يكن لابن قتيبة كتاب مستقل في العقيدة سوى كتابه (اختلاف اللفظ والرد على الجهمية والمشبّهة) وهو ثلاثون صفحة فقط وقد جعله في الرد على القدرية والمعتزلة القائلين بخلق القرآن وناقش فيه مسألة اللفظ وردّه فيه على المشبّهة مختصر جداً .

(٤) كلام ابن قتيبة في صفات الله تعالى يدور حول الصفات التي كثر فيها الجدل بين علماء السلف وخصومهم غالباً وهي :

- ١ - صفة علو الله واستوائه على عرشه .
 - ٢ - رؤية المؤمنين لله يوم القيامة .
 - ٣ - صفة اليدين لله تعالى .
 - ٤ - صفة الأصابع لله تعالى .
 - ٥ - صفة الضحك لله تعالى .
 - ٦ - صفة الكلام لله تعالى ومسألة اللفظ .
 - ٧ - صفة النزول لله جلّ جلاله .
 - ٨ - حديث خلق الله آدم على صورته ,
- ولم يستوفِ ابن قتيبة رحمه الله جميع الأدلة ولا الردود على المخالفين في هذه الصفات بل اقتصر على بعضها .

وقبل أن نعرض موقفه من هذه الصفات نبين مذاهب الناس في نصوص الصفات الواردة في الكتاب والسنة وهم ست فرق :

(١) فريق منهم ظنوا أن آيات الصفات أنزلت للتلاوة والتعبد بها دون تعقل معانيها وتدبرها والتفكر فيها وقالوا بنصوص الصفات لا تعقل معانيها ولا يدري ما أراد الله ورسوله منها ولكن نقرأها ألفاظاً ونعلم أن لها تأويلاً لا يعلمه إلا الله وهؤلاء هم الذين يسمون عند علماء السلف أهل التجهيل^(١) .

(٢) وفريق اعتقدوا أن الرسل عليهم صلوات الله وسلامه لم يفصحوا للخلق بالحقائق إذ ليس في قواهم إدراكها فقرأوا لهم الحقائق المعقولة بإبرازها في الصور المحسوسة وقالوا لا يحل لأحد أن يتأول ذلك على خلاف

(١) أنظر الصواعق المنرسلة (١ : ٨٢) .

ظاهره للعامة لأنه يفسد ما وضعت له الشرائع والكتب الإلهية وأما الخاصة فإنهم يعلمون أن هذه أمثال مضرورية لأمور عقلية ويسمي ابن القيم هذا الفريق أهل التخيل ويقول عنهم وحقيقة الأمر عندهم أن الذي أخبرت به الرسل عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وعن اليوم الآخر لا حقيقة له تطابق ما أخبروا به ولكن أمثال وتخيل وتفهم بضرب الأمثال^(١) .

(٣) وفريق أثبتوا الأسماء دون الصفات وأولوا الصفات لأن إثبات صفات قديمة يلزم منه تعدد القدماء بزعمهم وهؤلاء هم المعتزلة ومن سار على نهجهم^(٢) .

(٤) وفريق أثبتوا أسماء الله وسبعاً من صفاته هي التي يسمونها صفات المعاني وأولوا بقية الصفات زعماً منهم أن إثباتها يلزم منه التشبيه والتجسيم وهذا قول أتباع أبي الحسن الأشعري^(٣) الذين لم يقتنعوا برجوعه إلى مذهب السلف .

(٥) وفريق أثبتوا الأسماء والصفات معتقدين أنها تشبه صفات المخلوقين وقالوا محال أن يخاطبنا الله بما لا نعقله وهؤلاء هم المشبهة^(٤) .

(٦) وفريق أثبتوا حقائق الأسماء والصفات ونفوا عنها مماثلة المخلوقات ولا يكتفون شيئاً منها ولا يؤولونها وهم السلف الصالح رضوان الله عليهم .

ولننظر الآن في موقف ابن قتيبة من بعض الصفات التي كثر الجدل فيها بين السلف وغيرهم ليتضح للقارئ معتقده فيها من خلال أقواله .

(١) المصدر السابق (١ : ٨١) .

(٢) إسلام بلا مذاهب - مصطفى الشكعة (ص ٤٢٤) .

(٣) أنظر الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١ : ١٧٨) .

(٤) مختصر الصواعق المرسله (١ : ٨٣) .

(١) صفة علو الله واستوائه على عرشه :

ابن قتيبة يعتقد أن الله في السماء مستوٍ على عرشه بائن من خلقه كما يليق بجلاله يدلُّ على هذا قوله : (والأمم كلها عربيتها وعجميتها تقول أن الله تعالى في السماء ما تركت على فطرها ولم تنقل عن ذلك بالتعليم وفي الحديث^(١) أن رجلاً أتى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بأمة أعجمية للعتق فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أين الله تعالى ؟ فقالت في السماء . قال : فمن أنا قالت : أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام : هي مؤمنة » وأمره بعتقها هذا أو نحوه^(٢) .

وقد فند ابن قتيبة رحمه الله تعالى قول من قال أن الله حال في كل مكان وهو بالمحل الأعلى مثله بالمحل الأدنى فقال : (كيف يسوغ لأحد أن يقول أنه بكل مكان على الحلول مع قوله : ﴿ الرحمن على العرش استوى . . ﴾ طه : ٥ ، أي استقر كما قال : ﴿ إذا استويت أنت ومن معك على الفلك . . ﴾ المؤمنون : ٢٨ ، أي استقرت ومع قوله تعالى : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه . . ﴾ فاطر : ١٠ ، وكيف يصعد إليه شيء هو معه أو يرفع إليه عمل وهو عنده وكيف تعرج الملائكة والروح إليه يوم القيامة . وتعرج بمعنى تصعد يقال عرج إلى السماء إذا صعد والله عز وجل ذو المعارج والمعارج الدرج . فما هذه الدرج وإلى من تؤدي الأعمال الملائكة إذا كان بالمحل الأعلى مثله بالمحل الأدنى ولو أن هؤلاء رجعوا إلى فطرهم وما ركبت عليه خلقتهم من معرفة الخالق سبحانه لعلموا أن الله تعالى هو العلي وهو الأعلى وهو بالمكان الرفيع وأن القلوب عند الذكر تسمو نحوه والأيدي ترفع بالدعاء إليه ومن العلو يرجي الفرج ويتوقع النصر وينزل الرزق . وهنالك الكرسي والعرش والحجب والملائكة . يقول الله

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب المساجد (٥ : ٢٤) بشرح النووي .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٧٢) .

تبارك وتعالى : ﴿ إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ... ﴾ الأنبياء : ١٩ ، وقال في الشهداء : ﴿ أحياء عند ربهم يرزقون .. ﴾ آل عمران : ١٦٩ ، وقيل لهم شهداء لأنهم يشهدون ملكوت الله تعالى وأحدهم شهيد كما يقال عليم وعلماء وكفيل وكفلاء وقال تعالى : ﴿ لو أردنا أن نتخذ لهمواً لاتخذناه من لدنا .. ﴾ الأنبياء : ١٧ ، أي لو أردنا أن نتخذ امرأة وولداً لاتخذنا ذلك عندنا لا عندكم لأن زوج الرجل وولده يكونان عنده وبحضرته لا عند غيره (١) .

ويقول مستهزئاً بأصحاب الحلول ومنكري العلو : (والعجب لقوم لا يؤمنون إلا بما يصح في المعقول ثم خرجوا من كل معقول بقولهم أن الله في كل مكان بغير مماسه ولا مباينة وبغير موافقة ولا مفارقة) (٢) .

ورد على أصحاب الحلول احتجاجهم بقول الله تعالى : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم .. ﴾ المجادلة : ٧ ، فقال : أنه معهم بالعلم بما هم عليه كما تقول للرجل وجّهته إلى بلد شاسع ووكلته بأمر من أمورك إحذر التقصير والإغفال لشيء مما تقدمت فيه إليك فإنني معك تريد أنه لا يخفى على تقصيرك أو جدك للإشراف عليك والبحث عن أمورك وإذا جاز هذا في المخلوق الذي لا يعلم الغيب فهو في الخالق الذي يعلم الغيب أجوز (٣) . وكذلك احتجاجهم بقوله تعالى : ﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ﴾ فقد قال رحمه الله : ليس فيها ما يدل على الحلول وإنما أراد أنه إله السماء وإله من فيها وإله الأرض وإله من فيها ومثل هذا من الكلام قولك هو بخراسان أمير وبمصر أمير فالإمارة تجتمع له فيهما وهو حال بأحدهما أو

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٧١ ، ٢٧٢) .

(٢) أنظر اختلاف اللفظ (ص ٢٣٩) .

(٣) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٧١) .

بغيرهما وهذا واضح لا يخفى (١) .

وما يعتقده ابن قتيبة رحمة الله عليه في صفة العلو والإستواء هو ما دلّت عليه الأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة وهو اعتقاد جماهير المسلمين باستثناء المبتدعة . يقول عبد الله بن المبارك (٢) رحمه الله نعرّف ربنا بأنه فوق سبع سموات على العرش استوى بائن من خلقه ولا نقول كما قالت الجهمية . وقال الأوزاعي (٣) كنا والتابعون متوافرون نقول أن الله تعالى فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة الصحيحة من صفاته . قال شيخ الإسلام ابن تيمية وإنما قال الأوزاعي ذلك بعد ظهور جهم المنكر لكون الله عز وجل فوق عرشه والنافي لصفاته ليعرّف الناس أن مذهب السلف كان بخلاف قوله (٤) . وقال ابن عبد البر رحمه الله تعالى : روينا من وجوه صحاح أن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه مشى إلى أمة له فنالها فرأته امرأته فلامته فجحدها فقالت له إن كنت صادقاً فقرأ القرآن فإن الجنب لا يقرأ القرآن . فقال :

شهدت بأن وعد الله حق	وأن النار مشوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف	وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد	ملائكة الإله مسومينا

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٧٣) .

(٢) تقدمت ترجمته (ص ١٧٢) .

(٣) هو عبد الرحمن بن عمرو واسمه يحمّد الشامي أبو عمرو الأوزاعي نزل ببيروت في آخر عمره فمات بها مرابطاً سنة ١٥٧ هـ روى عن اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة وشداد بن عمار وعطاء بن أبي رباح وقتادة ونافع مولى إبن عمر والزهري وخلق من أقرانه وغيرهم . وروى عنه مالك والثوري وإبن المبارك وخلق لا يحصون . قال ابن مهدي الأئمة في الحديث أربعة الأوزاعي ومالك والثوري وحماّد بن زيد وأثنى عليه جلة علماء السلف وبعضهم يقول أن في حديثه عن الأزهري شيئاً والله أعلم . تهذيب التهذيب (٧ : ٢٤١) .

(٤) انظر لإجماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (ص ٢٨ ، ٤٥) وقارن بكتاب العلو للعلي الغفّار للذهبي فقد نقل عن أكثر من تسعين إماماً من أئمة المسلمين كلهم يصرحون بعلو الله واستوائه على عرشه .

فقال آمنت بالله وكذبت عيني وكانت لا تحفظ القرآن ولا تقرأه^(١) .

(٢) رؤية المؤمنين لله يوم القيامة :

ابن قتيبة رحمه الله يعتقد أن الله يرى يوم القيامة يراه المؤمنون دون الكافرين يدل على هذا الاعتقاد قوله : (... أن الله جل وعز احتجب عن جميع خلقه في الدنيا ويتجلى لهم يوم الحساب ويوم الجزاء والقصاص فيراه المؤمنون كما يرون القمر ليلة البدر ولا يختلفون فيه كما لا يختلفون في القمر^(٢) .

وقوله أيضاً عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته »^(٣) .

إن هذا الحديث صحيح لا يجوز على مثله الكذب لتتابع الروايات عن الثقات به من وجوه كثيرة ولو كان يجوز أن يكون مثله كذباً جاز أن يكون كل ما نحن عليه من أمور ديننا - في التشهد الذي لم نعلمه إلا بالخبر وفي صدقة النعم وزكاة الناض من الأموال والطلاق والعناق وأشياء ذلك من الأمور التي وصل إلينا علمها بالخبر ولم يأت لها بيان في الكتاب - باطلاً ولم يقع التشبيه بها على كل حالات القمر في التدوير والمسير والحدود وغير ذلك وإنما وقع التشبيه بها على أننا ننظر إليه عز وجل كما ننظر إلى القمر ليلة البدر لا يختلف في ذلك كما لا يختلف في القمر ... وقوله في الحديث « لا تضامون في رؤيته » دليل لأن التضام من الناس يكون في أول الشهر عند طلبهم الهلال فيجتمعون ويقول واحد هو ذاك هو ذاك ، ويقول آخر ليس به وليس القمر كذلك لأن كل واحد يراه بمكانه ولا يحتاج إلى أن ينضم إلى غيره لطلبه^(٤) .

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (ص ٤٠) .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٠٥) .

(٣) البخاري كتاب التوحيد (٤ : ٢٨٣) .

(٤) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٠٥ - ٢٠٦) .

وقد انتقد ابن قتيبة المنكرين لرؤية الله تعالى يوم القيامة وأبطل تفسيراتهم للنصوص الشرعية المثبتة للرؤية فقال : (وأما قولهم أن الرؤية في قوله . « ترون ربكم يوم القيامة » بمعنى العلم كما قال تعالى : ﴿ ألم تر أن الله على كل شيء قدير . . ﴾ البقرة : ١٠٦ ، يريد ألم تعلم فإنه يستحيل لأننا نعلمه في الدنيا أيضاً ، فأى فائدة في هذا الخبر إذا كان الأمر في يوم القيامة وفي الدنيا واحداً) (١) .

ورد عليهم استدلالهم بقوله تعالى : ﴿ لن تراني . . ﴾ الآية الأعراف : ١٤٣ ، على نفي الرؤية مطلقاً في الدنيا والآخرة بقوله : وفي قول موسى عليه السلام : ﴿ رب أرني أنظر إليك . . ﴾ الأعراف : ١٤٣ ، أبين الدلالة على أنه يرى في القيامة ولو كان الله تعالى لا يرى في حال من الأحوال ولا يجوز عليه النظر لكان موسى عليه السلام قد خفي عليه من وصف الله تعالى ما علموه . . . لا لعمر الله لا يجوز أن يجهل موسى عليه السلام من الله عز وجل مثل هذا لو كان على تقديرهم . ولكن موسى عليه السلام علم أن الله تعالى يرى يوم القيامة فسأل الله عز وجل أن يجعل له في الدنيا ما أجله لأنبيائه وأوليائه يوم القيامة . فقال له : ﴿ لن تراني ﴾ يعني في الدنيا : ﴿ ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني . . ﴾ الأعراف : ١٤٣ . فأعلمه أن الجبل لا يقوم لتجليه حتى يصير دكاً وأن الجبال إذا ضعفت عن احتمال ذلك فابن آدم أخرى أن يكون أضعف إلى أن يعطيه الله تعالى يوم القيامة ما يقوى به على النظر ويكشف عن بصره الغطاء الذي كان في الدنيا) (٢) .

ورد عليهم تأويلهم لقوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة . . ﴾ القيامة : ٢٣ ، أي منتظرة لثوابه .

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٠٨) .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٠٧) .

فقال : (. . . يقال أنا لك ناظر أي أنا لك منتظر . ولا يقال أنا إليك ناظر أي إليك منتظر إلا إن يريد نظر العين واللّه يقول : ﴿ وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة ﴾ ولم يقل لربها ناظرة فيحتمل ما تأولوا (١) .

وقد اعتبر ابن قتيبة رحمه الله تعالى أن قول الله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار . . ﴾ الأنعام : ١٠٣ ، من العام المخصوص بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنكم ترون ربكم . . الحديث . فيكون معنى الآية لا تدركه الأبصار في الدنيا إذ قال : (فلما قال الله عز وجل لا تدركه الأبصار وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترون الله يوم القيامة لم يخف على ذي نظر أنه في وقت دون وقت) (٢) .

وهذا القول من ابن قتيبة مبني على تسليمه بأن الإدراك المنفي في الآية هو الرؤية . وإلى مثل هذا ذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (٣) . والحقيقة أن المنفي في الآية لا تدركه الأبصار هو الإحاطة لا الرؤية والله سبحانه وتعالى لا يحاط به لا في الدنيا ولا في الآخرة فالإحاطة بالشيء قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى : ﴿ فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون . قال كلاً . . ﴾ الشعراء : ٦١ - ٦٢ . فالرؤية حصلت ومع هذا نفى موسى عليه السلام الإدراك وبمثل هذا فسر السلف الآية الكريمة . قال ابن عباس لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار : لا يحيط بصر أحد بالملك .

وقال قتادة : لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو أعظم من أن تدركه الأبصار .

وقال عطية العوفي : ينظرون إلى الله لا تحيط به أبصارهم من عظمته وبصره يحيط بهم (٤) .

(١) إختلاف اللفظ (ص ٢٣٨) . (٢) انظر إختلاف اللفظ (ص ٢٣٨) .

(٣) انظر الرد على الزنادقة والجهمية لأحمد بن حنبل (ص ٥٩) .

(٤) أنظر تفسير الطبري (٧ : ١٩٩) .

ولم يستقص ابن قتيبة رحمه الله جميع أدلة الرؤية الواردة في الكتاب والسنة ولا ضير عليه في ذلك فإن دليلاً واحداً سواء كان من الكتاب أو السنة كافٍ في إثبات الحق للناس إلا من أعمى الله بصيرته . ومن الأحاديث الصحيحة الصريحة المثبتة لرؤية الله تعالى يوم القيامة ما رواه مسلم وغيره عن صهيب رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة . . ﴾ يونس : ٢٦ ، قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ألم يبيض وجوهنا ؟ ويثقل موازيننا ؟ ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار ؟ قال : فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه^(١) .

وما يعتقده ابن قتيبة من رؤية المؤمنين لله في الآخرة هو اعتقاد السلف الصالح ومن سار على نهجهم . يقول أبو الحسن الأشعري^(٢) في كتابه الإبانة - الذي رجع فيه إلى قول السلف - (وندين بأن الله تعالى يرى في الآخرة بالأبصار كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقول أن الكافرين محجوبون عنه إذا رآه المؤمنون في الجنة كما قال الله عز وجل : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . . ﴾ المطففين : ١٥ ، وإن موسى عليه السلام سأل الله عز

(١) مسلم . كتاب الإيمان . باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم (١ : ١١٢) ، المسند لابن حنبل (٤ : ٣٣٣) .

(٢) هو علي بن اسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري . ولد سنة ٢٦٠ هـ وأخذ الحديث عن زكريا بن يحيى الساجي وعن أبي خليفة الجمحي وعبد الرحمن بن خلف البصري وأخذ علم الكلام عن زوج أمه أبي علي الجبائي . كان معتزلياً ثم تاب عن الاعتزال ورجع إلى عقيدة السلف وصنف في ذلك كتاب الإبانة وصرح فيه أنه على عقيدة الإمام أحمد بن حنبل وهدم باطل المعتزلة بما أوتي من قوة حجة .

أنظر أبو الحسن الأشعري وعقيدته لحمد الأنصاري (ص ١) وما بعدها .

وجل الرؤية في الدنيا وإن الله سبحانه وتعالى تجلّى للجبل فجعله دكاً فاعلم بذلك موسى أنه لا يراه في الدنيا^(١) ويقول الإمام ابن القيم : (ثبت بالعقل إمكان رؤيته تعالى وبالشرع وقوعها في الآخرة فاتفق الشرع والعقل على إمكان الرؤية ووقوعها فإن الرؤية أمر وجودي لا يتعلق إلا بموجود وما كان أكمل وجوداً كان أحق أن يرى فالباري سبحانه أحق أن يرى من كل ما سواه لأن وجوده أكمل من كل موجود سواه . يوضحه إن تعذر الرؤية إما لخفاء المرئي وإما لآفة ضعف في الرائي والرب سبحانه أظهر من كل موجود وإنما تعذرت رؤيته في الدنيا لضعف القوة الباصرة عن النظر إليه فإذا كان الرائي في دار البقاء كانت قوة البصر في غاية القوة لأنها دائمة فقويت على رؤيته تعالى^(٢) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل في كتابه القيم الرد على الزنادقة والجهمية : (بيان ما جحدت الجهمية من قول الله وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة وذكر الآيات والأحاديث الصحيحة المثبتة لرؤية المؤمنين لله في الآخرة ورداً على شبه الجهمية ثم قال : وإنا لنرجو أن يكون الجهم وشيعته ممن لا ينظرون إلى ربهم ويحجبون عن الله لأن الله قال للكفار : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ . المطففين : ١٥ .

فإذا كان الكافر يحجب عن الله والمؤمن يحجب عن الله فما فضل المؤمن على الكافر والحمد لله الذي لم يجعلنا مثل جهم وشيعته وجعلنا ممن اتبع ولم يجعلنا ممن ابتدع^(٣) .

وقال ابن القيم : (والناس في إثبات الرؤية وعدمها طرفان ووسط فقسم غلواً في إثباتها حتى أثبتوها في الدنيا والآخرة وهم الصوفية وأحزابهم

(١) الإبانة عن أصول الديانة للأشعري (ص ١٠) .

(٢) مختصر الصواعق (١ : ٢٨٠) .

(٣) عقائد السلف (ص ٨٧) .

وقسم نفوها في الدنيا والآخرة وهم الجهمية والمعتزلة والوسط هم أهل السنة الذين أثبتوها في الآخرة فقط حسبما تواترت به الأدلة^(١) .

(٣) صفة اليدين لله تعالى :

يثبت ابن قتيبة رحمه الله تعالى لله يدين حقيقتين تليق بالله لا تشبه أيدي المخلوقين يدل على هذا قوله في تفسير قوله تعالى : ﴿ بل يدها مبسوطتان .. ﴾ المائدة : ٦٤ ، فإن قيل لنا ما اليدان ههنا قلنا هما اليدان اللتان تعرف الناس كذلك قال ابن عباس في هذه الآية ﴿ اليدان اليدان ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم كلتا يديه يمين^(٢) فهل يجوز لأحد أن يجعل اليدين ههنا نعمة أو نعمتين وقال تعالى : ﴿ لما خلقت بيدي .. ﴾ ص : ٧٥ ، فنحن نقول كما قال الله تعالى وكما قال رسوله ولا نتجاهل ولا يحملنا ما نحن فيه من نفي التشبيه على أن ننكر ما وصف به نفسه ولكننا لا نقول كيف اليدان وإن سئلنا نقتصر على جملة ما قال. ونمسك عما لم يقل^(٣) .

وقد رد ابن قتيبة رحمه الله على المنكرين لصفة اليدين لله تعالى الذين يؤولونها بالنعمة أو بالقوة فقال : (وفعلوا في كتاب الله أكثر مما فعل الأولون في تحريف التأويل عن جهته فقالوا في قول الله : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة .. ﴾ المائدة : ٦٤ ، إن اليد ههنا النعمة وما ننكر أن اليد قد تتصرف على ثلاثة وجوه من التأويل أحدهما النعمة والآخر القوة من الله ﴿ أولي الأيدي والأبصار .. ﴾ ص : ٤٥ ، يريد أولي القوة في دين الله والبصائر ومنه يقول الناس ما لي بهذا الأمر يدان يعنون ما لي به طاقة .

والوجه الثالث اليد بعينها ولكنه لا يجوز أن يكون أراد في هذا الموضع

(١) الكواشف الجلية للمسلمان (ص ٢٣٦) ..

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمامة . أنظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٢ : ٢١١) .

(٣) إختلاف اللفظ (ص ٢٣٥ ، ٢٣٦) .

النعمة لأنه قال : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة . . ﴾ المائدة : ٦٤ ، والنعم لا تغل وقال غلّت أيديهم معارضة بمثل ما قالوا ولا يجوز أن يكون أراد غلّت نعمهم ثم قال بل يدها مبسوطتان ولا يجوز أن يريد نعمتاه مبسوطتان وكان مما احتجوا به للنعمة قوله غلّت أيديهم . لو أراد اليد بعينها لم يكن في الأرض يهودي غير مغلول اليد . فما أعجب هذا الجهل والتعسف في القول بغير علم ألم يسمعو بقول الله تعالى : ﴿ قتل الإنسان ما أكفره . . ﴾ عبس : ١٧ ، وبقوله : ﴿ قاتلهم الله إني يؤفكون . . ﴾ التوبة : ٣٠ ، وقوله : ﴿ لعنوا بما قالوا . . ﴾ المائدة : ٦٤ ، واللعن الطرد فهل قتل الله الناس جميعاً وهل قتل قوماً وطرد آخرين أو لم يسمعو بقول العرب قاتله الله ما أبطشه وأخزاه الله ما أشعره ويقول النبي صلى الله عليه وسلم لرجل تربّت يده أي افتقر ولم يفتقر ولمرأة عقري حلقي ولم يعقرها الله ولا أصاب حلقها بوجع ^(١) . وما يعتقده ابن قتيبة في صفة اليمين لله تعالى هو ما يعتقده السلف الصالح .

فقد عقد البخاري رحمه الله في صحيحه باباً بعنوان باب قول الله تعالى لما خلقت بيدي في كتاب التوحيد وأورد فيه جملة من الأحاديث الصحيحة كلها ثبتت صفة اليمين لله تعالى منها :

حديث أنس الطويل في الشفاعة وفيه قال صلى الله عليه وسلم يجمع المؤمنون يوم القيامة كذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون يا آدم أما ترى الناس خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء أشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا . . الحديث .

ومنها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وقال رأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغيض ما في يده وقال عرشه على

(١) إختلاف اللفظ (ص ٢٣٥) .

الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع .

ومنها ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك . . . الحديث^(١) .

فهذه الأحاديث الصحاح لا تحتل التأويل بحال ولا يمكن حمل اليدين فيها إلا على الحقيقة وقد رد ابن القيم رحمه الله تعالى على من قال أن اليدين في قوله تعالى : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ ص : ٧٥ ، مجاز من عشرين وجهاً تقتطف منها ما يلي :

(١) إن الله جعل ذلك خاصة خص بها آدم دون غيره ولهذا قال له موسى وقت المحاجة أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء .

(٢) إن هذا التركيب المذكور في قوله خلقت بيدي يأبى حمل الكلام على القدرة لأنه نسب الخلق إلى نفسه سبحانه ثم عدي الفعل إلى اليد ثم ثناها ثم أدخل عليها الباء التي تدخل على قولك كتبت بالقلم ومثل هذا نص صريح لا يحتمل المجاز بوجه .

(٣) إن اليد حيث أريد بها النعمة أو القدرة فلا بد أن يقترن باللفظ ما يدل على ذلك ليحصل المراد فأما أن تطلق ويراد بها ذلك فهذا لا يجوز كما إذا أطلق البحر والأسد وادعى بذلك أنه أريد به الرجل الجواد والشجاع فهذا لا يجيزه عاقل ولا يتكلم به إلا من قصده التلبيس والتعمية وحيث أراد تلك المعاني فإنه يأتي من القرائن بما يدل على مراده . فأين معكم في قوله لما خلقت بيدي وبل يده مبسوطتان وقوله صلى الله عليه وسلم يقبض الله سمواته بيده والأرض باليد الأخرى وقوله فأقوم

(١) أنظر هذه الأحاديث مع شرحها في فتح الباري (١٣ : ٣٣١ - ٣٣٤) .

عن يمين ربي وقوله فيوقف بين يدي الرحمن ما يدل على المجاز^(١) .
والله تعالى أعلم . .

(٤) صفة الأصابع لله تعالى :

ابن قتيبة رحمه الله تعالى يؤمن بأن الله له أصابع كما وردت بذلك النصوص الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينكر على من يتأول الأصابع الواردة في الأحاديث بالنعم وحسن الأثر يدل على هذا قوله في الإنكار على الجهمية (قالوا رويتم أن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الله عز وجل فإن كنتم أردتم بالأصابع ههنا النعم - وكان الحديث صحيحاً - فهو مذهب . وإن كنتم أردتم الأصابع بعينها فإن ذلك يستحيل لأن الله تعالى لا يوصف بالأعضاء ولا يشبه بالمخلوقين . وذهبوا في تأويل الأصابع إلى أنها النعم لقول العرب « ما أحسن اصبع فلان على ما له » يريدون أثره ، وقال الراعي في وصف أبله :

ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها إذا ما امحل الناس اصبعاً
أي ترى له عليها أثراً حسناً .

قال أبو محمد : (ونحن نقول إن هذا الحديث صحيح وإن الذي ذهبوا إليه في تأويل الإصبع لا يشبه الحديث لأنه عليه السلام قال في دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقالت له إحدى أزواجه أو تخاف يا رسول الله على نفسك فقال : إن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الله عز وجل)^(٢) . فإن كان القلب عندهم بين نعمتين من نعم الله تعالى فهو

(١) أنظر مختصر الصواعق (٢ : ١٥٣ - ١٧٢) .

(٢) هذا الحديث رواه عثمان الدارمي بسنده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص في رده على بشر المريسي (ص ٤١٩) ورواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد عن النواس بن سمعان (ص ٨٠) وفي ألفاظه بعض الاختلاف عما هنا ورواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب القدر ولفظه =

محفوظ بَتَيْنِكَ النعمتين فلأي شيء دعا بالثبوت ولم احتج على المرأة التي قالت له : (أتخاف على نفسك) بما يؤكد قولها وكان ينبغي ألا يخاف إذا كان القلب محروساً بنعمتين . فإن قال لنا ما الإصبع عندك ههنا ؟ قلنا هو مثل قوله في الحديث الآخر يحمل الأرض على إصبع وكذا على إصبع^(١) . ولا يجوز أن تكون الإصبع ههنا نعمة ولا نقول اصبع كأصابعنا ولا يد كأيدينا ولا قبضة كقبضاتنا لأن كل شيء منه عز وجل لا يشبه شيئاً منّا^(٢) .

واعتقاد ابن قتيبة بأن الله له أصابع لا تشبه أصابع المخلوقين تليق به سبحانه وتعالى هو ما دلت عليه النصوص الصحيحة فقد روى البخاري في صحيحه بسنده إلى عبد الله بن مسعود قال : أن يهودياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد إن الله يمسك السموات على إصبع والأرضين على إصبع والجبال على إصبع والشجر على إصبع والخلائق على إصبع ثم يقول أنا الملك . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قرأ : ﴿ وما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ . . . الأنعام : ٩١ ﴾ ، قال يحيى بن سعيد وزاد فيه فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبيد الله فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجباً وتصديقاً له^(٣) .

واعتقاد ابن قتيبة في صفة الأصابع هو اعتقاد جميع أئمة السلف رضوان الله عليهم فقد عقد إمام الأئمة ابن خزيمة في كتابه التوحيد باباً بعنوان (باب إثبات الأصابع لله عز وجل) وباباً بعنوان (باب ذكر إمساك الله تبارك وتعالى إسمه وجل ثناؤه السموات والأرض وما عليها على أصابعه) قال فيه : (جل

(أن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك) .
أنظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٦ : ٢٠٤) .

(١) رواه البخاري - كتاب التوحيد (٤ : ٣٠٠) .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٠٩) .

(٣) صحيح البخاري كتاب التوحيد (٤ : ٢٨٠) .

ربنا عن أن تكون أصابعه كأصابع خلقه وعن أن يشبه شيء من صفات ذاته صفات خلقه وقد أجلَّ الله قدر نبيه صَلَّى الله عليه وسلم عن أن يوصف الخالق الباري بحضرته بما ليس من صفاته فيسمعه فيضحك عنده ويجعل بدل وجوب التكبير والغضب على المتكلم به ضحكاً تبدو نواجزه تصديقاً وتعجباً لقائله . لا يصف النبي صَلَّى الله عليه وسلم بهذه الصفة مؤمن مصدق برسالته ثم ساق الحديث الذي رواه عن البخاري آنفاً^(١) .

وعقد الإمام الدارمي في رده على المريسي العنيد^(٢) فصلاً بعنوان (أصابع الرحمن) رد عليه فيه تأويله الإصبع بمعنى القدرة فقال : (أيها المعجب بجهالته في أي لغات العرب وجدت أن إصبعيه قدرتيه ؟ فأنبئنا بها فإننا قد وجدناها خارجة في جميع اللغات إنما هي قدرة واحدة قد كفت الأشياء كلها وملأتها واستنطقتها فكيف صارت القلوب من بين الأشياء بين قدرتين . . . وكيف أقررت بالحديث في الإصبعين من أصابع الله وفسرتهما قدرتين وكذبت بحديث ابن مسعود رضي الله عنه في خمس أصابع وهو أجود إسناداً من حديث الإصبعين ؟ أفلا أقررت بحديث ابن مسعود ثم تأولته : القدرة خمس قدرات كما تأولت الإصبعين بقدرتين . . .)^(٣) . والله تعالى أعلم .

(٥) إثبات صفة الضحك لله تعالى :

ابن قتيبة رحمه الله تعالى يثبت كل ما أثبتته الله لنفسه من غير تحريف

(١) كتاب التوحيد لابن خزيمة (ص ٧٦ - ٧٩) .

(٢) هو بشر بن غياث بن أبي عبد الرحمن المريسي قيل أن أباه يهودي يشتغل بالصبغ في سوق المراضع وله حكايات منكرة وقال أكثر العلماء أنه زنديق وأنه ينكر علو الله وسائر صفاته وينكر عذاب القبر إلى غير ذلك من الأقوال المبتدعة وكان قد تفقه على أبي يوسف ثم اشتغل بالكلام مات سنة ٢١٨ هـ . انظر تاريخ بغداد (٧ : ٦٦) .

(٣) عقائد السلف (ص ٤١٨) .

ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل - كما مرَّ معنا في منهجه في توضيح العقيدة - وقد وردت النصوص الصحيحة المثبتة بأن الله تعالى يضحك فاشتغلت الجهمية بتأويلها فراراً من إثبات الضحك لله فأنكر عليهم ابن قتيبة هذا التأويل ويبيِّن أن المعنى الذي ذهبوا إليه يلزمهم فيه ما يلزمهم في المعنى الذي فروا منه على حد زعمهم إذ قال : (وقالوا في الضحك هو مثل قول العرب ضحكت الأرض بالنبات إذا طلع فيها ضروب الزهر . وضحكت الطلعة إذا انفلق كافروها عن بياضها . وضحكت المزن إذا لمع فيه البرق . وليس من هذه شيء إلاَّ وللضحك فيه معنى حدث فإن كان الضحك الذي فروا منه فيه تشبيه بالإنسان . فإن في هذا تشبيهاً بهذه المعاني)^(١) .

وهذا الإلتقاد الموجه لمن تأول صفة الضحك على خلاف ظاهرها ذكره ابن قتيبة في كتابه اختلاف اللفظ وهو من أواخر كتبه وقد تكلم عن صفة الضحك في كتابه تأويل الحديث فقال - في معرض رده على المعتزلة الذين يطعنون على أهل الحديث بأنهم مشبهة وأنهم يروون المتناقضات - (وقالوا رويتم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عجب ربكم من إلكم وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم » وضحك من كذا وإنما يعجب ويضحك من لا يعلم ثم يعلم فيعجب ويضحك . قال أبو محمد ونحن نقول أن العجب والضحك ليس على ما ظنُّوا وإنما هو على حلَّ عنده كذا بمحل ما يعجب منه وبمحل ما يضحك منه)^(٢) . قلت لم أقف على أن أحداً من السلف فسّر الضحك والعجب بهذا التفسير غير ابن قتيبة وليس هناك كبير فارق فإن في حلول الشيء معنى كما أن في الضحك معنى وما أدري ما الحامل لابن قتيبة على هذا التفسير وماذا يضيره لو قال يضحك ويعجب من غير كيفية كما هو ديدنه في سائر الصفات وكما قاله في مواضع أخرى حيث قال : (. ونؤمن بالرؤية والتجلي وأنه يعجب وينزل من غير أن نقول في

(١) اختلاف اللفظ (ص ٢٤٣) .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ٢١١) .

ذلك بكيفية أو حد . . .) (١) .

ووصف الله بالضحك اللائق به سبحانه من غير تشبيه ولا تكييف هو الذي دلت عليه السنة الصحيحة وهو ما يعتقده جماهير أهل السنة فقد روى البخاري في صحيحه بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث إلى نسائه فقلن ما معنا إلا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضم أو يضيف هذا فقال رجل من الأنصار أنا فانطلق به إلى امرأته فقال أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ما عندنا إلا قوت صبياني فقال : هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعل يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما فأنزل الله : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . . . ﴾ الحشر : ٩ (٢) .

وروى البخاري أيضاً بسنده عن أبي هريرة في - حديث آخر أهل الجنة دخولاً الجنة - قال : ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولاً الجنة فيقول أي رب أصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها فيدعو الله بما شاء أن يدعوه ثم يقول الله هل عسيت أن أعطيت ذلك أن تسألني غيره ؟ فيقول لا وعزتك لا أسألك غيره ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء فيصرف الله وجهه عن النار . فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول أي رب قدمني إلى باب الجنة فيقول الله له ألسنت قد أعطيت عهودك ومواثيقك

(١) إختلاف اللفظ (ص ٢٤٣) .

(٢) البخاري كتاب التفسير باب ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (٢ : ٣١٢) .

أن لا تسألني غير الذي أعطيت أبداً ويلك يا ابن آدم ما أغدرك ؟ فيقول أي رب ويدعو الله حتى يقول هل عسيت أن أعطيت ذلك أن تسأل غيره ؟ فيقول : لا وعزتك لا أسألك غيره ويعطي ما شاء من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا قام إلى باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الحبرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول أي رب أدخلني الجنة فيقول الله أألسنت قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت فيقول ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول أي رب لا أكونن أشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه فإذا ضحك منه قال له ادخل الجنة . . . (الحديث) (١) .

وقد حكى حرب الكرمانى (٢) إجماع أهل السنة والحديث على الإقرار بهذه الصفة وما شاكلها فقال : (. . . وكان من قولهم . . . أن الله جواد لا يبخل حليم لا يعجل حفيظ لا ينسى ولا يسهو قريب لا يغفل ويتكلم وينظر ويبسط ويضحك ويفرح ويحب ويكره ويغض ويرضى ويغضب ويسخط ويرحم ويعفو ويغفر ويعطي ويمنع . . .) (٣) .

وقد عقد الإمام ابن خزيمة في كتابه التوحيد باباً بعنوان : (باب ذكر إثبات ضحك ربنا عز وجل) صدره بقوله : (بلا صفة تصف ضحكه جل ثناؤه ولا يشبه ضحكه بضحك المخلوقين بل نؤمن بأنه يضحك كما أعلم النبي صلى الله عليه وسلم ونسكت عن صفة ضحكه جلّ وعلا إذ الله عز وجل استأثر بصفة ضحكه لم يطلعنا على ذلك فنحن قائلون بما قال النبي

(١) البخاري كتاب التوحيد (٤ : ٢٨٤) .

(٢) هو حرب بن إسماعيل بن خلف الحنظلي الكرمانى أبو محمد . حدث عن الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه وأحمد بن سليمان الباهلي وعبيد الله بن معاذ العنبري وأخذ عنه أبو حاتم بدمشق .

أنظر الأنساب للسمعاني (١١ : ٨٧) .

(٣) حادي الأرواح (ص ٢٩٧) .

صلى الله عليه وسلم مصدقون بذلك بقلوبنا منصتون عما لم يبين لنا مما استأثر الله تعالى بعلمه (١) والله تعالى أعلم .

(٦) صفة الكلام لله ومسألة اللفظ :

ابن قتيبة رحمه الله يعتقد أن الله تعالى متكلم بكلام مسموع ، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ يدل على هذا قوله : (القرآن بهذا النظم وهذا التأليف كلام الله تعالى منه بدأ وكل من أداه فهو مؤدٍ لكلام الله تعالى لا يزيل ذلك عنه أن يكون هو القاريء له ولو أن رجلاً ألف خطبة أو عمل قصيدة ثم نقل ذلك عنه لم يكن الكلام ولا الشعر عملاً للناقل وإنما يكون الشعر للمؤلف وليس للناقل عنه إلا الأداء) (٢) . وقوله لو أمعن هؤلاء (يعني من يقول بخلق القرآن) النظر وأوتوا طرفاً من التوفيق لعلمو أنه لا يجوز أن يكون القرآن مخلوقاً لأنه كلام الله تعالى وكلام الله من الله وليس من الله عز وجل شيء مخلوق) . وقوله أيضاً : (وذهب قومٌ في قول الله وكلامه إلى أنه ليس قولاً وكلاماً على الحقيقة وإنما هو إيجاد للمعاني وصرفوه في كثير من القرآن إلى المجاز . . . وقال بعضهم في قوله للملائكة : ﴿ اسجدوا لآدم . . ﴾ البقرة : ٣٤ ، هو إلهامٌ منه للملائكة وقوله : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء . . ﴾ الشورى : ٥١ ، وذهبوا في الوحي ههنا إلى الإلهام والصواب أن الوحي الأول ما أراه الله تعالى الأنبياء في منامهم والكلام من وراء الحجاب تكليمه موسى والكلام بالرسالة إرساله الروح الأمين بالروح من أمره إلى من يشاء من عباده ولا يقال لمن ألهمه الله كلمه الله ولا يجوز أن يكون قوله للملائكة وإبليس وطول مراجعته إياه في السجود والخروج من الجنة والنظرة

(١) كتاب التوحيد لابن خزيمة (ص ٢٣١) .

(٢) أنظر تأويل مختلف الحديث (ص ٢٥٩ ، ٢٦٠) بتصرف .

إلى يوم البعث إلهاماً هذا ما لا يعقل (١).

وقد رد ابن قتيبة رحمة الله عليه على من زعموا أن كلام الله مخلوق وفند شبههم فقال : (وقالوا في كلام الله أنه مخلوق لأن الله تعالى قال : ﴿ إنا جعلناه قرآناً عربياً ﴾ الزخرف : ٣ ، والجعل بمعنى الخلق ولأنه قال : ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ الأنبياء : ٢ ، وكل محدث مخلوق وأن معنى كلم الله أوجد كلاماً و ﴿ كلم الله موسى تكليماً ﴾ النساء : ١٦٤ ، أوجد كلاماً سمعه فخرجوا بهذا التأويل من اللغة ومن المعقول لأن معنى تكلم الله أتى بالكلام من عنده وترحم الله أتى بالرحمة من عنده كما يقال تخشع فلان أتى بالخشوع من نفسه ولو كان المراد أوجد كلاماً لم يجز أن يقال تكلم وكان الواجب أن يقال أكلم كما يقال أقبح الرجل أتى بالقباحة وأطاب أتى بالطيب وأن يقال أكلم الله موسى إكلاماً كما يقال أقبر الله الميت أي جعل له قبراً أو أرعى الله الماشية جعلها ترعى في أشباه لهذا كثيرة لا تخفى على أهل اللغة وأما استشهادهم بالجعل على خلق القرآن في قوله تعالى : ﴿ إنا جعلناه قرآناً عربياً ﴾ فإن الجعل يكون بمعنيين :

أحدهما خلق والآخر غير خلق . فإما الموضع الذي يكون فيه خلقاً فإذا رأيته متعدياً إلى مفعول واحد لا يجاوزه كقول الله : ﴿ خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ﴾ الأنعام : ١ ، فهذا بمعنى خلق وكذلك : ﴿ وجعل منها زوجها ﴾ النساء : ١ ، أي خلق منها . وأما الموضع الذي يكون غير الخلق فإذا رأيته متعدياً إلى مفعولين كقوله : ﴿ وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ﴾ النحل : ٩١ ، أي صيرتم وكقوله : ﴿ فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها ﴾ البقرة : ٦٦ ، وكقول القائل : (جعل فلان أمر امرأته في يدها) فإن هم وجدوا في القرآن كلمة

(١) بتصرف من تأويل مشكل القرآن (ص ١٠٦ - ١١٢) .

جعل متعددة إلى القرآن وحده ليقضوا عليه بالخلق فنحن نتابعهم وكذلك المحدث ليس هو في موضع بمعنى مخلوق فإن أنكروا ذلك فليقولوا في قول الله : ﴿ لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ﴾ . . . الطلاق : ١ ، أنه يخلق وكذلك قوله : ﴿ لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً ﴾ طه : ١١٣ ، أي ذكر حدث عندهم لم يكن قبل ذلك (١) . وما يعتقد ابن قتيبة رحمه الله في كلام الله وفي القرآن هو اعتقاد السلف الذي أجمعوا عليه .

يقول ابن تيمية رحمه الله : (والسلف متفقون أن الله تكلم بالقرآن الذي أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حروفه ومعانيه وأنه ينادي عباده بصوته ومتفقون على أن الأصوات المسموعة من القراء هي أصوات العباد وعلى أنه ليس شيء من أصوات العباد ولا مداد المصاحف قديماً) (٢) وقد نقل الشيخ محمد خليل هراس في شرحه للعقيدة الواسطية مذهب أهل السنة والجماعة في صفة الكلام لله فقال : (وخلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء وأن الكلام صفة له قائمة بذاته يتكلم بها بمشيئته وقدرته فهو لم يزل ولا يزال متكلماً إذا شاء وما تكلم الله به فهو قائم به ليس مخلوقاً منفصلاً عنه كما تقول المعتزلة ولا لازماً لذاته لزوم الحياة لها كما تقول الأشاعرة بل هو تابع لمشيئته وقدرته والله سبحانه نادى موسى بصوت ونادى آدم وحواء بصوت وينادي عباده يوم القيامة بصوت ويتكلم بالرحي بصوت لكن الحروف والأصوات التي تكلم الله بها صفة له غير مخلوقة ولا تشبه أصوات المخلوقين وحروفهم كما أن علم الله القائم بذاته ليس مثل علم عباده فإن الله لا يماثل المخلوقين في شيء من صفاته) (٣) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (ومذهب سلف الأمة وأئمتها من

(١) اختلاف اللفظ (ص ٢٣٣ ، ٢٣٤) .

(٢) شذرات البلاتين (ص ٣٩٥) .

(٣) شرح العقيدة الواسطية لمحمد هراس (ص ٨٩) .

الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم ما دلّ عليه الكتاب والسنة وهو الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود فهو المتكلم بالقرآن والتوراة والإنجيل وغير ذلك من كلامه ليس مخلوقاً منفصلاً عنه وهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته لم يقل أحد منهم أن القرآن والتوراة أو الإنجيل لازمة لذاته أزلاً وأبداً وهو لا يقدر أن يتكلم بمشيئته وقدرته . وقالوا أن نفس ندائه لموسى أو نفس الكلمة المعينة قديمة أزلية بل قالوا لم يزل الله متكلماً إذا شاء وكلمات الله لا نهاية لها والله سبحانه تكلم بالقرآن العربي وبالتوراة العبرية (١) .

وقد أورد علماء السنة كالبخاري ومسلم وأصحاب السنن جملة من الأحاديث المصرحة بأن الله ينادي جبريل وأنه نادى أيوب عليه السلام وأنه يسأل الملائكة الذين يصعدون إليه بأعمال عباده كيف تركتم عبادي ؟ إلى غير ذلك من الأحاديث وكلها تثبت أن الله يتكلم مع جملة من مخلوقاته بكلام مسموع يسمعون ويفقهونه وقد بوب البخاري على ذلك عدة أبواب فقال : (باب كلام الرب تعالى مع جبريل ونداء الله الملائكة) و (باب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم) و (باب ما جاء في قوله تعالى وكلم الله موسى تكليماً) و (باب كلام الرب مع أهل الجنة) (٢) . وكل ما تقدم يدل على مذهب السلف الصالح في كلام الله وفي القرآن وأن ابن قتيبة سائر على نهجهم في الاعتقاد ولم يتعرض لمذاهب الناس في كلام الله والردود على شبههم لأن ذلك وحده موضوع رسالة مستقلة وإنما غرضي إثبات موافقة إعتقاد ابن قتيبة لاعتقاد السلف من كلامه والله أعلم .

(١) الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية للسلمان (ص ٣٠٥) .

(٢) انظر هذه الأبواب وشرح ابن حجر لما ورد فيها من أحاديث في فتح الباري (١٣ : ٣٨٦ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨ ، ٤٠٦) .

مسألة اللفظ :

على أثر القول بخلق القرآن والمحنة التي حصلت لعلماء السلف بسبب ذلك حصل عند بعضهم حساسية ضد أي قول قد يفهم منه ولو من بعيد أن القرآن مخلوق فحصل نزاع بين علماء السلف هل يقال لفظي بالقرآن مخلوق أم يقال غير مخلوق ولما قال البخاري رحمه الله تعالى أن أصوات العباد من أفعالهم وأفعالهم مخلوقة ثار ضده بعض العلماء واتهموه بأنه يقول لفظي بالقرآن مخلوق وهو لم يقل ذلك رحمه الله^(١) .

ويبدو أن النزاع في هذه المسألة تطور في زمن ابن قتيبة حتى ألف في ذلك كتابه اختلاف اللفظ وحاول فيه الاعتذار لكل فريق وبين أن هذه المسألة لا توجب شقاقاً ونزاعاً ولا تقطع الإلفة فإن المختلفين في اللفظ مجمعون على أصل واحد وهو أن القرآن كلام الله غير مخلوق في كل موضع وبكل جهة وعلى كل حال وإنما اختلفوا في قراءة القاريء ولفظه بالقرآن هل يقال قراءتي بالقرآن ولفظي به مخلوقة أم غير مخلوقة ولكل وجهة نظر فإن القراءة تشمل على فعل العبد لذا يقال قراءة فلان أحسن من قراءة فلان أي أداء فلان أحسن من أداء فلان وأفعال العباد باتفاق علماء السلف مخلوقة لله تعالى . فالذي قال لفظي وقراءتي بالقرآن مخلوقة أراد فعل العبد والذي قال قراءتي بالقرآن غير مخلوقة ، أراد أن القراءة تطلق على القرآن والعرب تسمى القراءة قرآناً قال أبو عبيد يقال قرأت قراءة وقرآناً بمعنى واحد فجعلها مصدرين لقرأت والقرآن غير مخلوق وابن قتيبة رحمه الله تعالى يعذر كلاً من الفريقين ويقول إنما أراد كل منهما المعنى الصحيح فإن القراءة قرآن متصل بعمل فمن قال قراءتي مخلوقة أراد العمل ومن قال غير مخلوقة أراد القرآن وضرب لذلك مثلاً وهو أنه لو اختلف اثنان في نجم فقال أحدهما هو نار وقال الآخر هو نور

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة (٢ : ٣٠٦ ، ٣٠٧) وقارن بما في كتاب الإمام البخاري خلق أفعال العباد (ص ١٣٨) ضمن مجموعة عقائد السلف .

كانا صادقين لأن النجم اسم ذو معنيين نار ونور^(١) . ويرى ابن قتيبة أنَّ الجواب الصحيح لمن سأل عن القراءة بالقرآن واللفظ به أن يقال له سألتُ عن كلمة واحدة تحتها معنيان أحدهما مخلوق وهو العمل والآخر غير مخلوق وهو القرآن وهذا الذي قاله ابن قتيبة رحمه الله تعالى هو قول أئمة السلف وأهل الحديث . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (والمنصوص الصريح عن الإمام أحمد وأعيان أصحابه وسائر أئمة الحديث انهم لا يقولون الفاظنا بالقرآن مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا يقولون التلاوة هي المتلو مطلقاً ولا غير المتلو مطلقاً كما لا يقولون الاسم هو المسمى ولا غير المسمى وذلك ان التلاوة والقراءة كاللفظ قد يراد به مصدر تلى يتلو تلاوة وقرأ يقرأ قراءة ولفظ يلفظ لفظاً ومسمى المصدر هو فعل العبد وحركاته وهذا المراد باسم التلاوة والقراءة واللفظ مخلوق وليس ذلك هو القول المسموع الذي هو المتلو . وقد يراد باللفظ الملفوظ وبالتلاوة المتلو والقراءة المقروء وهو القول المسموع وذلك هو المتلو ومعلوم أن القرآن المتلو الذي يتلوه العبد ويلفظ به غير مخلوق وقد يراد بذلك مجموع الأمرين فلا يجوز إطلاق الخلق على الجميع ولا نفي الخلق عن الجميع^(٢) . وهذا الذي قرره ابن قتيبة وابن تيمية هو ما أراده الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله حيث قال من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع^(٣) . لأن من قال لفظي بالقرآن مخلوق يوهم أن القرآن مخلوق ومن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق يوهم أن أفعال العباد وأصواتهم غير مخلوقة فالمسألة المجملة لا يجاب عنها بالنفي المطلق ولا بالإثبات المطلق بل لا بد من الاستفسار فليس من العبد شيء غير مخلوق وليس من الله شيء مخلوق وقد وضح الإمام أحمد هذه المسألة غاية التوضيح فقال :

(١) انظر اختلاف اللفظ لابن قتيبة (ص ٢٤٥ - ٢٥٠) .

(٢) الفتاوى الكبرى (١٢ : ٣٧٣) .

(٣) مختصر الصواعق (٢ : ٣٠٧) .

يتوجه العبد لله تعالى بالقرآن بخمسة أوجه هو فيها غير مخلوق حفظ بقلب وتلاوة بلسان وسمع بإذن ونظرة ببصر وخط بيد فالقلب مخلوق والمحمفوظ غير مخلوق والتلاوة مخلوقة والمتلو غير مخلوق والسمع مخلوق والمسموع غير مخلوق والنظر مخلوق والمنظور إليه غير مخلوق والكتابة مخلوقة والمكتوب غير مخلوق (١). وقد وافق قول ابن قتيبة رحمه الله قول إمام أهل السنة غاية الاتفاق بل أن ألفاظه في هذه المسألة تكاد تكون ألفاظ أحمد بن حنبل حيث يقول : (وعدل القول فيما اختلفوا فيه من القراءة واللفظ بالقرآن أن القراءة لفظ واحد يشتمل على معنيين أحدهما عمل والآخر قرآن إلا أن العمل لا يتميز من القرآن والقرآن لا يقوم بنفسه وحده وإنما يقوم بواحدة من أربع كتابة أو قراءة أو حفظ أو استماع . فهو بالعمل في الكتابة قائم والعمل خط وهو مخلوق والمكتوب قرآن وهو غير مخلوق وهو بالعمل في القراءة قائم والعمل تحريك اللسان واللهوات بالقرآن وهو مخلوق والمقروء قرآن وهو غير مخلوق وهو بحفظ القلب قائم في القلب والحفظ عمل وهو مخلوق والمحمفوظ قرآن وهو غير مخلوق وهو بالإستماع قائم في السمع والإستماع عمل وهو مخلوق والمسموع قرآن وهو غير مخلوق (٢). والله تعالى أعلم .

(٧) صفة النزول لله جل جلاله :

ابن قتيبة رحمه الله يثبت نزول الله جلّ جلاله على ما يليق به يدل على ذلك قوله : (وعدل القول في هذه الأخبار - يعني أخبار الصفات - أن نؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها فنؤمن بالرؤية والتجلي وانه يعجب وينزل إلى السماء وأنه على العرش استوى وبالنفس واليدين من غير أن نقول في ذلك بكيفية أو حد أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت فنرجو أن نكون في ذلك القول والعقد على سبيل النجاة غداً إن شاء الله تعالى (٣) .

(١) مختصر الصواعق (٢ : ٣١٤) .

(٢) اختلاف اللفظ (ص ٢٤٣) .

(٣) اختلاف اللفظ (ص ٢٤٨) .

وهو رحمه الله في إثبات النزول لم يزد على ما ورد به النص فلم يقل ينزل بحركة وانتقال أو بغير حركة وانتقال أو يخلو منه العرش عند النزول أولاً يخلو منه العرش عند النزول بل أثبت ما ورد به النص وسكت عما سكت الله عنه وسكت رسوله صلى الله عليه وسلم عنه إذ يقول : (فإن قيل لنا كيف النزول منه جلّ وعز قلنا لا نحتم على النزول منه بشيء ولكننا نبين كيف النزول منا وما تحتمله اللغة من هذا اللفظ والله أعلم بما أراد والنزول منا يكون بمعنيين .

أحدهما الانتقال من مكان إلى مكان كنزولك من الجبل إلى الحضيض ومن السطح إلى الدار .

والمعنى الآخر : إقبالك على الشيء بالإرادة والنية ^(١) .

وقد انتقد ابن تيمية رحمه الله هذا التفسير الثاني الذي أورده ابن قتيبة فقال : (وتأويل المجيء والإتيان والنزول ونحو ذلك - بمعنى القصد والإرادة ونحو ذلك هو قول طائفة وتأولوا ذلك في قوله تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ وجعل ابن الزغواني وغيره ذلك هو إحدى الروایتين عن أحمد .

والصواب أن جميع هذه التأويلات مبتدعة لم يقل أحد من الصحابة شيئاً منها ولا أحد من التابعين لهم بإحسان وهي خلاف المعروف المتواتر عن أئمة السنة والحديث أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة ^(٢) .

وابن قتيبة رحمة الله عليه لم يفسر النزول الوارد به النص بهذا التفسير لعدم وجود القرينة الصارفة له إلى هذا المعنى ولم يفسره بالانتقال والحركة لعدم ورود النص بذلك بل لم يحتم على الله بشيء وبين معنى النزول في اللغة العربية . وهو في هذا موافق لطائفة من الحنابلة بل صرح أبو يعلى بأن

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٧٤) .

(٢) مجموع الفتاوى، الكبرى (٥ : ٤٠٩) .

هذا هو المذهب فقال : (وحكى شيخنا عن طائفة أخرى من أصحابنا أنهم قالوا ثبت نزولاً ولا نعقل معناه هل هو بزوال أو بغير زوال كما جاء الخبر ومثل هذا ليس بممتنع في صفاته كما ثبت ذاتاً لا تعقل قال وهذه الطريقة هي المذهب وقد نص عليها أحمد في مواضع ^(١) . وقد أثنى ابن القيم رحمه الله على هذه الطريقة فقال : (وأما الذين أمسكوا عن الأمرين وقالوا لا نقول يتحرك وينتقل ولا ننفي ذلك عنه فهم أسعد بالصواب والإتباع فإنهم نطقوا بما نطق به النص . وسكتوا عما سكت عنه) ^(٢) . ومجموع الأقوال في هذا ثلاثة كما ذكرها ابن تيمية فقال : (واختلف أصحاب أحمد وغيرهم من المنتسبين إلى السنة والحديث في النزول والإتيان والمنجيء وغير ذلك . هل يقال بحركة وانتقال ؟ أم يقال بغير حركة وانتقال ؟ أم يمسك عن الإثبات والنفي ؟ على ثلاثة أقوال ذكرها القاضي أبو يعلى في كتاب (اختلاف الروايتين والوجهين) .

(فالأول) : قول أبي عبد الله بن حامد وغيره .

(والثاني) : قول أبي الحسن التميمي وأهل بيته .

(والثالث) : قول أبي عبد الله بن بطة وغيره ^(٣) .

وكذلك مسألة خلو العرش فأهل الحديث فيها على ثلاثة أقوال :

(١) منهم من ينكر أن يقال يخلو أو لا يخلو كما يقول ذلك الحافظ عبد الغني وغيره . وهو قول كثير من أهل الحديث .

(٢) ومنهم من يقول بل يخلو منه العرش وقد صنف عبد الرحمن بن منده مصنفاً في الإنكار على من قال لا يخلو من العرش أو لا يخلو منه العرش .

(١) مختصر الصواعق المرسله (٢ : ٢٥٤) .

(٢) مختصر الصواعق المرسله (٢ : ٢٥٧) .

(٣) مجموع الفتاوى الكبرى (٥ : ٤٠٢) .

(٣) ومنهم من يقول لا يخلو منه العرش مع نزوله إلى السماء الدنيا ودنوه وقد رجح ابن تيمية هذا القول وقال هو المأثور عن سلف الأمة والله أعلم^(١).

ورإثبات النزول على ما يليق بالله عز وجل من غير تشبيه ولا تكييف ومن غير تعطيل ولا تحريف هو مذهب عموم السلف الصالح رضي الله عنهم .

قال الإمام ابن خزيمة عند ذكره للأحاديث المثبتة لنزول الله تعالى :
(باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي صلى الله عليه وسلم في نزول الرب جلّ وعلا إلى سماء الدنيا كل ليلة . نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن يصف الكيفية لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا وأعلمنا أنه ينزل والله جلّ وعلا لم يترك ولا نبه عليه السلام بيان ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية إذ النبي صلى الله عليه وسلم لم يصف لنا كيفية النزول)^(٢) ثم أورد حديث أبي هريرة المشهور من طرق متعددة : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له)^(٣) وأورد معه جملة أحاديث تركنا ذكرها للإختصار^(٤) .

ونختم هذه الأقاويل المباركة بما ذكره شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني^(٥) في كتابه « عقيدة السلف وأصحاب الحديث » إذ قال : (فلما

(١) انظر مجموع الفتاوى الكبرى (٥ : ٤١٤ - ٤١٥) .

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة (ص ١٢٥) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات (٤ : ١٠١) .

(٤) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة (ص ١٢٦ - ١٣٦) .

(٥) هو أبو عثمان الصابوني شيخ الإسلام إسماعيل بن عبد الرحمن النيسابوري الشافعي الواعظ =

صح خبر النزول عن الرسول صلى الله عليه وسلم أقرب به أهل السنة وقبلوا الخبر وأثبتوا النزول على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعتقدوا تشبيهاً بنزول خلقه وعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله سبحانه لا تشبه صفات الخلق كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله عما يقول المشبهة والمعتلة علواً كبيراً^(١) .

(٨) حديث خلق الله آدم على صورته :

قال ابن قتيبة رحمه الله في حديث : (خلق الله آدم على صورته)^(٢) : (والذي عندي والله تعالى أعلم - أن الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن ونحن نؤمن بالجميع ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد)^(٣) .

وقد انتقد ابن قتيبة من أرجع الضمير في الحديث إلى غير الله تعالى فقال : (وقد اضطرب الناس في تأويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انه خلق آدم عليه السلام على صورته فقال قوم من اصحاب الكلام اراد . خلق آدم على صورة آدم لم يزد على ذلك . ولو كان المراد هذا ما كان في الكلام فائدة . ومن يشك في أن الله تعالى خلق الإنسان على صورته والسباع على صورها والأنعام على صورها ؟ .

= المفسر المصنف أحد الأعلام . روى عن زاهر السرخسي وطبقته قال ابن ناصر الدين كان إماماً حافظاً عمدة مقدماً في الوعظ والأدب وغيرهما من العلوم وحفظه للأحاديث وتفسير القرآن معلوم ومن مصنفاته كتاب الفصول في الأصول وقال الذهبي كان شيخ خراسان في زمانه وقال البيهقي شيخ الإسلام صدقاً وإمام المسلمين حقاً أبو عثمان الصابوني . توفي سنة ٤٤٩ هـ وله ٧٧ سنة . انظر شذرات الذهب (٣ : ٢٨٢) .

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (١ : ١١٧) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الاستئذان (٤ : ٨٥) .

(٣) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٢١) .

وقال قوم : إن الله تعالى خلق آدم على صورة عنده .
وهذا لا يجوز لأن الله عز وجل لا يخلق شيئاً من خلقه على مثال .

وقال قوم في الحديث : لا تقبحوا الوجه فإن الله تعالى خلق آدم على صورته . يريد أن الله جلّ وعزّ خلق آدم على صورة الوجه وهذا أيضاً بمنزلة التأويل الأول . لا فائدة فيه والناس يعلمون أن الله تبارك وتعالى خلق آدم على خلق ولده ووجهه على وجوههم .

وزاد قوم في الحديث أنه عليه السلام مرّ برجل يضرب وجه رجل آخر فقال : لا تضربه فإن الله تعالى خلق آدم عليه السلام على صورته أي صورة المضروب وفي هذا القول من الخلل ما في الأول^(١) .

وقول ابن قتيبة في هذا الحديث موافق لقول كثير من علماء السلف الصالح رضي الله عنهم ومنهم الإمام أحمد بن حنبل فقد روي عنه أحمد بن جعفر بن يعقوب بن عبد الله أبو العباس الفارسي الأصبهاني أنه قال : (هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروقتها المعروفين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا وأدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق فكان قولهم أن الإيمان قول وعمل ونية وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقبلها كيف يشاء ويوعيتها ما أراد وخلق آدم بيده على صورته . . .)^(٢) .

وروى أبو جعفر محمد بن عوف بن سفيان الطائي الحمصي عقيدة أحمد بن حنبل رحمه الله وجاء فيها : (. . . وان آدم صلى الله عليه وسلم

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٢١٩) .

(٢) طبقات الحنابلة (١ : ٢٥ - ٢٩) .

خلق على صورة الرحمن كما جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

وقد عقد الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الأجري (٢) باباً في كتابه الشريعة بعنوان (الإيمان بأن الله عز وجل خلق آدم على صورته بلا كيف) وأورد الأحاديث المصروفة بذلك ثم قال : (هذه من السنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها ولا يقال فيها كيف ولم ؟ بل تستقبل بالتسليم والتصديق وترك النظر) (٣) .

وقال الإمام ابن بطة (٤) - عند ذكره لمسائل العقيدة التي يجب الإيمان بها - (. . . .) ثم الإيمان والقبول والتصديق بكل ما روته العلماء ونقله الثقات أهل الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقاها بالقبول ولا ترد بالمعاريض ولا يقال لم وكيف ؟ ولا تحمل على المعقول ولا تضرب لها المقاييس . . . مثل أحاديث الصفات والرؤية . . . ولا يقبح الوجه فإن الله خلق آدم على صورته) (٥) .

وقد أنكر الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله على من قال أن الهاء في قوله على صورته عائدة على آدم فقال في رواية أبي طالب من قال أن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي وأي صورة لآدم قبل أن يخلقه وروى

(١) طبقات الحنابلة (١ : ٣١٣) .

(٢) هو محمد بن الحسين بن عبد الله أبو بكر الأجري سمع أبا مسلم الكجي وأبا شعيبه الحراني وخلقا كثيراً كان ثقة صدوقاً ديناً له تصانيف كثيرة حدث ببغداد وبمكة توفي سنة ٣٦٠ هـ .

انظر تاريخ بغداد (٢ : ٢٤٣) .

(٣) الشريعة للأجري (ص ٣١٥) .

(٤) هو الإمام الكبير الحافظ ابن بطة أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطة العكبري الفقيه الحنبلي صنف كتاباً كبيراً في السنة وسمع من خلائق لا يحصون وكان عالماً زاهداً منكرًا للمنكر أفتى وعمره خمسة عشر سنة ومصفاته تزيد على المائة . توفي في

المحرم سنة ٣٨٧ هـ وعمره ٨٣ سنة . انظر شذرات الذهب (٣ : ١٢٢) .

(٥) الشرح والإبانة عن أصول الديانة لابن بطة (ص ١٠٧) .

ابن مندة عن عبد الله بن أحمد قال : قال رجل لأبي أن فلاناً يقول في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق آدم على صورته فقال على صورة الرجل قال أبي كذب هذا قول الجهمية وأي فائدة في هذا وقال في رواية أخرى فأين الذي يروي « أن الله خلق آدم على صورة الرحمن » وقيل له عن رجل أنه يقول خلقه على صورة الطين فقال هذا جهمي وهذا كلام الجهمية^(١) .

وقد شنع ابن خزيمة على من أعاد الضمير في حديث (أن الله خلق آدم على صورته) إلى الله تعالى فقال : (توهم بعض من لم يتحر العلم أن قوله على صورته يريد صورة الرحمن عز ربنا وجل عن أن يكون هذا معنى الخبر بل معنى قوله خلق آدم على صورته الهاء في هذا الموضع كناية عن اسم المضروب والمشتوم أراد صلى الله عليه وسلم أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب الذي أمر الضارب باجتنا بوجهه بالضرب والذي قبح وجهه فزجر صلى الله عليه وسلم أن يقول وجهه من أشبه وجهك لأن وجه آدم شبيه وجه بنيه فإذا قال الشاتم لبعض بني آدم قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك كان مقبحاً وجه آدم صلوات الله وسلامه عليه الذي وجوه بنيه شبيهة بوجهه فتفهموا رحمكم الله معنى الخبر لا تغلطوا ولا تغالطوا فتضلوا عن سواء السبيل وتحملوا على القول بالتشبيه الذي هو ضلال) . وذكر رحمه الله أن في الحديث الذي رواه الثوري عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر : (أن الله خلق آدم على صورة الرحمن) ثلاث علل :

(١) أن الثوري خالف الأعمش في إسناده فأرسل الثوري ولم يقل عن ابن عمر .

(٢) أن الأعمش مدلس ولم يذكر أنه سمعه من حبيب بن أبي ثابت .

(١) انظر الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢ : ٣١٦) .

(٣) إن حبيب بن أبي ثابت مدلس أيضاً ولم يعلم أنه سمعه من عطاء .

ثم قال فإن صحَّ هذا الخبر مسنداً فهو من إضافة الخلق إليه لأن الخلق يضاف إلى الرحمن إذ الله خلقه وكذلك الصورة تضاف إلى الرحمن لأن الله صورها (١) وقال ابن فورك والمازري والقرطبي ما معناه (إنَّ هذا الحديث ليس بثابت عند أهل النقل وكأن من رواه أورده بالمعنى فغلط في ذلك) (٢) .

وقال ابن حجر رحمه الله بعد حكايته لكلام القرطبي والمازري المتقدم آنفاً : (قلت الزيادة - يقصد على صورة الرحمن - أخرجها ابن أبي عاصم في السنة والطبراني من حديث ابن عمر بإسناد رجاله ثقات وأخرجها ابن أبي عاصم من طريق أبي يونس عن أبي هريرة بلفظ يرد التأويل قال من قاتل فليجنب الوجه فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن فتعين إجراء ما في ذلك على ما تقرر بين أهل السنة من إماراه كما جاء من غير اعتقاد تشبيه أو من تأويله على ما يليق بالرحمن جلّ جلاله) (٣) . وقال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين (٤) في هذا الحديث : (وصحح إسحاق بن راهويه اللفظ فيه على صورة الرحمن وأما أحمد فذكر أن بعض الرواة وقفه

(١) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة (ص ٣٧ - ٣٩) .

(٢) انظر مشكل الحديث لابن فورك (ص ٦) وصحيح مسلم بشرح النووي (١٦ : ١٦٦) ، فتح الباري (٥ : ١٣٣) .

(٣) فتح الباري (٥ : ١٣٣) .

(٤) هو العلامة عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله الباطنين من أشهر تلاميذ كبار تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولد عام ١١٩٤ هـ وتفقّه على مجموعة كبيرة من العلماء من أشهرهم محمد عبد الله بن طراد الدوسري وعبد العزيز بن عبد الله الحصين وحمد بن ناصر بن معمر وعبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب . وقد ولي قضاء الطائف والوشم والقصيم فترة من الزمن وله مؤلفات قيمة من أشهرها اختصار بدائع الفوائد لابن القيم وحاشية نفسية على شرح منتهى الإرادات ، وتأسيس التقديس في الرد على بن جرجيس وله فتاوى كثيرة مبثوثة في الدرر السنية . انظر علماء نجد للبسام (٢ : ٥٦٧) .

على ابن عمر وكلاهما حجة وروى ابن مندة عن ابن راهويه قال قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أن آدم خلق على صورة الرحمن » وإنما علينا أن ننطق به . قال القاضي أبو يعلى : (والوجه فيه أنه ليس في حملة على ظاهره ما يزيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه لأننا نطلق تسمية الصورة عليه لا كالصور كما أننا نسمي ذات ونفس لا كالذوات والآنفس)^(١) . وقال الدكتور عبد المحسن التركي - وهو من العلماء المعاصرين - بعد حكايته لقول ابن قتيبة : (أقول ما ذكره ابن قتيبة هو الذي تميل إليه النفس وهو الذي يتمشى مع أصول أهل السنة والجماعة)^(٢) . قلت قد جاء وصف الله بالصورة في حديث صحيح أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه)^(٣) .

والله سبحانه وتعالى أعلم بما أراد . .

(١) الدرر السنية في الاجوبة النجدية (٢ : ٣١٥) .

(٢) أصول الإمام أحمد للتركي هامش (ص ٨١) .

(٣) صحيح البخاري كتاب التوحيد ١٧٩/٨ .

المبحث الثالث

عقيدته في القضاء والقدر

القضاء والقدر له أربع مراتب فمن لم يؤمن بها جميعاً لم يؤمن بالقضاء والقدر وهي :

(١) المرتبة الأولى : علم الله بالأشياء قبل كونها بعلمه القديم المحيط بجميع الأشياء .

(٢) المرتبة الثانية : كتابته سبحانه لها قبل كونها ﴿ ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض أن ذلك في كتاب أن ذلك على الله يسير . . ﴾ الحج : ٧٠ .

(٣) المرتبة الثالثة : مشيئته لها فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فلا يحدث في السموات ولا في الأرض حركة ولا سكون إلا بمشيئته سبحانه .

(٤) المرتبة الرابعة : خلقه لها وتكوينها وإيجادها^(١) . وعلى الجملة فالناس في القدر طرفان ووسط . فطرف أثبتوا قدر الله سبحانه وتعالى وغالوا فيه حتى جعلوا العبد مجبوراً على فعله فلم يثبتوا له فعلاً ولا كسباً على الحقيقة بل جعلوه كالريشة في الهواء وجعلوا نسبة الأعمال

(١) انظر شفاء العليل لابن القيم (ص ٢٩ - ٤٩) ، وقارن بشرح الواسطية لمحمد هراس (ص ١٤٠) .

اليه في الكتاب والسنة كنسبتها الى الجماد كما يقال سقط الجدار ونحو ذلك وهؤلاء هم الجبرية . وطرف غالوا في النفي وقالوا لا قدر والأمر أنف وجعلوا الإنسان خالقاً لأفعاله وهؤلاء هم القدرية وهدى الله أهل الحق وهم السلف الصالح الى طريق الصواب وهو الوسط^(١) . ولنذكر الآن موقف ابن قتيبة رحمه الله تعالى من القدر ثم نذكر ردوده على المخالفين ثم نقارن بين موقفه وموقف علماء السلف من القدر .

فهو يقول : (ونحن نعلم أن كل شيء بقدر الله وقضائه غير أنا ننسب الأفعال الى فاعليها ونحمد المحسن على إحسانه ونلوم المسيء بإساءته ونعتد على المذنب بذنوبه)^(٢) .

ويقول في موضع آخر من مصنفاته : (وليس لأحد على الله حجة ولا قبله حق ولا فيما خلق شرك بل له الحجة البالغة وهو الفعال لما يريد وعدل القول في القدر أن تعلم أن الله عدل لا يجور كيف خلق وكيف قدر وكيف أعطى وكيف منع وأنه لا يخرج من قدرته شيء ولا يكون في ملكوته من السموات والأرض إلا ما أراد وأنه لا دين لأحد عليه ولا حق لأحد قبله فإن أعطى فبفضل وإن منع فبعدل وأن العباد يستطيعون ويعملون ويجزون بما يكسبون وأن لله لطيفة يتبدى بها من أراد ويتفضل بها على من أحب يوقعها في القلوب فيعود بها الى طاعته ويمنعها من خفت عليه كلمته فهذه جملة ما ينتهي اليه علم ابن آدم من قدر الله عز وجل وما سوى ذلك مخزون عنه)^(٣) .

وابن قتيبة يرى أن اليقين بالقدر لا يمنع الحازم من توقي الممالك وليس على أحد النظر في القدر المغيب ولكن عليه العمل بالحزم فيقول (نحن

(١) انظر شفاء العليل لابن القيم (ص ٣) .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٣٦) .

(٣) اختلاف اللفظ (ص ٢٣٢) .

نصدق بالقدر ونأخذ بالحزم (١) .

وقد تعرض ابن قتيبة للفرق المخالفة ورد عليها من عدة وجوه أغلبها من طريق اللغة لأنها ميدانه الرحيب فانتقد رحمة الله عليه القدرية الذين يجعلون العباد يفعلون ما لا يشاء الله فقال ما معناه : (فإن القدرية قالوا في قوله تعالى : ﴿ يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ النحل : ٩٣ . أي ينسبهم الى الضلال وينسبهم الى الهداية فيتساءل ابن قتيبة متهمكاً بهذا التفسير : (وما في نسبتهم الى ذلك حتى يعيد وييدي ولو أراد النسبة لقال يضلهم كما يقال يخونهم ويفسدهم ويظلمهم أي ينسبهم الى ذلك ونحن لا نعرف في اللغة افعلت الرجل نسبته وإنما يقال إذا أردت هذا المعنى فعلت تقول شجعت الرجل وجبته وسرقته وخطأته ولا يقال في شيء من هذا كله أفعلته وأنت تريد نسبته الى ذلك) (٢) .

ويتعرض ابن قتيبة رحمه الله للقدرية في بعض آيات القرآن التي فسروها بما يوافق مذهبهم فينقض قولهم ومن ذلك : قول الله تعالى : ﴿ وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ﴾ آل عمران : ١٤٥ ، قالوا فيها أي ما كان لها أن تؤمن إلا بعلم الله وعلموا ما يلزمهم أن جعلوا الأذن هنا المشيئة والإطلاق وذهبوا الى قول القائل أذنتك بالأمر أي أعلمتك وقد رد عليهم ابن قتيبة فقال لم يقل أحد من الناس أن شيئاً يحدث في الأرض لا يعلمه الله حتى يقول وما كان لنفس أن تؤمن إلا بعلم الله وإنما اختلفوا في الإذن الذي هو المشيئة والإطلاق فقال المثبتون لم يشأ الله أن يؤمن جميع الناس ولو شاء لآمنوا فليس لنفس أن تؤمن حتى يشاء الله ذلك ويطلقه .

وقال أهل القدر قد شاء الله هذا لكل نفس وأطلقه فلها أن تؤمن إن شاءت وفي صدر هذا الكلام دليل على ما قال أهل الإثبات لأن النبي صلى

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٣٠) .

(٢) اختلاف اللفظ (ص ٢٢٦) وقارن بتأويل مشكل القرآن (ص ١٢٤) .

الله عليه وسلم كان يحب إيمان قريش فأنزل الله عليه : ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين . . ﴾ يونس : ٩٩ . ثم قال على أثر ذلك وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله يريد بمشيئته وإطلاقه فأول الكلام دليل على آخره والناس مجمعون لا يختلفون على أن القائل إذا قال لو شئت لأتيتك أنه لم يشأ إتيانه ولو شئت لحججت أنه لم يشأ الحج ولو شئت لتزوجت أنه لم يشأ الزواج فكذلك يلزم في لو شاء الله لهدى الناس جميعاً وفي قوله ولو شئنا لأتينا كل نفس هداها وأما اللغة فإنه لا يجوز فيها أن يجعل الإذن العلم فإن الإذن في الشيء أن تشاء تقول : (أذنت له في الخروج إذناً) هذا ما ليس به خفاء على من نظر في اللغة وفهمها^(١) . ومن ذلك قول الله عز وجل : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً . . ﴾ الأنعام : ١٤٥ جعل القدرية الإرادة في الهداية والإضلال للعبد لا لله وقد رد ابن قتيبة عليهم فقال : (قد ركبو في ذلك أفحش غلط وأحول كلام والإرادة لا تجوز أن تكون للعبد وقد وليها إسم الله وهو مرفوع بإجماع القراء)^(٢) ومن ذلك قول الله عز وجل : ﴿ وقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس . . ﴾ الأعراف : ١٧٩ ، فقد فسر القدرية ذرأنا بمعنى دفعنا وألقينا لكي يصح مذهبهم وقد رد ابن قتيبة عليهم من طريق اللغة أيضاً فقال : (هذا جهل باللغة فلا يجوز أن يكون ذرأنا في هذا الموضع إلا خلقنا كما قال : ﴿ ذرأكم في الأرض . . ﴾ المؤمنون : ٧٩ ، وقال : ﴿ يذرؤكم فيه . . ﴾ الشورى : ١١ ، أي يخلقكم في الرحم^(٣) . ومثل هذه الآيات المتقدمة كثير قد حرفها القدرية لكي توافق مذهبهم وقد تتبعهم علماء السلف وأبطلوا تحريفاتهم الزائفة وعلى رأسهم ابن قتيبة فقد خصص جانباً كبيراً من كتابيه الجليلين

(١) اختلاف اللفظ (ص ٢٢٧) .

(٢) اختلاف اللفظ (ص ٢٢٨) .

(٣) بتصرف من اختلاف اللفظ (ص ٢٢٨ - ٢٢٩) .

تأويل مشكل القرآن وغريب القرآن لدحض تفسيراتهم المنحرفة وكذلك في كتابه إختلاف اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة عند ذكره للقدرية فقد ذكر كثيراً من الآيات التي حرفوا تفسيرها إذ يقول : (وشيء لم نزل نسمعه منهم على قديم الأيام قد ارتضوه لأنفسهم ودونوه في كتبهم وأجمع عليه عالمهم وجاهلهم وكهلهم وحدثهم في تأويل قول الله عز وجل : ﴿ أفأريت من اتخذ الهه هواه وأضلله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون . . ﴾ الجاثية : ٢٣ ، وقوله تعالى : ﴿ إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون . . ﴾ يس : ٩ ، وقوله تعالى : ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم . . ﴾ البقرة : ٧ ، وأشباه هذا أنه حكم عليهم فإذا نحن تدبرنا هذا التأويل وقابلنا به التنزيل لم نجد هذا المتأول حمل كتاب الله على مثل هذه التأويلات إلا لإقامة مذهبه وحاول بعضهم إبدال بعض حروفه بغيرها فقرأ : ﴿ عذابي أصيب به من أشاء . . ﴾ الأعراف : ١٥٦ ، بالسين غير المعجمة والنصب . وقرأ جميع ما في القرآن المخلصين بكسر اللام يريد أن يجعل الإخلاص لهم وألا يكون لله في ذلك صنع . فكيف يصنع بقوله تعالى : ﴿ إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار . . ﴾ ص : ٤٦ ، وقد حمل بعضهم نفسه على أن قرأ : ﴿ ليزدادوا إيماناً ﴾ في قوله تعالى : ﴿ ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خيراً لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً . . ﴾ آل عمران : ١٧٨ ، وألحقها في بعض المصاحف طمعاً في أن تبقى على الدهر ويجعلها الناس وجهاً وكيف له ما قدر والله يقول إلى جنبها : ﴿ ولهم عذاب مهين ﴾ آل عمران : ١٧٨^(١) . وكما بين ابن قتيبة رحمه الله فساد مذهب القدرية بين فساد مذهب الجبرية فقال : (ولما رأى قوم من أهل الإثبات إفراط هؤلاء في القدر وكثر بينهم التنازع حملهم البغض

(١) إختلاف اللفظ (ص ٢٣٠) .

لهم واللجاج على أن قابلوا غلوهم بغلو وعارضوا افراطهم بإفراط فقالوا بمذهب جهم^(١) في الجبر المحض وجعلوا العبد المأمور المنهي المكلف لا يستطيع من الخير والشر شيئاً على الحقيقة ولا يفعل شيئاً على الصحة وذهبوا الى أن كل فعل ينسب إليه فإنما ينسب إليه على المجاز كما يقال في الموات مال الحائط وإنما يراد أميل وذهب البرد وإنما ذهب به . وكلا الفريقين غالط وعن سواء الحق حائد^(٢) .

وابن قتيبة رحمه الله لم يطل في الرد على الجبرية كما فعل مع القدرية مع العلم أن قول الجبرية أخيب من قول القدرية لأن قولهم ينبي عليه إسقاط التكاليف الشرعية وإنما ألمح الى ذلك بإشارات وهي أن الله قد أمر العبد ونهاه وكلفه ونسب الأعمال إليه فدل على أن له فعلاً على الحقيقة وأنه يستطيع الفعل والترك ولولا ذلك لما أمره ونهاه وسقوط مذهب الجبرية لا يحتاج الى الإطالة في الرد عليه لأن الإنسان يشعر من نفسه الاختيار ويفرق بين الأمور الاضطرارية كنبض العروق وارتعاش اليد وبين الأمور الاختيارية وأنه يستطيع أن يفعلها أو يمتنع عنها وأن جعل الإنسان كالريشة في الهواء مكابرة للعقول^(٣) . وهذا الاعتقاد من ابن قتيبة في باب قدر الله تعالى هو اعتقاد السلف الصالح بحمد الله تعالى ولنذكر الآن معتقد السلف في القدر كما رواه عنهم ابن القيم وابن تيمية ليظهر للمقارئ انطباق قول ابن قتيبة على

(١) هو جهم بن صفوان مولى بني راسب أبو محرز السمرقندي . كان كاتباً للحارث بن سريج الذي خرج في خراسان على الخلافة الأموية سنة ١٢٨ هـ وقد تتلمذ على الزنديق جعد بن درهم الذي ابتدع القول بخلق القرآن واليه تنسب الجهمية يقول عنه الذهبي : (جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمان صغار التابعين وما علمته روى شيئاً لكنه زرع شراً عظيماً) انظر ميدان الاعتدال : (١ : ٤٢٦) ، البداية والنهاية (١٠ : ٢٦) .

(٢) اختلاف اللفظ (ص ٢٣١) .

(٣) انظر ان شئت التوسع في الرد على القدرية والجبرية شفاء العليل لابن القيم - الجزء الثامن من الفتاوى الكبرى لابن تيمية .

قولهم حذو القذة بالقذة .

يقول ابن القيم : (وأما حزب الله ورسوله وأنصار سنته . . . فإنهم يشبتون قدرة الله على جميع الموجودات من الأعيان والأفعال ومشيتته العامة وينزهونه أن يكون في ملكه ما لا يقدر عليه ولا هو واقع تحت مشيتته ويشبتون القدر السابق وأن العباد يعملون ما قدره الله وقضاه وفرغ منه وأنه لا يشاؤون إلا أن يشاء الله ولا يفعلون إلا من بعد مشيتته وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا تخصيص عندهم في هاتين القضيتين بوجه من الوجوه)^(١) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (أن مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان وهو أن الله خالق كل شيء وربّه ومليكه وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد . وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم قدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة . فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء وقدرته على كل شيء ومشيتته لكل ما كان وعلمه بالأشياء قبل أن تكون وتقديره لها وكتابه إياها قبل أن تكون . . . وسلف الأمة وأئمتها متفقون أيضاً على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله به منهيون عما نهاهم الله عنه ومتفقون على الإيمان بوعدّه ووعيده الذي نطق به الكتاب والسنة ومتفقون أنه لا حجة لأحد على الله في واجب تركه ولا محرم فعله بل لله الحجة البالغة على عباده . . . ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها - مع إيمانهم بالقضاء والقدر وأن الله خالق كل شيء وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه يضل من

(١) شفاء العليل لابن القيم (ص ١١٥) .

يشاء ويهدي من يشاء - أن العباد لهم مشيئة وقدرة يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم
ما أقدرهم الله عليه مع قولهم أن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله . . .
والقرآن قد أخبر بأن العباد يؤمنون ويكفرون ويفعلون ويعملون ويكسبون
ويطيعون ويعصون ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويحجون ويعتمرون ويقتلون
ويزنون ويسرقون فلم يكن من السلف والأئمة من يقول أن العبد ليس بفاعل
ولا مختار ولا مريد ولا قادر ولا قال أحد منهم أنه فاعل مجازاً بل متفقون على
أن العبد فاعل حقيقة والله خالق ذاته وصفاته وأفعاله (١).

(١) الفتاوى الكبرى (٨: ٤٥٠ - ٤٥٨).

المبحث الرابع عقيدته في النبوات

(١) عصمة الأنبياء صلى الله عليهم وسلم :

الناس في العصمة على مذاهب متعددة :

(١) ففريق أجازوا وقوع الكبائر بل والكفر من الأنبياء عليهم السلام وهم الفضيلية من الخوارج ومن نحاً نحوهم .

(٢) وفريق يرى وجوب العصمة للأنبياء من الكبائر والصغائر مطلقاً وهم أكثر المتكلمين من معتزلة وأشاعرة وشيعة غير أن الشيعة يجوزون وقوع المعاصي من الأنبياء تقية .

(٣) وفريق يرون أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الكفر والكبائر وفي كل ما يتعلق بالتبليغ وصغائر الخسة كسرقة لقمة ويجوزون ما عدا ذلك من صغائر الذنوب والسهو والنسيان غير أنهم يقولون أن الأنبياء عليهم السلام لا يقرون على خطأ وإذا وقع منهم ذنوب فإنهم يتوبون منها ويحصل لهم بالتوبة خير كثير وهؤلاء هم جمهور أهل السنة والجماعة^(١) .

(١) انظر الشفاء للقاضي عياض (٢ : ٣٢٧) وقارن بما في كتاب عصمة الأنبياء للدكتور محمد الحديدي (ص ١٢١) وصحيح مسلم بشرح النووي (٣ : ٥٣) ، ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية (١ : ١٣٠) .

وابن قتيبة رحمه الله تعالى يقر بعصمة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ويجوز وقوع بعض الذنوب منهم لورود ذلك في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يتخرج من إطلاق ما أطلقه الله على بعض الأنبياء من الخطأ والعصيان كما يفعل بعض أهل التأويل الذين وصل بهم الغلو في العصمة إلى إنكار ما يثبت في الكتاب والسنة من وقوع بعض الذنوب من الأنبياء والتماس المخارج الهزيلة التي لا تصح في لغة ولا معقول . ويدل على اعتقاد ابن قتيبة لعصمة الأنبياء من الشرك والكبائر قوله في الرد على من ظن أن إبراهيم عليه السلام لما قال للكوكب (هذا ربي) كان يتكلم عن اعتقاده في قرارة نفسه : (ومن الناس من يذهب إلى أن إبراهيم صلى الله عليه وسلم كان في تلك الحال على ضلال وحيرة وكيف يتوهم ذلك على من عصمه الله وطهره في مستقره ومستودعه والله سبحانه يقول : ﴿ إذ جاء ربه بقلب سليم ﴾ أي لم يشرك به قط . ويقول في صدر الآية : ﴿ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . . ﴾ الانعام : ٧٥ ، ثم قال إثر ذلك : ﴿ فلما جن عليه الليل . . ﴾ الانعام : ٧٦ ، فروى أنه رأى في الملكوت عبداً على فاحشة فدعا الله عليه ثم رأى آخر على فاحشة فدعا الله عليه فقال له الله يا إبراهيم اكفف دعوتك عن عبادي فإن عبادي بين خلال ثلاث إما أن أخرج منه ذرية طيبة أو يتوب فاغفر له أو النار من ورائه^(١) . أفترى الله أراه الملكوت ليوقن فلما أيقن رأى كوكباً فقال هذا ربي على الحقيقة والاعتقاد . . ﴾^(٢) .

وابن قتيبة يجوز النسيان على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فيقول : (. . . والنبي صلى الله عليه وسلم نفسه ربما سها وكان ينسى الشيء من القرآن حتى قال الله تعالى : ﴿ سنقرئك فلا تنسى . . ﴾ الأعلى : ٦ ، وقبل الفدية في يوم بدر فنزل : ﴿ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما

(١) روى هذا الأثر ابن جرير الطبري باختلاف يسير من ثلاث طرق (٧ : ١٦١) .

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص ٣٣٨) .

أخذتم عذاب عظيم .. ﴿ الأنفال : ٦٨ ، وقال : لو نزل عذاب ما نجا إلا عمر وذلك لأنه أشار عليه بالقتل وترك أخذ الفداء وأراد يوم الأحزاب أن يتقي المشركين ببعض ثمار المدينة حتى قال له بعض الأنصار ما قال^(١) وكاد يجيب المشركين إلى شيء مما أرادوه يتألفهم بذلك فأنزل الله عز وجل : ﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً .. ﴾ الإسراء : ٧٤ ، ٧٥ ، وهكذا الأنبياء المتقدمون عليهم السلام في السهو والنسيان وتعداد هذا يطول ويكثر وليس به خفاء على من علمه^(٢) .

وقد انتقد ابن قتيبة رحمه الله بعض أهل الكلام الذين يحرفون النصوص الشرعية لكي توافق ما ذهبوا إليه من عصمة الأنبياء من كل صغيرة وكبيرة على الإطلاق قائلاً : (يستوحش كثير من الناس من أن يلحقوا بالأنبياء ذنباً ويحملهم التنزيه لهم صلوات الله عليهم على مخالفة كتاب الله جل ذكره واستكراه التأويل وعلى أن يلتمسوا لألفاظه المخارج البعيدة بالحيل الضعيفة)^(٣) وبين جانباً من تحريفاتهم ويرد عليهم فمن ذلك تأويلهم قوله تعالى : ﴿ وعصى آدم ربه فغوى .. ﴾ طه : ١٢١ ، أي بشم من أكل الشجرة^(٤) وذهبوا إلى قول العرب غوى الفصيل . ويرد عليهم بأن غوى في الآية بفتح الواو يغوي غياً . أما البشم فهو من غوي بكسر الواو يغوي غوي ويسخر منهم في تحريفهم هذا فيقول : (.. ولو وجد أيضاً في عصى مثل هذا السنن لركبوه وليس في غوى شيء إلا ما في عصى من معنى الذنب لأن

-
- (١) ملخص القصة أن الرسول صلى الله عليه وسلم أراد الصلح مع غطفان بثلاث ثمار المدينة ويرجعوا عن الحرب مع الأحزاب فرفض سعد بن معاذ وسعد بن عباد ذلك لما عرفا أنه مجرد رأى لا حياً إلهياً ، الروض الأنف للسهيلى (٣ : ٢٦٢) .
- (٢) تأويل مختلف الحديث (ص ١٥٨ ، ١٥٩) .
- (٣) تأويل مشكل القرآن (ص ٤٠٢) .
- (٤) ذكر هذا القول الشوكاني في فتح القدير (٣ : ٣٩٠) ولم ينسبه لأحد .

العاصي لله التارك لأمره غاوٍ في حاله تلك والغاوي عاصٍ والغبي ضد الرشد كما أن المعصية ضد الطاعة وقد أكل آدم صلى الله عليه وسلم من الشجرة التي نهى عنها باستزلال إبليس وخدائعه إياه بالله والقسم به أنه لمن الناصحين حتى دلاه بغرور ولم يكن ذنبه عن إرصاد وعداوة وإرهاص كذنوب أعداء الله . فنحن نقول عصى وغوى كما قال الله تعالى ولا نقول آدم عاصٍ ولا غاوٍ لأن ذلك لم يكن عن اعتقاد متقدم ولا نية صحيحة كما تقول لرجل قطع ثوباً وخاطه قد قطعه وخاطه ولا تقل خائط ولا خياط حتى يكون معاوداً لذلك الفعل معروفاً به^(١) .

ومن ذلك تأويلهم لقوله تعالى : ﴿ ولقد همت به وهم بها ﴾ يوسف : ٢٤ ، أنها همت بالمعصية وهم هو بالفرار منها وقال بعضهم وهم بضربها . ويتعجب ابن قتيبة من هذا التأويل قائلاً أن الله تعالى يقول : ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه . ﴾ يوسف : ٢٤ ، أفتراه أراد الفرار منها أو الضرب لها فلما رأى البرهان أقام عندها وأمسك عن ضربها . . هذا ما ليس به خفاء ولكنها همت منه بالمعصية هم نية واعتقاد وهم نبي الله صلى الله عليه وسلم هماً عارضاً بعد طول المراودة وعند حدوث الشهوة التي أتى أكثر الأنبياء في هفواتهم منها وقد روي في الحديث أنه ليس من نبي إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة غير يحيى بن زكريا عليهما السلام لأنه كان حصوراً لا يأتي النساء ولا يريدن^(٢) . فهذا يدل على أن أكثر زلات الأنبياء من هذه الجهة وإن كانوا لم يأتوا في شيء منها فاحشة بنعم الله عليهم ومنه فإن الصغير منهم كبير لما أتاهم الله من المعرفة واصطفاهم له من الرسالة وأقام عليهم من

(١) تأويل مشكل القرآن (ص ٤٠٣) .

(٢) رواه ابن كثير في تفسيره عن ابن أبي حاتم مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم وموقوفاً على عبد الله بن عمرو بن العاص وقال أن الموقوف أقوى إسناداً من المرفوع بل في صحة المرفوع نظر .

تفسير ابن كثير (٢ : ٣١) .

الحجة ولذلك قال يوسف صلى الله عليه وسلم : ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء .. ﴾ يوسف : ٥٣ ، ﴿ يريد ما أضمره وحدث ، به نفسه عند حدوث الشهوة وقد وضع الله الحرج عمن هم بخطيئة ولم يعملها ﴾ (١) .

ومن ذلك تأويلهم قوله تعالى : ﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضباً ﴾ الأنبياء : ٨٧ ، أنه غاضب قومه إستيحاشاً من أن يكون مع تأييد الله وعصمته وتوفيقه وتطهيره يخرج مغاضباً لربه (٢) . وينقض ابن قتيبة هذا التأويل بقوله : (فإن كان نبي الله صلى الله عليه وسلم ذهب مغاضباً على قومه قبل أن يؤمنوا فإنما راغم من استحق في الله أن يراغم وهجر من وجب أن يهجر واعتزل من علم أن قد حقت عليه كلمة العذاب فبأي ذنب عوقب بالتهام الحوت والحبس في الظلمات والغم الطويل ؟ وما الأمر الذي ألأم فيه فنعاه الله عليه إذ يقول : ﴿ فالتقمه الحوت وهو مليم ﴾ لضافات : ١٤٢ ، والمليم الذي أجرم جرماً استوجب به اللوم ولم أخرجه من أولي العزم من الرسل حين يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت .. ﴾ ق : ٤٨ . وإن كان الغضب عليهم بعد أن آمنوا فهذا أغلظ مما أنكروا وأفحش مما استقبحوا كيف يجوز أن يغضب على قومه حين آمنوا ولذلك انتجب وبه بعث وإليه دعا ..) .

وبين ابن قتيبة الذنب الذي ارتكبه نبي الله يونس فيقول : (فكان نبي الله صلى الله عليه وسلم لما أخبرهم عن الله أنه منزل العذاب عليهم لأجل ثم بلغه بعد مضي الأجل أنه لم يأتهم ما وعدهم خشي أن ينسب إلى الكذب ويعير به ويحقق عليه لا سيما ولم تكن قرية آمنت عند حضور العذاب فنفعها إيمانها غير قومه فدخلته الأنفة والحمية وكان مغيطاً بطول ما عاناه من تكذيبهم وهزئهم وأذاهم واستخفافهم بأمر الله مشتتاً لأن ينزل بأس الله بهم هذا إلى

(١) ، تأويل مشكل القرآن (ص ٤٠٥) .

(٢) ، انظر تفسير الطبري (١٧ : ٦١) .

ضيق صدره وقلة صبره على ما صبر على مثله أولو العزم من الرسل وقد روي في الحديث أنه كان ضيق الصدر فلما حمل أعباء النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل^(١) فمضى على وجهه مضى الأبق الناد يقول الله سبحانه : ﴿ وان يونس لمن المرسلين إذا أبق إلى الفلك المشحون . . ﴾ الصافات : ١٤٠ ، فعاقبه الله عن حميته وأنفته وإياقته وكراهيته العفو عن قومه وقبول إنابتهم بالحبس له والتضييق عليه في بطن الحوت^(٢) وكذلك يرد ابن قتيبة على الذين ينكرون أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سحر ظناً منهم أن ذلك ينافي العصمة ويطعنون في النصوص المثبتة لذلك فيقول : (. . . وليس هذا مما يجتر الناس به إلى أنفسهم نفعاً ولا يصرفون عنها ضرراً ولا يكسبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثناء ومدحاً ولا حملة هذا الحديث كذايين ولا متهمين ولا معادين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما ينكر أن يكون لبيد بن الأعصم هذا اليهودي سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قتلت اليهود قبله زكريا بن إذن في جوف شجرة قطعته قطعاً بالمناشير وقتلت بعده ابنه يحيى بقول بغى واحتيالها في ذلك^(٣) وقتلت الأنبياء وطبختهم وعذبتهم بألموان العذاب ولو شاء الله جلّ وعز لعصمهم منهم وقد سم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذراع شاة مشوية سمته يهودية^(٤) والسحر أيسر خطباً من القتل والظيخ والتعذيب^(٥) .

وما يعتقدّه ابن قتيبة رحمه الله تعالى في باب عصمة الأنبياء هو ما عليه جمهور السلف الصالح . يقول ابن تيمية : (والقول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف حتى أنه

(١) روى هذا الأثر ابن جرير الطبري عن وهب بن منبه (١٧ : ٦١) .

(٢) انظر تأويل مشكل القرآن (ص ٤٠٥ - ٤٠٩) ، تفسير الطبري (١٧ : ٦١) .

(٣) انظر قصص الأنبياء للنجار (ص ٣٦٨ ، ٣٦٩) حول مقتلهم عليهما السلام .

(٤) البخاري كتاب المغازي (٣ : ٥٦) .

(٥) بتصرف من تأويل مختلف الحديث (ص ١٨٠ ، ١٨١) .

قول أكثر أهل الكلام كما ذكر أبو الحسن الأمدى أن هذا قول أكثر الأشعرية وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفتهاء بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول (١).

ويقول أيضاً في موضع آخر : (السلف متفقون على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى . . . ومتفقون على أنهم لا يقرون على خطأ في الدين أصلاً ولا على فسق ولا كذب ففي الجملة كل ما يقدح في نبوتهم وتبليغهم عن الله تعالى فهم متفقون على تنزيههم عنه وعامة الجمهور الذين يجوزون عليهم الصغائر يقولون أنهم معصومون من الإقرار عليها . . . وأما النسيان والسهو في الصلاة فذلك واقع منهم وفي وقوعه حكمة استئان المسلمين بهم كما روي في موطأ مالك إنما أنسى أو أنسى لا سن (٢) .

وروى البخاري في صحيحه قال : حدثنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن علقمة قال : قال عبد الله صلى النبي صلى الله عليه وسلم قال إبراهيم : لا أدري زاد أو نقص فلما سلم قيل له : يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء قال : وما ذاك قالوا : صليت كذا وكذا فثنى رجله واستقبل القبلة وسجد سجدتين ثم سلم فلما أقبل علينا بوجهه قال إنه لو حدث في الصلاة شيء لبأتكم به ولكن إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني وإذا شك أحدكم في صلاته فليحصر الصواب فليتم ثم يسلم ثم يسجد سجدتين (٣) . وقال ابن حجر في شرح هذا الحديث فيه دليل على جواز وقوع السهو من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الأفعال قال ابن دقيق العيد وهو قول عامة العلماء والنظار وشذت طائفة فقالوا لا يجوز على النبي السهو وهذا الحديث يرد عليهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم فيه أنسى كما تنسون ولقوله فإذا نسيت فذكروني أي بالتسييح (٤) . ويقول ابن القيم رحمه الله

(١) الفتاوى الكبرى (٤ : ٣١٩) .

(٢) منهاج السنة النبوية (١ : ١٣٠) والحديث رواه مالك في الموطأ (ص ٧٦) .

(٣) صحيح البخاري - كتاب الصلاة (١ : ٨٢) . (٤) انظر فتح الباري (١ : ٤٢٢) .

عن حديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم : (وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم متلقى بالقبول بينهم لا يختلفون في صحته وقد اتفق أصحاب الصحيحين على تصحيحه ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة واحدة والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقهاء وهؤلاء أعلم بأحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمة من المتكلمين وقد أجاب ابن القيم على شبه أهل الكلام - القائلين بأنه لو ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم سحر لكان تصديقاً للكفار القائلين ﴿ أن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً... ﴾ الإسراء : ٤٧ ، وإن السحر يحطُّ منصب النبوة وتجوز هذا بعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع - بكلام نفيس ملخصه أن السحر الذي أصاب الرسول صلى الله عليه وسلم مرض من الأمراض عارض شفاه الله منه ولا نقص في ذلك فإن المرض يجوز على الأنبياء وكذلك الإغماء وهذا من البلاء الذي يزيده الله به رفعة في درجاته وأشد الناس بلاء الأنبياء وقول الكفار أن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً أي سحر حتى جنَّ فكأنهم قالوا أن تتبعون إلا رجلاً زائل العقل لا يعقل ما يقول وأعداء الرسل لم يقذفوهم بأمراض الأبدان وإنما قذفوهم بما يحذرون به سفهاءهم من أتباعهم وهو أنهم قد سحروا حتى صاروا لا يعلمون ما يقولون بمنزلة المجانين^(١) . أما قولهم بأنه لو ثبت سحر الرسول صلى الله عليه وسلم لما وثق بالشرعية فهو قول باطل يدل على جهلهم بمقصود الرسالة وجهلهم بمواضع الإجماع - فقد أجمع المسلمون على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله وأجمعوا بأنه لا يجوز أن يستقر في الشريعة شيء من الخطأ^(٢) .

وليس مع من خالف السلف وادعى العصمة للأنبياء من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها دليل بل القرآن محشو من الدلائل على وقوع الذنوب منهم

(١) ملخصاً من تفسير المعوذتين لابن القيم (ص ٣٢ - ٣٦) .

(٢) انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية (١ : ١٣٠) .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَقُولُهُ تَعَالَى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى .. ﴾ طه : ٢١ ، وقوله عن موسى عليه السلام : ﴿ رَبِّي إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ القصص : ١٦ ، وقول يونس عليه السلام : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ .. ﴾ الأنبياء : ٨٧ وقول نوح عليه السلام : ﴿ وَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَتَنْزِلُنِي مِنَ الْخَاسِرِينَ .. ﴾ هود : ٤٧ ، وقوله عن آدم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا .. ﴾ الآية ، الأعراف : ٢٣ ، وقول إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ .. ﴾ الشعراء : ٨٢ وقوله عن داود عليه السلام : ﴿ فَاسْتَغْفِرْ رَبَّهُ .. ﴾ الآية ، ص : ٢٤ ، وقول موسى عليه السلام : ﴿ رَبِّي اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ .. ﴾ الأعراف : ١٥١ ، وقوله عن نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقوله : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ .. ﴾ الفتح : ٢ .

وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ ..

(٢) معجزات النبي صَلَّى الله عليه وسلم :

ابن قتيبة رحمه الله تعالى له كتاب في معجزات النبي صَلَّى الله عليه وسلم لم يعثر عليه كما مرَّ معنا في مؤلفاته وغالباً أنه استقصى فيه جميع المعجزات النبوية أما في مؤلفاته التي بين أيدينا فقد تكلم عن الإسراء وشكوى البعير إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم وحادثة انشقاق القمر بعبارة موجزة فهو ينتقد الذين يجعلون الإسراء بالروح دون الجسد قائلاً : « وكيف يكون ذلك كما تأولوا والله جلَّ وعز يقول : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ الآية . الإسراء : ١ ، وهذا لا يجوز أن يتأول فيه هذا التأويل ونحن نعوذ بالله أن نتعسف فتأول فيما يجعله الله فضيلة لمحمد صَلَّى الله عليه وسلم ونحن نسلم للحديث ونحمل الكتاب على ظاهره »^(١) .

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٢١٧) .

وحديث الإسراء مجمع على صحته وقد رواه البخاري وغيره وقد تركت إيراده لشهرته وطوله^(١) .

ويقول رحمه الله عندما ذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه دخل يوماً حائش نخل فرأى بغيراً فلما رآه البعير حنَّ وذرفت عيناه فمسح النبي صلى الله عليه وسلم سراته وذفراه فسكن فقال لصاحبه أحسن إليه فإنه شكا إلى أنك تجيعه وتدئبه^(٢) (ومن الناس من يرى أن شكوى البعير لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين أثر الضرب والإتعا بفقضى عليه بأنه لو كان متكلماً لاشتكى ما ذكر يذهب إلى قول عترة في فرسه :

فأزور من وقع القنا بلبانه وشكا الي بعبرة وتحمم

وهذا تعسف في القول وبخس لعلم النبوة فلو كان الأمر على ما ذكر لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم فضل على غيره في هذا الخبر لأن الناس قد يفهمون عن البهائم من هذا الوجه والقول في هذا أن الله جلَّ وعزَّ أفهمه عن البعير من الوجه الذي أفهم به سليمان عليه السلام كلام النمل والنمل مما لا يصوت ومن الوجه الذي يتفاهم منه البهائم وليس شكوى البعير بأعجب من قصده إليه بالحنين وذروف العين^(٣) .

ويقول أيضاً (أن من حمل أمر الدين على ما شاهد فجعل البهيمة لا تقول والطائر لا يسبح والبقعة من الأرض لا تشكو إلى أختها والذباب لا يعلم موضع السم وموضع الشفاء واعترض على ما جاء في الحديث مما لا يفهمه فقال كيف يكون قيراط مثل أحد وكيف يتكلم بيت المقدس وكيف يأكل الشيطان بشماله ويشرب بشماله وأي شمال له وكيف لقي آدم موسى

(١) انظر صحيح البخاري (٢ : ٣٢٨) باب حديث الإسراء .

(٢) رواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه (١ : ٢٠٥) .

(٣) انظر غريب الحديث لابن قتيبة (١ : ٤٣٨) .

صَلَّى الله تعالى عليهما وسلم حتى تنازعا في القدر وبينهما أحقاب وأين تنازعا . فإنه منسلخ من الإسلام معطل غير أنه يستتر بمثل هذا وشبهه من القول واللغو والجدال . ودفع الأخبار والآثار مخالف لما جاء به الرسول صَلَّى الله عليه وسلم ولما درج عليه الخيار من صحابته والتابعون ومن كَذَّب ببعض ما جاء به رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم كان كمن كَذَّب به كله . . . وما علمت أحداً ينكر هذا إلا قوماً من الدهرية وقد أتبعهم على ذلك قوم من أهل الكلام والجهمية (١) .

وقد ذكر ابن قتيبة عن النظام المعتزلي أنه أنكر انشقاق القمر في زمن النبي صَلَّى الله عليه وسلم وأكذب ابن مسعود لروايته لهذا الحديث وقال فكيف لم تعرف العامة بذلك ولم يؤرخ الناس بذلك العام ولم يذكره شاعر ولم يسلم عنده كافر ولم يحتج . مسلم على ملحد ثم ردَّ عليه بقوله : (وهذا ليس بإكذاب لابن مسعود ولكنه بخس لعلم النبوة وإكذاب للقرآن العظيم لأن الله تعالى يقول : ﴿ إقتربت الساعة وانشق القمر . . ﴾ القمر : ١ ، فإن كان القمر لم ينشق في ذلك الوقت وكان مراده سينشق القمر فيما بعد فما معنى قوله : ﴿ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر . . ﴾ القمر : ٢ ، بعقب هذا الكلام . أليس فيه دليل على أن قوماً رأوه منشقاً فقالوا هذا سحر مستمر من سخره وحيلة من حيله كما كانوا يقولون في غير ذلك من أعلامه (٢) . وما يعتقد ابن قتيبة رحمة الله عليه فيما ذكره من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم هو ما يعتقد السلف الصالح يقول ابن كثير رحمه الله تعالى : والحق أنه عليه السلام أسرى به يقظة لا مناماً من مكة إلى بيت المقدس ركباً البراق فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله فصلَّى في قبلته تحية المسجد ركعتين ثم أتى المعراج فصعد فيه إلى السماء الدنيا ثم إلى

(١) تاويل مختلف الحديث (ص ٢٢٩) .

(٢) تاويل مختلف الحديث (ص ٢١ - ٢٥) .

بقية السموات السبع فتلقيه من كل سماء مقربوها وسلم عليه الأنبياء الذين في السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم حتى مر بموسى الكليم في السادسة وإبراهيم الخليل في السابعة ثم جاوز منزلتهما صلى الله عليه وسلم وعليهما وعلى سائر الأنبياء حتى انتهى الى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام واختلف الناس هل كان الإسراء بيدنه وروحه او بروحه فقط على قولين . فالأكثر من العلماء على أنه أسرى بيدنه وروحه يقظة لا مناماً ولا ينكر أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قبل ذلك مناماً ثم رآه بعده يقظة لأنه عليه السلام كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح والدليل على هذا قوله : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ﴾ فالتسييح إنما يكون عند الأمور العظام ولو كان مناماً لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظماً ولما بادرت كفار قريش إلى تكذيبه ولما ارتد جماعة ممن كان قد أسلم وايضاً فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وقد قال : ﴿ أسرى بعبده ﴾ وقد قال تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس . . ﴾ الإسراء : ٦٠ ، قال ابن عباس : (هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه البخاري^(١) . وقال تعالى : ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ والبصر من آلات الذات لا الروح وأيضاً فإنه حمل على البراق وهو دابة بيضاء براق لها لمعان وإنما يكون هذا للبدن لا للروح لأنها لا تحتاج في حركتها الى مركب تركب عليه^(٢) . وقد روى البخاري في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر^(٣) .

وروى عن عبد الله بن مسعود وابن عباس نحو هذا^(٤) . ومن طريق

(١) انظر صحيح البخاري (٢ : ٣٢٨) باب حديث الإسراء .

(٢) تفسير ابن كثير (٥ : ٤٠ ، ٤١) .

(٣) صحيح البخاري (٢ : ٢٨٦) باب سؤال المشركين ان يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية فأراهم انشقاق القمر .

(٤) المصدر السابق .

أخرى عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما^(١) .

وقال القاضي عياض : (أخبر تعالى بوقوع انشقاق القمر بلفظ الماضي وإعراض الكفرة عن آياته وأجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه وقد روى انشقاق القمر من الصحابة ابن مسعود وأنس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي بن أبي طالب وجبير بن مطعم)^(٢)

وبهذا يتبين للقارئ الكريم أن ابن قتيبة رحمه الله تعالى لم يذ في باب النبوات بشيء عن معتقدات السلف الصالح وأنه موافق لهم وداع الى منهجهم ومنافع عن الحق بلسانه وقلمه .

(١) صحيح البخاري باب إنشقاق القمر (٢ : ٣٢٤) .

(٢) الشفاء للقاضي عياض (١ : ٥٤٣) .

المبحث الخامس

عقيدته في السحريات

(١) السحر :

ابن قتيبة رحمه الله تعالى يعتقد بإثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة فقد ذكره الله في كتابه وذكره الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديثه الصحاح وشاهده كثير من العقلاء في أنفسهم وفي أولادهم . يدل على هذا قوله - في رده على المنكرين بأن للسحر حقيقة - : (وذهبوا في السحر إلى أنه حيلة يصرف بها وجه المرء عن أخيه ويفرق بها بين المرء وزوجه كالتمايم والكذب ومنه السم يسقاه الرجل فيقطعه عن النساء ويغير خلقه وينثر شعره ولحيته وإلى أن سحرة فرعون خيلوا لموسى صلى الله عليه وسلم ما أروه قالوا ومثل ذلك أنا نأخذ الزيتق فنفرغه في وعاء كالحية ثم نرسله في موضع حار فينسب إنسياب الحية ونحن نقول أن الذي يذهب هذا مخالفٌ للمسلمين واليهود والنصارى وجميع أهل الكتب ومخالف للأمم كلها . الهند وهي أشدها إيماناً بالرقى والروم والعرب في الجاهلية وفي الإسلام ومخالف للقرآن معاند له بغير تأويل لأن الله جلّ وعزّ قال لرسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ﴾ فاعلمنا أن السواحر ينفثن في عقد يعقدنها لما يتفل الراقي والمعوذ ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضة والمستعضة . يعني بالعاضة الساحرة والمستعضة التي تسألها أن

تسحر لها . وقال الشاعر : (أعوذ بربي من النافثات في عقد العاضة المعضة . يعني السواحر . وقد روى ابن نمير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها - وهذا طريق مرضي صحيح - أنه قال حين سحر جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما ما وجع بالرجل ؟ قال مطبوب . فقال من طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم قال في أي شيء ؟ قال في مشط ومشاطه وجف طلعة ذكر قال وأين هو ؟ قال في بشر ذي أروان^(١) قال أبو محمد وهذا شيء لم تؤمن به من جهة القياس ولا من جهة العقل وإنما آمنا به من جهة الكتب وأخبار الأنبياء صلى الله عليهم وسلم وتواطؤ الأمم في كل زمان عليه خلا هذه العصابة التي لا تؤمن إلا بما أوجبه النظر ودل عليه القياس فيما شاهدوا ورأوا^(٢) . وما يعتقد ابن قتيبة في باب السحر هو ما عليه علماء السلف الصالح . يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : (وقد دل قوله تعالى : ﴿ ومن شر النفاثات في العقد ﴾ وحديث عائشة في سحر النبي صلى الله عليه وسلم على تأثير السحر وأن له حقيقة وقد أنكر ذلك طائفة من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وقالوا أنه لا تأثير للسحر البتة لا في مرض ولا قتل ولا حل ولا عقد وقالوا إنما ذلك تخيل لأعين الناظرين لا حقيقة له سوى ذلك وهذا خلاف ما تواترت به الآثار عن الصحابة والسلف واتفق عليه الفقهاء وأهل التفسير والحديث وما يعرفه عامة العقلاء والسحر الذي يؤثر مرضاً وثقلاً وعقداً وجباً وبغضاً ونزيفاً وغير ذلك من الآثار موجود تعرفه عامة الناس وكثير منهم قد علمه ذوقاً بما أصيب به منه وأما ما يقوله المنكرون من أن سحرة فرعون فعلوا في الحبال والعصي ما أوجب حركتها ومشيتها مثل الزئبق وغيره حتى سعت فهذا باطل من وجوه كثيرة فإنه لو كان كذلك لم يكن هذا خيالاً بل حركة حقيقية . ولم يكن ذلك سحراً لأعين الناس ولا يسمى ذلك سحراً بل صناعة من

(١) أخرجه البخاري في صحيحه باب السحر (٤ : ٢٠) .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ١٧٩ ، ١٨٧) وقارن بما في تأويل مشكل القرآن (ص ١١٦) .

الصناعات المشتركة وقد قال تعالى : ﴿ فإذا جبالهم وعصيتهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى . . طه : ٦٦ ، ولو كانت تحركت بنوع حيلة كما يقول المنكرون لم يكن هذا من السحر في شيء ومثل هذا لا يخفى وأيضاً لو كان ذلك بحيلة كما قال هؤلاء لكان طريق إبطالها إخراج ما فيها من الزئبق وبيان ذلك المحال ولم يحتاج إلى القاء العصا لابتلاعها وأيضاً فمثل هذه الحيلة لا يحتاج فيها الى الاستعانة بالسحرة بل يكفي فيها حذاق الصانع ولا يحتاج في ذلك الى تعظيم فرعون للسحرة وخضوعه لهم ووعدهم بالتقريب والجزاء وأيضاً فإنه لا يقال في ذلك إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فإن الصناعات يشترك الناس في تعلمها وتعليمها وبالجمل فطلان هذا أظهر من أن يتكلف (١) .

ويقول القرطبي في تفسيره ما ملخصه :

ذهب أهل السنة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة وذهب عامة المعتزلة إلى أن السحر لا حقيقة له وإنما هو تمويه وتخيل ولا حجة لهم فقد ثبت أمور جاوزها العقل وورد بها السمع فمن ذلك ما جاء في القرآن الكريم : ﴿ يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت . . البقرة : ١٠٢ . فلو لم يكن له حقيقة لن يمكن تعليمه ولا أخبر سبحانه أنهم يعلمون الناس فدل على أن له حقيقة ومن ذلك سورة الفلق مع إتفاق المفسرين على أن سبب نزولها ما كان من سحر لبيد بن الأعصم - الحديث . وفيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لما حل السحر أن الله شفاني .

والشفاء إنما يكون برفع العلة وزوال المرض فدل على أن له حقاً وحقيقة فهو مقطوع به بأخبار الله ورسوله على وجوده ووقوعه وعلى هذا أهل

(١) تفسير المعوذتين لابن القيم ص ٣٧ ، ٣٨ وقارن بما في تفسير أضواء البيان للشنقيطي ٤٥٥/٤ والبحر المحيط ٣٢٧/١ وفتح الباري لابن حجر ١٠/٢٠١ .

الحل والعقد الذين ينبعد بهم الإجماع ولا عبرة مع اتفاقهم بحثالة المعتزلة ومخالفتهم للحق^(١) .

(٢) سؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه :

ابن قتيبة رحمه الله تعالى يعتقد أن الإنسان في قبره إما منعم أو معذب وأنه يأتيه فيه ملكان فيسألونه كما ورد بذلك الكتاب والسنة الصحيحة يدل على هذا قوله في الإنكار على المعتزلة : (وبمثل هذا النظر أنكروا عذاب القبر ومساءلة الملكين وحياة الشهداء عند ربهم يرزقون وأنكروا إصابة العين ونفع الرقي والعود وعزيف الجنان وتخبط الشيطان وتغول الغيلان . . . وأخشى أن يكون معتقد هذا والقائل به يرقق عن صبح ويسر حسواً في ارتغاء^(٢) وما على من آمن بالبعث بعد الممات أن يؤمن بعذاب البرزخ وقد خبر به الرسول صلى الله عليه وسلم وقوله قاضٍ على الكتاب^(٣) وبمساءلة الله يوم القيامة أن يؤمن بمساءلة الملكين في القبر^(٤) .

وقوله : (ونحن نقول أنه إذا جاز في المعقول وصح في النظر وبالكتاب والخبر أن الله تعالى يبعث من في القبور بعد أن تكون الأجساد قد بليت والعظام قد رمت جاز أيضاً في المعقول وصح في النظر وبالكتاب والخبر أنهم يعذبون بعد الممات في البرزخ . فأما الكتاب فإن الله تعالى يقول : ﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ . غافر : ٤٦ ، فهم يعرضون بعد مماتهم على النار غدواً وعشياً قبل يوم القيامة ويوم القيامة يدخلون أشد العذاب . . . وأما الخبر فقول النبي صلى الله عليه وسلم في جعفر بن أبي طالب أنه يطير مع الملائكة في

(١) يتصرف من تفسير القرطبي (٢ : ٤٤) .

(٢) يضرب مثلاً لمن يظهر أمراً وهو يريد غيره . انظر اللسان (١٩ : ٤٦) .

(٣) يعني أنه مبين له وموضح .

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص ١١٦ - ١٢٠) .

الجنة وتسميته له ذا الجناحين^(١) وكثرة الأخبار عنه في منكر ونكير^(٢) وفي عذاب القبر وفي دعائه : (أعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من عذاب القبر ومن فتنة المسيح الدجال^(٣) وهذه الأخبار صحاح لا يجوز على مثلها التواطؤ وإن لم يصح مثلها لم يصح شيء من أمور ديننا^(٤) . ومعتقد ابن قتيبة في هذا الباب هو معتقد السلف الصالح فإن الذين رووا عن الإمام أحمد بن حنبل عقيدته كأحمد بن جعفر بن يعقوب وعبدوس بن مالك ومحمد ابن عوف كلهم يذكرون عنه أنه كان يقول : (وعذاب القبر حق وسؤال الملكين حق^(٥)) .

ويقول الإمام الأشعري في كتابه الإبانة الذي رجع فيه الى معتقد السلف : (وأنكرت المعتزلة عذاب القبر وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة وروي عن أصحابه رضي الله عنهم وما روي عن أحد منهم أنه أنكره ونفاه وجحدته فوجب أن يكون إجماعاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم^(٦) والأدلة الثابتة على عذاب القبر أشهر من أن تذكر لكثرتها وشهرتها فمنها ما رواه ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ بقبرين فقال أنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ثم دعا بجريدة رطبة فشققها نصفين فقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا^(٧)) .

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک وقال على شرط الشيخين (٣ : ٢٠٩) .
(٢) أخرج الترمذي وأبي حاتم حديث تسمية الملكين بمنكر ونكير وقال الألباني إسناده حسن وفيه رد على من أنكر من المعاصرين تسمية الملكين بمنكر ونكير . انظر هامش (ص ٤٥٠) من شرح العقيدة الطحاوية تحقيق الألباني .

(٣) صحيح البخاري كتاب الدعوات (٤ : ١٠٨) .

(٤) تأويل مختلف الحديث (ص ١٥١ - ١٥٢) .

(٥) انظر طبقات الحنابلة (١ : ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٣١٠) .

(٦) الإبانة للأشعري (ص ٦٥) .

(٧) صحيح البخاري باب النميمة من الكبائر (٤ : ٥٩) .

ومنها حديث قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أن الميت إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه أنه ليسمع خفق نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله قال فيقولان أنظر الى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعاً وأما الكافر والمنافق فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقولان لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطراق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة فيسمعها من عليها غير الثقلين^(١) .

وهذه الأحاديث صحيحة بإجماع علماء الحديث^(٢) وقد قال البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه : (باب ما جاء في عذاب القبر)^(٣) وباب التعوذ من عذاب القبر^(٤) وباب (عذاب القبر من الغيبة والبول)^(٥) وأورد تحت هذه العناوين جملة من الأحاديث الصحيحة المثبتة لذلك تركنا إيرادها بكاملها لأجل الاختصار . والله تعالى أعلم .

(٣) العرش والكرسي :

إبن قتيبة رحمه الله تعالى يؤمن بأن لله عرشاً قد آستوى عليه سبحانه وأن له كرسيّاً كما جاء في الكتاب والسنة يدل على هذا ما قاله رحمه الله تعالى في رده على المعتزلة ومن نهج نهجهم الذين يؤولون العرش بالملك والكرسي بالعلم إذ يقول : (. . . . ولو أن هؤلاء رجعوا إلى فطرهم وما ركبت عليه خلقتهم من معرفة الخالق سبحانه لعلموا أن الله تعالى هو العلي

-
- (١) صحيح البخاري كتاب الجنائز (١ : ٢٣١) .
(٢) انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٣ : ١٨٣ - ١٩٢) .
(٣) صحيح البخاري كتاب الجنائز (١ : ٢٣٧) .
(٤) صحيح البخاري (١ : ٢٣٩) .
(٥) صحيح البخاري (١ : ٢٣٩) .

وهو الأعلى وهو بالمكان الرفيع وأن القلوب عند الذكر تسمو نحوه والأيدي ترفع بالدعاء إليه ومن العلوي رجى الفرج ويتوقع النصر وينزل الرزق وهنالك الكرسي والعرش والحجب والملائكة (١) .

ويقول عنهم وطلبوا للعرش معنى غير السرير والعلماء باللغة لا يعرفون للعرش معنى إلا السرير وما عرش من السقوف وأشباهاها قال تعالى : ﴿ ورفع أبويه على العرش ﴾ يوسف : ١٠٠ ، وقال أمية بن الصلت :

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيراً
بالبناء الأعلى الذي سبق لنا سوسى فوق السماء سريرا
- شرجعا ما يناله بصر العـنـ تـرى دونه الملائك صورا

وطلبوا للكرسي غير ما نعلم وجاءوا بشطر بيت لا يعرف ما هو ولا يدري من قائله وهو قول الشاعر : ولا يكرسى علم الله مخلوق .

كأنه عندهم ولا يعلم علم الله مخلوق والكرسي غير مهموز بإجماع الناس ويكرسىء مهموز (٢) . واعتقاد ابن قتيبة هذا في العرش والكرسي هو اعتقاد السلف الصالح رضوان الله عليهم . يقول الإمام أحمد بن حنبل : (وخلق الله سبع سموات بعضها فوق بعض وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام وبين كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة عام والماء فوق السماء العليا السابعة وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء والله عز وجل على العرش والكرسي موضع قدميه وهو يعلم ما في السموات والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى) (٣) .

ويقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : (العرش ثابت بالكتاب والسنة

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٧٢) .

(٢) ملخصاً من اختلاف اللفظ لابن قتيبة (ص ٢٤٠) ، تأويل مختلف الحديث (ص ٦٧) ،

(٢٧٤) .

(٣) طبقات الحنابلة لابي يعلى (١ : ٢٨) .

وإجماع سلف الأمة وأئمتها وكذلك الكرسي ثابت بالكتاب والسنة وإجماع جمهور السلف وقد نقل عن بعضهم^(١) أن كرسيه علمه وهو قول ضعيف فإن علم الله وسع كل شيء كما قال ﴿ ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً ﴾ غافر : ٧ ، والله يعلم نفسه ويعلم ما كان وما لم يكن فلو قيل وسع علمه السموات والأرض لم يكن هذا المعنى مناسباً لا سيما وقد قال تعالى : ﴿ ولا يؤده حفظهما ﴾ البقرة : ٢٥٥ ، أي لا يثقله ولا يكرثه وهذا يناسب القدرة لا العلم . والآثار الماثورة تقتضي ذلك ولكن الآيات والأحاديث في العرش أكثر من ذلك وهي صريحة متواترة وقال بعضهم أن الكرسي هو العرش لكن الأكثرون على أنهما شيئان^(٢) . والآيات والأحاديث في إثبات العرش والكرسي كثيرة مشهورة منها قوله تعالى : ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ هود : ٧ ، وقوله : ﴿ وترى الملائكة حافين من حول العرش ﴾ الزمر : ٧٥ ، . وقوله : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ﴾ غافر : ٧ ، . وقوله : ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ الحاقة : ١٧ ، وقوله : ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم ! ﴾ البقرة : ٢٥٥ ، ومن الأحاديث ما رواه جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم إهتز له عرش الرحمن . وهذا الحديث رواه كثير من أهل السنة منهم البخاري ومسلم ورواه غير جابر بن عبد الله عشرة من الصحابة^(٣) وروي عن ابن عباس أنه قال الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله وعن

(١) هو ابن عباس رضي الله عنه . انظر تفسير ابن كثير (١ : ٤٥٧) وعنه رواية أخرى بأن الكرسي موضع القدمين للرحمن وهذه الرواية قال عنها الحاكم صحيحة على شرط الشيخين ولم يخالفه الذهبي رحمه الله . انظر المستدرک (٢ : ٢٨٢) ولعل الرواية الأولى لم تصح عن ابن عباس والله أعلم .

(٢) الفتاوى الكبرى (٦ : ٥٨٤) .

(٣) انظر الكلام مستوفى على هذا الحديث في تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (١٠ : ٣٤٧) وهو في باب مناقب سعد بن معاذ في الصحيح (٢ : ٣١٣)

إبن مسعود أنه قال بين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي الى الماء خمسمائة عام والعرش على الماء والله فوق العرش ويعلم ما أنتم عليه^(١) . والله تعالى أعلم .

(٤) نزول عيسى عليه السلام :

إبن قتيبة رحمة الله عليه يعتقد أن عيسى عليه السلام في السماء حي لم يموت وأنه ينزل آخر الزمان ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليهما وسلم يدل على هذا قوله : ﴿ أن عيسى ينزل في آخر الزمان علماً للساعة ﴾ قال الله تعالى : ﴿ وأنه لعلم للساعة ﴾ الزخرف : ٦١ ، وإذا نزل المسيح عليه السلام لم ينسخ شيئاً مما أتى به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتقدم الإمام من أمته بل يقدمه ويصلي خلفه^(٢) . وقوله في تفسير قوله تعالى : ﴿ إني متوفيك ورافعك إلي . ﴾ آل عمران : ٥٥ ، أي قابضك من الأرض من غير موت وقوله تعالى : ﴿ وأن من أهل الكتاب إلا ليوثن به قبل موته . ﴾ النساء : ١٥٩ ، يريد ليس من أهل الكتاب في آخر الزمان عند نزوله أحد إلا آمن به حتى تكون الملة واحدة ثم يموت عيسى^(٣) .

وما يعتقدده إبن قتيبة رحمة الله عليه في عيسى عليه السلام هو اعتقاد السلف الصالح رضوان الله عليهم وليتضح ذلك أختصر من أقوال أشهرهم ما يلي :

قال الإمام أحمد بن حنبل (أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والإقتداء بهم وترك البدع . . . والإيمان أن المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه كافر والأحاديث التي

(١) رد الدارمي عثمان بن سعيد علي المريسي العنيد ضمن مجموعة عقائد السلف (ص ٤٢٨) .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ١٨٨) .

(٣) انظر غريب القرآن (ص ١٠٦ ، ١٣٧) .

جاءت فيه والإيمان بأن ذلك كائن وأن عيسى ينزل فيقتله بباب لد (١).

ويقول الأشعري : (عند كلامه عن عقيدة أهل السنة والجماعة « ويصدقون بخروج الدجال وأن عيسى بن مريم عليه السلام يقتله » (٢) .

ويقول الإمام الطحاوي (٣) : (ونؤمن بأسراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء) (٤) .

ويقول القاضي عياض في شرح صحيح مسلم : (نزول عيسى وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك وليس في العقل ولا في الشرع ما يطلعه فوجب إثباته وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم وزعموا أن هذه الأحاديث مردوده بقوله تعالى : ﴿ وخاتم النبیین ﴾ ويقول صلى الله عليه وسلم لا نبي بعدي وبإجماع المسلمين أنه لا نبي بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأن شريعته مؤبدة الى يوم القيامة وهذا استدلال فاسد لأنه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أنه ينزل نبياً بشرع ينسخ شرعنا ولا في هذه الأحاديث ولا في غيرها شيء من هذا بل صحت هذه الأحاديث هنا وما سيق في كتاب الإيمان وغيره أنه ينزل حكماً مقسطاً يحكم شرعنا ويحيي من أمور شرعنا ما هجره الناس . ا . هـ

نقل قول القاضي عياض النووي في شرح مسلم ووافقه عليه (٥) .

(١) طبقات الحنابلة (١ : ٢٤٣) .

(٢) مقالات الإسلاميين (١ : ٣٤٨) .

(٣) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي نسبة إلى قرية بصعيد مصر ولد سنة ٢٣٩ وتفق على خاله إسماعيل بن يحيى المزني أفضه أصحاب الإمام الشافعي . قال عنه الذهبي الفقيه المحدث الحافظ أحد الأعلام وكان ثقة ثباتاً فقيهاً عاقلاً وقال ابن كثير هو أحد الأثبات الثقات والحفاظ الجهابذة من مصنفاته العقيدة الطحاوية وكتاب مشكل الآثار . توفي سنة ٣٢١ هـ . انظر ترجمته في مقدمة شرح الطحاوية بتحقيق الألباني (ص ١٠) .

(٤) شرح الطحاوية (ص ٥٦٤) .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي . كتاب الفتن (١٨ : ٧٥) .

ونختتم لأقوال السلف بما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (فإنه سئل عن رجلين تنازعا في أمر نبي الله عيسى بن مريم فقال أحدهما أن عيسى بن مريم توفاه الله ثم رفعه إليه وقال الآخر بل رفعه حياً فما الصواب في ذلك وهل رفعه بجسده أو روحه ؟ فأجاب الحمد لله عيسى عليه السلام حي وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وثبت في الصحيح عنه أنه قال ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق وأنه يقتل الدجال^(١) . ومن فارقت روحه جسده لم ينزل جسده من السماء وإذا أحيي فإنه يقوم من قبره . وأما قوله تعالى : ﴿إني متوفيك ورافعك إلی...﴾ آل عمران : ٥٥ ، فهذا دليل على أنه لم يعن بذلك الموت إذ لو أراد بذلك الموت لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين فإن الله يقبض أرواحهم ويعرج بها إلى السماء ولم يكن له في ذلك خاصية ولو كان قد فارقت روحه جسده لكان بدنه في الأرض كبदन سائر الأنبياء أو غيره من الأنبياء وقد اختلفوا في الآية الأخرى : ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه ..﴾ النساء : ١٥٧ .

فقوله هنا بل رفعه الله إليه يبين أنه رفع بدنه وروحه كما ثبت في الصحيح أنه ينزل بدنه وروحه إذ لو أريد موته لقال وما قتلوه وما صلبوه بل مات فقوله بل رفعه الله إليه يبين أنه رفع بدنه وروحه^(٢) وقال في موضع آخر : (وعيسى حي في السماء لم يمست بعد وإذا نزل من السماء لم يحكم إلا بالكتاب

(١) انظر هذه الأحاديث مع شرحها في صحيح مسلم للنووي في كتاب الفتن . باب ذكر الدجال (ص ٦٦ - ٧٦) وفي صحيح البخاري باب نزول عيسى عليه السلام (٢ : ٢٥٦) مع اختلاف في بعض الألفاظ .

(٢) الفتاوى الكبرى (٤ : ٣٢٣) .

والسنة لا بشيء يخالف ذلك^(١) والأحاديث المثبتة لنزول عيسى وحكمه
بشريعة محمد وقتله للدجال كثيرة جداً تركت ذكرها إيثاراً للإختصار فقد قال
عنها محدث الديار الشامية في العصر الحاضر ناصر الدين الألباني والشيخ
عبد الله بن محمد الصديق الغماري بأنها بلغت حد التواتر . وتتبع الغماري
طرقها فقال إنها بلغت أربعين حديثاً وأثراً^(٢) . والله تعالى أعلم .

(١) الفتاوى الكبرى (٤ : ٣١٦) .

(٢) انظر عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام للغماري ، وهامش شرح الطحاوية
بتحقيق الألباني (ص ٥٦٥) .

المبحث السادس

عقيدته في الإمامة

(١) إمامة قریش :

ابن قتيبة رحمة الله عليه يعتقد أن من شرط الإمام أن يكون قرشياً يدل على هذا المعتقد قوله : (. . . ومن ذا من المسلمين يصح عقده يقدم على قریش أو يعادل بها وقد قضى الله لها بالفضل على جميع الخليقة إذ جعل الأئمة منها والإمامة فيها مقصورة عليها لا تكون لغيرها وهذا نص ليس فيه حيلة لمتأول . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأئمة من قریش . .)^(١) .

وما يعتقد ابن قتيبة في الإمامة هو عقيدة جماهير المسلمين يقول الإمام النووي عند شرحه للأحاديث التي أوردها الإمام مسلم في كتاب الإمارة وهي حديث : (الناس تبع لقریش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم) وحديث : (لا يزال هذا الأمر في قریش ما بقي من الناس إثنان) هذه الأحاديث وأشباهاها دليل ظاهر أن الخلافة مختصة بقریش لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة وكذلك

(١) رسالة الرد على الشيعية ضمن رسائل البلغاء لمحمد كرد علي (ص ٣٧٤) والحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلفظ : (لا يزال هذا الأمر في قریش ما بقي منهم اثنان) مناقب قریش (٢ : ٢٦٥) .

من بعدهم ومن خالف فيه من أهل البدع أو عرض بخلاف من غيرهم فهو محجوب باجماع الصحابة والتابعين فمن بعدهم وبالأحاديث الصحيحة قال القاضي عياض إشتراط كونه قرشياً هو مذهب العلماء كافة وقد احتج به أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على الأنصار يوم السقيفة فلم ينكره أحد وقد عدّها العلماء في مسائل الإجماع ولم ينقل عن أحد من السلف فيها قول ولا فعل يخالف ما ذكرنا وكذلك من بعدهم في جميع الأعصار ولا اعتداد بقول النظام ومن وافقه من الخوارج وأهل البدع أنه يجوز كونه من غير قریش) (١) .

وقال ابن حجر رحمه الله : (ذهب جمهور أهل العلم أن شرط الإمام أن يكون قرشياً ونقل قول القاضي عياض المتقدم) (٢) .

وقد نقل ابن القيم رحمه الله في كتابه حادي الأرواح معتقداً أهل السنة والجماعة عن (حرب) - صاحب الإمام أحمد - وجاء فيه : (... والخلافة في قریش ما بقي من الناس إثنان وليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها ولا نخرج عليهم ولا نقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة ...) (٣) .

ونقل أحمد بن جعفر الإصطخري عن الإمام أحمد هذا المعتقد بحروفه (٤) .

(٢) الخروج على السلطان :

ابن قتبية رحمة الله عليه يرى عدم الخروج على السلطان وأن جار كما يرى أنه لا يطاع في معصية الله تعالى فهو يقول : (... إنهم إن أطيعوا في الذي يأمرهم به من معصية الله تعالى وظلم الرعية وسفك الدماء بغير حقها غوى مطيعهم وأن عصوا فخرج عليهم وشقت عصا المسلمين كما فعل

(١) النووي بشرح مسلم (١٢ : ٢٠٠) .

(٢) فتح الباري (١٣ : ١٠٦) .

(٣) حادي الأرواح (ص ٢٩٥) .

(٤) انظر طبقات الحنابلة (١ : ٢٦) .

الخوارج ضل عاصيهم . . . فلا يعمل لهم ولا يخرج عليهم^(١) . ويقول :
 (. . .) وأما قوله صلوا خلف كل بر وفاجر ولا بد من إمام بر أو فاجر فإنه يريد
 السلطان الذي يجمع الناس ويؤمهم في الجمع والأعياد يريد لا تخرجوا عليه
 ولا تشقوا العصا ولا تفارقوا جماعة المسلمين وإن كان سلطانكم فاجراً فإنه لا
 بد من إمام بر أو فاجر ولا يصلح الناس إلا على ذلك ولا ينتظم أمرهم^(٢)
 وما ذهب إليه ابن قتيبة رحمه الله من إعتقاد ترك الخروج على الإمام الجائر
 هو مذهب أهل الحديث وطائفة من العلماء . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :
 (مذهب أهل الحديث ترك الخروج بالقتال على الملوك البغاة والصبر على
 ظلمهم إلى أن يستريح بر أو يستراح من فاجر)^(٣) . وهذا الإعتقاد هو ما
 حكاه ابن القيم عن حرب صاحب الإمام أحمد وذكر حرب أن هذا اعتقاد
 أهل السنة والحديث إذ قال : (والجهد ماضٍ قائم مع الأئمة بروا أو فجروا
 لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل والجمعة والعيان والحج مع السلطان وإن
 لم يكونوا بررة عدولاً أتقياء ودفع الصدقات والخراج والأعشار والفيء والغنائم
 إليهم عدلوا فيها أو جاروا والإنقياد لمن ولاء الله عز وجل أمركم لا تنزع يداً
 من طاعته ولا تخرج عليه بسيف حتى يجعل الله لك فرجاً ومخرجاً ولا تخرج
 على السلطان وتسمع وتطيع ولا تنكث بيعته فمن فعل ذلك فهو مبتدع
 مخالف مفارق للجماعة وإن أمرك السلطان بأمر فيه لله معصية فليس لك أن
 تطيعه البتة وليس لك أن تخرج عليه ولا تمنعه حقه)^(٤) .

ومثل هذا قول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب لما سأله أهل
 القصيم عن عقيدته فقال : (. . .) وأرى الجهاد ماضياً مع كل إمام برأً كان أو
 فاجراً وصلاة الجماعة خلفهم جائزة والجهاد ماضٍ منذ بعث الله محمداً

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٠٤) .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ١٥٤) .

(٣) الفتاوى الكبرى (٤ : ٤٤٤) .

(٤) حادي الأرواح لابن القيم (ص ٢٩٥) .

صلى الله عليه وسلم إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمرُوا بمعصية الله ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به أو غلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته وحرم الخروج عليه (١).

ونقل النووي رحمه الله تعالى عن القاضي عياض ما ملخصه : (أن الأمة أجمعت على وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وعلى تحريمها في معصية الله تعالى وأجمعت الأمة على أن الإمامة لا تنعقد لكافر وأنه لو طرأ عليه الكفر أو ترك إقامة الصلوات والدعاء إليها أو طرأ عليه تغيير للشرع خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر ولا يجب في المبتدع إلا إذا ظنوا القدرة عليه فإن تحققوا العجز لم يجب القيام وبهاجر المسلم عن أرضه إلى غيرها ويفر بدينه ولا تنعقد لفاسق ابتداء فلو طرأ على الخليفة فسق قال بعضهم يجب خلعه إلا أن تترتب عليه فتنة وحرب وقال جماهير أهل السنة لا ينزل بالفسق ولا يجوز الخروج عليه بل يجب وعظه وتخويله بالله (٢).

وبهذا يتضح أن ابن قتيبة رحمه الله سائر على مذهب أهل السنة والحديث في باب الخروج على السلطان الجائر وأنه يطاع في طاعة الله ولا يطاع في معصيته ولا يعان على معصية ولا يخرج عليه . والله تعالى أعلم .

(٣) القتال في الفتنة :

ابن قتيبة رحمه الله تعالى يرى وجوب الكف في الفتنة وعدم القتال لأنه لا يعرف المحق من المبطل في الفتنة ويجب على العبد أن يجعل دمه دون

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١ : ٣٠) .

(٢) ملخصاً من شرح النووي على مسلم (١٢ : ٢٢٢ ، ٢٢٩) .

دينه إذ يقول - في الرد على من زعم أن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل دون ماله فهو شهيد^(١) مناقض لقوله صلى الله عليه وسلم كن حلس بيتك فإن دخل عليك فأدخل مخدعك فإن دخل عليك فقل بؤ يا ثمي وكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل - (ونحن نقول أن لكل حديث موضعاً غير موضع الآخر فإذا وضعاً بموضعيهما زال الاختلاف لأنه أراد بقوله : (من قتل دون ماله فهو شهيد)^(٢) من قاتل اللصوص عن ماله حتى يقتل في منزله وفي أسفاره . وأراد بقوله (كن حلس بيتك فإن دخل عليك فأدخل مخدعك فإن دخل عليك فقل بؤ يا ثمي وإثمك وكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل أي لفعل هذا في زمن الفتنة واختلاف الناس على التأويل وتنازع سلطانيين كل واحد منهما يطلب الأمر ويدعيه لنفسه بحجة يقول فكن حلس بيتك في هذا الوقت ولا تسل سيفاً ولا تقتل أحداً فإنك لا تدري من المحق من الفريقين ومن المبطل واجعل دمك دون دينك وفي مثل هذا الوقت قال : (القاتل والمقتول في النار)^(٣) فأما قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ أَحَدُهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ . . . الْحَجَرَات : ٩ ، فإنه أمر بذلك الجميع منا بعد الإصلاح وبعد البغي وأمر الواحد والإثنين والثلاثة إذا لم يجتمع ملؤنا على الإصلاح بينهما أن نلزم منازلنا ونقي أدياننا بأموالنا وأنفسنا)^(٤) . وهذا الاعتقاد وهو ترك القتال في الفتنة إذا لم يتضح المحق من المبطل هو مذهب أهل الحديث وأكثر أهل العلم . يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : (. . .) والذين قعدوا عن القتال هم جملة أعيان الصحابة كسعد وزيد وابن عمرو وأسامة ومحمد بن مسلمة وأبي بكر وهم يروون النصوص عن النبي

(١) صحيح البخاري (٢ : ٧٣) ، سنن أبي داود (٥ : ١٢٨) .

(٢) مسند أحمد بن حنبل (٤ : ٤٠٨) ، أبو داود داود (٤ : ٤٥٦) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الايمان (١ : ١٥) .

(٤) تأويل مختلف الحديث (ص ١٥٥ ، ١٥٦) .

صلى الله عليه وسلم في القعود عن القتال في الفتنة وهذا مذهب أهل الحديث وعامة أئمة السنة (١). ويقول أيضاً : (ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة وترك القتال في الفتنة) (٢) .

ويقول حرب صاحب الإمام أحمد بن حنبل في نقله لمذهب أهل الحديث والسنة : (. . . والإمساك في الفتنة سنة ماضية واجب احترامها فإن ابتليت فقدّم نفسك دون دينك ولا تعن على الفتنة بيد ولا لسان ولكن أكفف لسانك ويدك وهواك والله المعين) (٣) .

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى - في شرحه لقول الرسول صلى الله عليه وسلم - الذي رواه البخاري في باب الفتن : (ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه فمن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به) ، (. . . وفيه التحذير من الفتنة والحث على اجتناب الدخول فيها وأن شرّها يكون بحسب التعلق بها والمراد بالفتنة ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك حيث لا يعلم المحق من المبطل . قال الطبري اختلف السلف فحمل ذلك بعضهم على العموم وهم من قعد عن الدخول في القتال بين المسلمين مطلقاً كسعد وابن عمر ومحمد بن مسلمة وأبي بكره وآخرين وتمسكوا بالظواهر المذكورة وغيرها ثم اختلف هؤلاء فقالت طائفة بلزوم البيوت وقالت طائفة بالتحول عن بلد الفتن أصلاً ثم اختلفوا فمنهم من قال إذا هجم عليه شيء من ذلك يكف يده ولو قتل ومنهم من قال بل يدافع عن نفسه وعن ماله وعن أهله وهو معذور ان قتل أو قتل . وقال آخرون إذا بغت طائفة على الإمام فامتنعت من الواجب عليها ونصبت الحرب وجب قتالها وكذلك لو تحاربت طائفتان وجب على كل

(١) الفتاوى الكبرى (٤ : ٤٣٩) .

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية نشرها الدكتور صلاح الدين المنجد في مجلة

التوعية الإسلامية العدد الثاني في ١٣ ذي القعدة ١٣٩٩هـ (ص ٣٧) .

(٣) حادي الأرواح لابن القيم (ص ٢٩٥) .

قادر الأخذ على يد المخطيء ونصر المصيب وهذا قول الجمهور وفصل آخرون فقالوا كل قتال وقع بين طائفتين من المسلمين حيث لا إمام للجماعة فالقتال حينئذ ممنوع وتنزل الأحاديث في هذا الباب وغيره على ذلك وهو قول الأوزاعي . قال الطبري والصواب أن يقال أن الفتنة أصلها الإبتلاء وإنكار المنكر واجب على كل من قدر عليه فمن أعان المحق أصاب ومن أعان المخطيء أخطأ وإن أشكل الأمر فهي الحالة التي ورد النهي عن القتال فيها^(١).

(١) فتح الباري (١٣ : ٢٦) .

الباب الرابع

دفاعه عن مصائد العقيدة

تمهيد :

- الفصل الأول : دفاعه عن الكتاب العزيز .
- الفصل الثاني : دفاعه عن السنة المطهرة .

مهم

الصراع بين الحق والباطل مستمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها
ولأصحاب الباطل خطط وأساليب لمحاربة الحق فإن قوي ساعدهم نازلوه في
الميدان واجتهدوا في تحطيمه وإن ظهر الحق رغم أنوفهم وكانوا في حال
ضعف رجعوا إلى أساليب ملتوية . من أخطرها أن يلبسوا لباس الحق
ويتظاهروا بمظهر أهله المدافعين عنه ثم ينفثوا حقد قلوبهم في طيات حديثهم
وقد يحاربونه جهرة باللسان إن أمنوا العاقبة وقد راع ابن قتيبة أن يجد هذا
الصف من الناس - أصحاب القلوب المريضة - يشككون في مصادر العقيدة -
الكتاب والسنة - ويطعنون على حملتها من الصحابة الاجلاء والمحدثين
الفضلاء وغرضهم الخبيث إسقاط ثقة الناس بكتاب الله العزيز وبالسنة
المطهرة وبالسند الحامل لهما ولكن الله رد كيدهم في نحورهم فدين الله
محفوظ ولن يمحي هذا الدين من الأرض حتى تقوم الساعة وإن كانوا قد
أضلوا خلقاً كثيراً .

والحقيقة أن الطعن في كتاب الله أو في سنة رسوله صلى الله عليه
وسلم طعن في الدين بأكمله وقد جعل الله تعالى الرد إليهما شرط الإيمان
فقال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ النساء : ٥٩ ، والرد إلى الرسول
صلى الله عليه وسلم بعد وفاته هو الرد إلى سنته . يقول ابن القيم في هذه

الآية : (أن قوله فإن تنازعتم في شيء نكرة في سياق الشرط تعم كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين دقة وجله جليه وخفيه ولو لم يكن في كتاب الله ورسوله بيان حكم ما تنازعوا فيه ولم يكن كافياً لم يأمر بالرد إليه إذ من الممتنع أن يأمر تعالى بالرد عند النزاع إلى من لا يوجد عنده فصل النزاع . . . والله قد جعل هذا الرد من موجبات الإيمان ولوازمه فإذا انتفى هذا الرد انتفى الإيمان . ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء لازمه ولا سيما التلازم بين هذين الأمرين فإنه من الطرفين وكل منهما ينتفي بانتفاء الآخر ثم أخبرهم أن هذا الرد خير لهم وأن عاقبته أحسن عاقبة ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حكم الطاغوت وتحاكم إليه والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله) (١) .

والذي نقل إلينا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم فهم السند الذي انتقل إلينا الدين به والطعن فيهم طعن في الدين . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (فإن القدح في خير القرون الذين صحبوا الرسول قدح في الرسول عليه السلام كما قال مالك وغيره من أئمة العلم (هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما طعنوا في أصحابه ليقول القائل : رجل سوء كان له أصحاب سوء ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين) وأيضاً فهؤلاء هم الذين نقلوا القرآن والإسلام وشرائع النبي صلى الله عليه وسلم . . . فالقدح فيهم يوجب أن لا يوثق بما نقلوه من الدين) (٢) .

وقد استهدف الإسلام للأعداء - كما أسلفت - وكان لهم في عصر ابن

(١) أعلام الموقعين لابن القيم (١ : ٥٠) .

(٢) الفتاوى الكبرى (٤ : ٤٢٩) .

قتيبة نشاط ملحوظ وهم فئات مختلفة فمنهم الزنادقة الذين صرّحوا بالطعن في كتاب الله ورموه بالتناقض والاختلاف وباللحن بل اتّهموا الله في حكمته فقالوا ماذا أراد بإنزال المتشابه في القرآن من أراد لعباده الهدى والبيان ومنهم الرافضة الذين لم يجروا على التصريح بتكذيب القرآن لشناعة هذا عند الناس فسلكوا مسلك التفسير للقرآن بمعان لا تحتملها أساليب اللغة العربية ولم تعرف لا عن الله ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا عن التابعين لهم بإحسان ومنهم الجهمية ومن نهج منهجهم من أهل الكلام فإنهم فسّروا القرآن بأعجب تفسير لتصحيح ما ذهبوا إليه من معتقدات وإن كان يوجد من بين هؤلاء من أولوا القرآن على غير تأويله باجتهاد منهم وحسن نية إلا أنه قد دخل معهم كثير من الزنادقة والرافضة بخبث طوية لأن المنهج الذي سار عليه الجهمية يخدم أغراض الزنادقة والرافضة وذلك لتوسّعهم في التأويل والتحاكم إلى العقل البشري واعتماد قواعد المنطق في الجدل وقد تصدّى هؤلاء على اختلاف طوائفهم كثير من علماء الإسلام من قبل ابن قتيبة وبعده ومن أشهرهم امام أهل السنة أحمد بن حنبل في كتابه القيم الرد على الزنادقة والجهمية وعثمان بن سعيد الدارمي في رده على المريسي العنيد^(١) وقد حذا ابن قتيبة رحمه الله تعالى حذو أحمد بن حنبل في الدفاع عن مصادر العقيدة (الكتاب والسنة) فألف كتابيه تأويل مشكل القرآن وغريب القرآن وتعرض لطعن الزنادقة في كتاب الله بالابطال وألف كتابه تأويل مختلف الحديث وتعرض لطعن الرافضة والجهمية في السنة المطهرة والصحابة الكرام والمحدثين وأهل السنة بالنقض والإبطال وألف أيضاً كتابه في الرد على الشعوبية الذين يبغضون العرب لأنهم هم الذين حملوا الإسلام وفتحوا به البلدان وأزالوا أمم الشرك عن أماكنها وقد كان دفاعه رحمه الله يتخذ أشكالا مختلفة تعرض لبعضها فيما يأتي .

(١) طبع هذان الكتابان ضمن مجموعة عقائد السلف التي جمعها علي سامي الشيار وعمار جمعي الطالبي عام ١٩٧١م ونشرتها منشأة المعارف بالإسكندرية .

الفصل الأول

دفاعه عن الكتاب العزيز

أولاً :

إن الزنادقة استغلوا بعض الأساليب العالية الواردة في القرآن الكريم والتي لا يفهمها إلا العلماء خاصة بعد تفشي العجمة في الناس فأخذوا يطعنون على القرآن بوجود هذه الأساليب ولكن ابن قتيبة رحمة الله تعالى عليه قطع الطريق على الزنادقة فأحصى قدراً كبيراً من غريب القرآن وشرحه في كتاب أسماه غريب القرآن حتى يكون الناس على معرفة تامة بمعاني كتاب الله تعالى فلا تروج عليهم شبه المبطلين وكذلك فعل في كتابه القيم تأويل مشكل القرآن وهذه الطريقة التي اتبعها ابن قتيبة من أحسن الطرق في قمع الباطل فإن من وضح للناس الحق فقد أعطاهم مناعة ضد الباطل فلا يؤثر فيهم غالباً . ولنضرب على ذلك مثلاً ليتضح للقارئ طريقة ابن قتيبة رحمة الله عليه في تزييف باطل الزنادقة فهو يقول : (وقد قال قوم بقصور العلم وسوء النظر في قوله تعالى : ﴿ وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال ﴾ الكهف : ١٧ ، وما في هذا الكلام من الفائدة ؟ وما في الشمس إذا مالت بالغداة والعشي عن الكهف من الخبر ؟) .

ونحن نقول وأي شيء أولى بأن يكون فائدة من هذا الخبر وأي معنى

الطف مما أودع الله هذا الكلام ؟ وإنما أراد عز وجل أن يعرفنا لطفه للفتية وحفظه إياهم في المهجع وإختياره لهم أصلح المواضع للرقود فأعلمنا أنه بوأهم كهفاً في مقناة الجبل مستقبلاً بنات نعش فالشمس تزور عنه وتستدبره طالعةً وجارية وغاربةً ولا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرّها وتلفحهم بسمومها وتغيّر ألوانهم وتبلي ثيابهم وإنهم كانوا في فجوة من الكهف أي متسع منه ينالهم فيه نسيم الريح وبردها وينفي عنهم غمة الغار وكربه (١).

ثانياً :

إستغل الزنادقة خلاف الصحابة رضوان الله تعالى عليهم في قراءة بعض الحروف كقراءة ابن عباس ﴿ وادكر بعد امه .. ﴾ يوسف : ٤٥ ، وغيره يقرأ (وادكر بعد امة) وكقراءة عائشة ﴿ إذ تلقونه .. ﴾ النور : ١٥ ، وغيرها يقرأ (إذ تلقونه) فقالوا إن في كتاب الله اختلافاً وقد كذبوا وخسثوا فإن الله تعالى يقول : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً .. ﴾ النساء : ٨٢ ، ويقول : ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. ﴾ فصلت : ٤٢ ، وقد ردّ عليهم ابن قتيبة رحمه الله تعالى من وجوه عدة منها :

(أ) ان الإختلاف نوعان اختلاف تغاير واختلاف تضاد فاختلف التضاد لا يجوز ولست واجده بحمد الله في شيء من القرآن إلا في الأمر والنهي من الناسخ والمنسوخ . وإختلاف التغاير جائز وذلك مثل قوله : (وادكر بعد امة أي بعد حين وبعد أمه أي بعد نسيان له والمعنيان جميعاً وإن اختلفا صحيحان لأنه ذكر أمر يوسف عليه السلام بعد حين وبعد نسيان له فأنزل الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بالمعنيين جميعاً في غرضين . وكقوله إذ تلقونه بألستكم أي تقبلونه وتقولونه وتلقونه من

(١) تاويل مشكل القرآن (ص ٩) .

الولق وهو الكذب والمعنيان جميعاً وإن اختلفا صحيحان لأنهم قبلوه وقالوه وهو كذب فأنزل الله على نبيه بالمعنيين جميعاً في غرضين .

(ب) إن اختلاف الصحابة في القراءة لا يدل على أن في كتاب الله اختلافاً كما زعمت الزنادقة لأن القرآن نزل على سبعة أحرف كما جاء في الحديث^(١) وكل هذه الحروف كلام الله تعالى نزل به الروح الأمين على رسوله عليه السلام وذلك أنه كان يعارضه في كل شهر من شهور رمضان وينسخ الله ما يشاء وييسر على عباده ما يشاء فكان من تيسيره أن أمره بأن يقرئ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم فالهذلي يقرأ حتى يريد حتى حين لأنه هكذا يلفظ بها ويستعملها والأسدي يقرأ تعلمون وتعلم وتسود وجوه والم أعهد إليكم . والتميمي يهمز والقرشي لا يهمز ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة وتذليل للسان وقطع للعادة فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعاً في اللغات ومتصرفاً في الحركات^(٢) .

ثالثاً :

لقد رد ابن قتيبة على الزنادقة برد عقلي مفحم لو كانوا يعقلون فهو يقول : (وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله بأفهام كليله وأبصار عليلة ونظر مدخول فحرفوا الكلم عن مواضعه وعدّلوه عن سبله ثم قضوا عليه بالتناقض والإستحالة واللحن وفساد النظم والإختلاف وأولوا في ذلك بعلم ربما أمالت

(١) صحيح البخاري باب انزال القرآن على سبعة أحرف (٣ : ٢٢٦) .

(٢) . ملخصاً من تأويل مشكل القرآن (ص ٣٦ ، ٣٨) .

الضعيف الغمر والحدث الغرّ واعترضت بالشبه في القلوب وقدحت بالشكوك في الصدور ولو كان ما نحلوا إليه على تقريرهم وتأولهم لسبق إلى الطعن به من لم يزل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم يحتج عليه بالقرآن ويجعله العلم لنبوته والدليل على صدقه ويتحداه في موطن بعد موطن على أن يأتي بسورة من مثله . وهم الفصحاء والبلغاء والخطباء والشعراء والمخصوصون من بين جميع الأنام بالألسنة الحداد واللدد في الخصام مع اللب والنهي وأصالة الرأي وقد وصفهم الله بذلك في غير موضع من الكتاب وكانوا مرة يقولون هو سحر ومرة يقولون هو قول الكهنة ومرة أساطير الأولين ولم يحك الله تعالى عنهم ولا بلغنا في شيء من الروايات أنهم جذبوه من الجهة التي جذبته منها الطاعنون (١) .

رابعاً :

زعم الزنادقة أن كتاب الله متناقض وقد تعلقوا بعدة آيات مثل قوله تعالى : ﴿ فيومئذ لا يسئل عن ذنبه أنس ولا جان .. ﴾ الرحمن : ٣٩ ، قالوا : انه مناقض لقوله تعالى : ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون .. ﴾ الحجر : ٩٢ ، وقالوا أن قوله تعالى : ﴿ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون .. ﴾ المرسلات : ٣٥ ، مناقض لقوله : ﴿ ثم أنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون .. ﴾ الزمر : ٣١ ، وقالوا : إن قوله تعالى : ﴿ واقبل بعضهم على بعض يتساءلون .. ﴾ الصافات : ٢٧ ، مناقض لقوله تعالى : ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون .. ﴾ المؤمنون : ١٠١ ، وقالوا أن قوله تعالى : ﴿ ليس لهم طعام إلا من ضريع .. ﴾ الغاشية : ٦ ، مناقض لقوله تعالى : ﴿ فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام إلا من غسلين ﴾ الحاقة : ٣٦ ، إلى غير هذه من الآيات التي

(١) تاويل مشكل القرآن (ص ٢٢) .

قال عنها الزنادقة بفهمهم المدخول وأبصارهم الكلييلة إنها متناقضة^(١) وقد ردّ عليهم ابن قتيبة رحمه الله في جملة ما قالوه وبين وجه الصواب فيما حاولوا التشكيك فيه فقال : (فأما ما نحلوه من التناقض في مثل قوله تعالى : ﴿ فيومئذ لا يسئلك عن ذنبه أنس ولا جان .. ﴾ الرحمن : ٣٩ ، وهو يقول في موضع آخر : ﴿ فوركك لنسألهم أجمعين عما كانوا يعملون .. ﴾ الحجر : ٩٢ ، فالجواب في ذلك أن يوم القيامة يكون كما قال الله تعالى : ﴿ مقداره خمسين ألف سنة .. ﴾ المعارج : ٤ ، ففي مثل هذا اليوم يسألون وفيه لا يسألون لأنهم حين يعرضون يوقفون على الذنوب ويحاسبون فإذا انتهت المسألة ووجبت الحجة وانشقت السماء فكانت وردة كالدهان انقطع الكلام وذهب الخصام واسودت وجوه قوم وابتضت وجوه آخريين وعرف الفريقان بسيماهم وتطايرت الصحف من الأيدي فأخذ ذات اليمين إلى الجنة وأخذ ذات الشمال إلى النار وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله : ﴿ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جان .. ﴾ الرحمن : ٣٩ ، قال هو موطن لا يسألون فيه ومثله ﴿ ولا يسئلك عن ذنوبهم المجرمون .. ﴾ القصص : ٧٨ ، وقوله : ﴿ لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد .. ﴾ ق : ٢٨ ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون .. ﴾ الموسلات : ٣٥ ، وهو يقول في موضع آخر : ﴿ ثم أنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ... ﴾ الزمر : ٣١ ، ويقول : ﴿ هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .. ﴾ البقرة : ١١١ ، فالجواب عن هذا كله نحو جوابنا الأول لأنهم يختصمون ويدعي المظلومون على الظالمين ففي تلك الحال يختصمون فإذا وقع القصاص وثبت الحكم قيل لهم لا تختصموا ولا تنطقوا ولا تعتذروا فليس ذلك بمغبن عنكم ولا نافع لكم فيخسئون .

وأما قوله تعالى : ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتسائلون .. ﴾

(١) انظر شبه الزنادقة ورد ابن قتيبة عليهم في تأويل مشكل القرآن (ص ٥ : ١٣٤) .

الصفات : ٢٧ ، وهو يقول في موضع آخر : ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون .. ﴾ المؤمنون : ١٠١ ، فإنه إذا نفخ في الصور نفخة واحدة تقطعت الأرحام وبطلت الأنساب وشغلوا بأنفسهم عن التساؤل وصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله فإذا نفخ فيه أخرى قاموا ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقالوا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون .

وأما قوله تعالى : ﴿ ليس لهم طعام إلا من ضريع .. ﴾ الغاشية : ٦ ، وهو يقول في موضع آخر : ﴿ فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام إلا من غسلين .. ﴾ الحاقة : ٣٦ ، فإن النار دركات والجنة درجات وعلى قدر الذنوب والحسنات تقع العقوبات والمثوبات فمن أهل النار من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه غسلين ومنهم من شرابه الحميم ومنهم من شرابه الصديد^(١) وينحو جواب ابن قتيبة هذا أجاب الإمام أحمد في رده على الزنادقة^(٢) .

خامساً :

لقد طعن الزنادقة على كتاب الله بوجود المتشابه فيه فقالوا : ماذا أراد بإنزال المتشابه في القرآن من أراد بالقرآن لعباده الهدى والتبيان فدافع ابن قتيبة عن كتاب الله بما ملخصه (إن القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها ومذاهبها في الإيجاز والاختصار والإطالة والتوكيد والإشارة إلى الشيء وإغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليه إلا سريع الفهم وإظهار بعضها وضرب الأمثال لما خفي ولو كان القرآن كله ظاهراً مكشوفاً حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل لبطل التفاضل بين الناس

(١) بتصرف من تأويل مشكل القرآن (ص ٦٥ - ٦٨) .

(٢) انظر كتاب الرد على الزنادقة والجهمية لابن حنبل (ص ٥٤ ، ٦١) ضمن مجموعة عقائد السلف .

وسقطت المحنة وماتت الخواطر وكل باب من أبواب العلم من الفقه والحساب والفرائض والنحو فمنه ما يجلُّ ومنه ما يدقُّ ليرتقي المتعلم فيه رتبة بعد رتبة حتى يبلغ منتهاه ويدرك أقصاه وتكون للعالم فضيلة النظر وحسن الإستخراج ولتقع المثوبة من الله على حسن العناية ولو كان كل من المعلوم شيئاً واحداً لم يكن عالم ولا متعلم ولا خفي ولا جلي لأن فضائل الأشياء تعرف بأضدادها فالخير يعرف بالشر والنفع بالضر والقليل بالكثير والصغير بالكبير وعلى هذا المثال كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام صحابته والتابعين وأشعار الشعراء وكلام الخطباء ليس منه شيء إلا وقد يأتي فيه المعنى اللطيف الذي يتحير فيه العالم المتقدم ويقرُّ بالقصور عنه النساب المبرز ولسنا ممن يزعم إن المتشابه في القرآن لا يعلمه الراسخون في العلم وهذا غلط من متأوليه على اللغة والمعنى ولم ينزل الله شيئاً من القرآن إلا لينفع به عباده ويدل به على معنى أراداه فلو كان متشابه لا يعلمه غيره للزمنا للطاعن مقال وتعلق علينا بعله وهل يجوز لأحد أن يقول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف المتشابه إذا جاز أن يعرفه جاز أن يعرفه الربانيون من صحابته فقد علم عليا التفسير ولو لم يكن للراسخين في العلم حظ في المتشابه إلا أن يقولوا : ﴿آمنا به كل من عند ربنا . . ﴾ آل عمران : ٧ ، لم يكن للراسخين فضل على المتعلمين بل على جهلة المسلمين لأنهم جميعاً يقولون ﴿آمنا به كل من عند ربنا ﴾ ولم نر المفسرين توقفوا عن شيء عن القرآن فقالوا هذا متشابه لا يعلمه إلا الله بل أمره كله على التفسير حتى فسروا الحروف المقطعة في أوائل السور مثل البر ، وحم ، وطه ، وأشباه ذلك^(١) . وقد ذهب إلى قول ابن قتيبة هذا في تفسير المتشابه وإنه يعلمه العلماء شيخ الإسلام ابن تيمية وقال أن هذا القول اختيار كثير من أهل السنة^(٢) . والله تعالى أعلم .

(١) مختصراً من تأويل مشكل القرآن (ص ٨٦ - ١٠٠) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٧ : ٣٩١) .

سادساً :

زعم الزنادقة ان كتاب الله قد نقص منه وغير محتجين بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنه قام إليه رجل فقال : يا رسول الله نشدتك بالله إلا قضيت بيننا بكتاب الله فقام خصمه وكان أفقه منه فقال : صدق أقض بيننا بكتاب الله واثذن لي فقال : قل قال : أن أبني كان عسيفاً على هذا فزني بامرأته فافتديت منه بمائة شاة وخادم ثم سألت رجلاً من أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام وعلى امرأة هذا الرجم فقال : والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله المائة الشاة والخادم رد عليك وعلى إبنك جلد مائة وتغريب عام وعلى امرأة هذا الرجم فأغدوياً أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فأرجمها فغدا عليها فاعترفت فرجمها^(١) فقالوا : إنا لا نجد الرجم والتغريب في كتاب الله فدل على أنه نقص منه وغير ويرد عليهم ابن قتيبة بقوله : (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد بقوله لأقضين بينكما بكتاب الله ههنا القرآن وإنما أراد لأقضين بينكما بحكم الله تعالى والكتاب يتصرف على وجوه منها الحكم والفرض كقوله عز وجل : ﴿ كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم . . . النساء : ٢٤ ، أي فرض الله عليكم وكقوله تعالى : ﴿ كتب عليكم القصاص . . . البقرة : ١٧٨ ، أي فرض عليكم وكقوله تعالى : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ﴾ أي حكمنا وفرضنا^(٢) وليس غرضي هنا البحث في حكم الرجم والتغريب حتى أبين من أين أخذ الحكم وإنما غرضي عرض صور من دفاع ابن قتيبة عن الكتاب العزيز ضد هجمات الزنادقة وكافة المغرضين سواء استكمل الدفاع أم قصر في شيء منه فحسبه أنه دافع بما استطاع .

(١) صحيح البخاري كتاب الحدود (٤ : ١٧٨) .

(٢) غريب الحديث (١ : ٢٦٨) ، تأويل مختلف الحديث (ص ٩٤) .

سابعاً :

كما دافع ابن قتيبة عن كتاب الله ضد الزنادقة دافع عنه ضد الجهمية والرافضة فإنهم حرقوه وأولوه على غير تأويله فهو يقول عن الجهمية : (وفسروا القرآن بأعجب تفسير يريدون أن يردوه إلى مذاهبهم ويحملوا التأويل على نحلهم فقال فريق منهم في قوله تعالى : ﴿وسع كرسيه السموات والأرض...﴾ البقرة : ٢٥٥ ، أي علمه^(١) وقال فريق منهم في قوله تعالى : ﴿ولقد هممت به وهم بها...﴾ يوسف : ٢٤ ، إنها هممت بالفاحشة وهم هو بالفرار منها أو الضرب لها والله تعالى يقول : ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾ افتراه أراد الفرار منها أو الضرب لها فلما رأى البرهان أقام عندها وقال فريق منهم في قوله تعالى : ﴿وعصى آدم ربه فغوى أنه اتخم من أكل الشجرة﴾^(٢) إلى غير هذه من الآيات التي حرفها الجهمية عن معناها الصحيح وقد تعرضنا لردوده عليهم رحمة الله عليه في ثنايا هذا البحث ويقول عن الرافضة وأعجب من هذا التفسير (يعني تفسير الجهمية) تفسير الروافض للقرآن وما يدعونه من علم باطنه بما وقع إليهم من الجفر وهو جلد جفر ادّعوا إنه كتب فيه لهم الإمام كل ما يحتاجون إلى علمه وكل ما يكون إلى يوم القيامة فمن ذلك قولهم في قول الله عز وجل : ﴿وورث سليمان داود...﴾ النمل : ١٦ ، أنه الإمام وورث النبي صلى الله عليه وسلم علمه وقولهم في قول الله عز وجل : ﴿ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة...﴾ البقرة : ٦٧ ، أنها عائشة رضي الله عنها وفي قوله تعالى : ﴿فقلنا اضربوه ببعضها...﴾ البقرة : ٧٣ ، أنه طلحة والزبير وقولهم في الخمر والميسر أنهما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما والجبت والطاغوت إنهما معاوية وعمرو بن العاص مع

(١) ونقل هذا التأويل عن ابن عباس ولكن الراجح عنه أنه قال الكرسي موضع القدمين للرحمن .

انظر مبحث الكرسي فيما تقدم .

(٢) ملخصاً من تأويل مختلف الحديث (ص ٦٧ ، ٦٨) .

عجائب أرغب عن ذكرها وهم أكثر أهل البدع افتراقاً ولا نعلم في أهل البدع والأهواء أحداً ادعى الربوبية لبشر غيرهم فإن عبد الله بن سبأ ادعى الربوبية لعلي ولا نعلم أحداً ادعى النبوة لنفسه غيرهم ، فإن المختار بن أبي عبيد ادعى النبوة لنفسه وقال إن جبريل وميكائيل يأتیان إلى جهته فصدقه قوم واتبعوه وهم الكيسانية^(١) .

وبعد فهذا الذي ذكرته عن دفاع ابن قتيبة عن الكتاب العزيز إنما هو غيض من فيض يوضح للقارىء منهج ابن قتيبة في الرد على الزنادقة الزاعمين بأن كتاب الله يناقض بعضه بعضاً أو المؤلفين له على غير تأويله والله تعالى أعلم .

(١) ملخصاً من تأويل مختلف الحديث (ص ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣) .

الفصل الثاني

دفاعه عن السنة المطهرة

كما حاول الزنادقة وأعداء الإسلام التشكيك في كتاب الله الكريم ورموه بالتناقض والإختلاف وانساق وراءهم أغمار من الناس لا علم لهم بالكتاب الكريم كذلك فعلوا مع السنة المطهرة فزعموا أن كثيراً من الأحاديث يناقض بعضها بعضاً وأن كثيراً منها تخالف العقل والنظر ولكي يلغوا حجة السنة قدحوا في خبر الأحاد وقالوا لا نقبل إلا الخبر المتواتر واشتروطوا للتواتر شروطاً لا تنطبق إلا على التزر اليسير من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم كقولهم أن من شروط اليقين بالخبر أن يكون رواه عشرون أو ثلاثون أو سبعون^(١) . ونحو هذه الإشتراطات التي لم يدل عليها دليل .

وحرفوا معاني الأحاديث الثابتة لكي توافق أهواءهم ونظروا في سند الشريعة الإسلامية فإذا هم الصحابة وأهل الحديث الذين تلقوا الشريعة مشافهة وحفظوها ونقلوها للناس فقدحوا في الصحابة وقدحوا في أهل الحديث ليشككوا في سند الشريعة الإسلامية فإذا شك الناس في السند شكوا في المتن ولما رأوا أن كتاب الله محفوظ بحفظ الله من الزيادة والنقصان عمدوا إلى السنة الغراء فشوهوا جمالها بالأحاديث الموضوعة على رسوله صلى الله عليه وسلم ولكن الله رد كيدهم في نحورهم فقيض لدينه من يذب

(١) مذكرة أصول الفقه للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ص ١٠٠) .

عنه وينفي عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ومنهم ابن قتيبة رحمه الله فإنه ذو غيرة إسلامية على معتقده . ونلخص دفاعه عن السنة المطهرة فيما يلي :

أولاً :

إن من منهج الزنادقة أنهم يستغلون بعض الألفاظ الغريبة الواردة في الأحاديث والتي يدق فهمها إلا على العلماء فيحرفونها عن معناها الصحيح الذي أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم مستغلين لطف العبارة ودقة الإشارة في التلبس على الجاهل وعلى عوام المسلمين من أجل هذا وغيره صنف ابن قتيبة كتابه غريب الحديث وشرح فيه مجموعة كبيرة من الأحاديث النبوية والآثار السلفية التي قد يستعصي فهمها على العامة . فإن توضيح المعنى الصحيح للناس يكون سداً منيعاً في وجوه خفافيش الشبه والتأويلات الزائفة .

ثانياً :

إن ابن قتيبة تتبع الأحاديث التي غالباً ما يذكرها أصحاب الأهواء في موضع التناقض وبين معانيها الصحيحة وأفسد محاولتهم إرباك أفهام الناس والتشويش عليهم من ذلك قولهم رويتم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا الدهر فإن الله تعالى هو الدهر^(١) . فوافقتم في هذه الرواية الدهرية وبين ابن قتيبة رحمه الله تعالى ما المراد من الحديث وأنه على خلاف ما ظنوه فيقول : (ونحن نقول أن العرب في الجاهلية كانت تقول أصابني الدهر في مالي بكذا ونالني قوارع الدهر وبوائقه ومصايبه . ويقول الهرم حناني الدهر فينسبون كل شيء تجري به أقدار الله عز وجل عليهم من موت

(١) رواه أحمد في المسند (٥ : ٢٩٩) .

أو سقم أو ثكل أو هرم إلى الدهر ويقولون لعن الله الدهر ويسمونه المنور لأنه جالب المنون عليهم عندهم والمنون المنية) . قال أبو ذؤيب :

أمن المنون وريبة تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

... وقد حكى الله عن أهل الجاهلية ما كانوا عليه من نسب أقدار الله عز وجل وأفعاله إلى الدهر فقال : ﴿ وقالوا أن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم أن هم إلا يظنون ﴾ الجاثية : ٢٤ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تسبوا الدهر إذا أصابتكم المصائب وتنسبوها إليه فإن الله عز وجل هو الذي أصابكم بذلك لا الدهر فإذا سببتم الفاعل وقع السب بالله عز وجل ألا ترى أن الرجل منهم إذا أصابته نائبة أو جاثحة في مال أو ولد أو بدن فسب فاعل ذلك به وهو ينوي الدهر أن المسبوب هو الله عز وجل ^(١) وابن قتيبة له في هذا اللون من الدفاع عن السنة النبوية اليد الطولى فإن كتابه تأويل مختلف الحديث من أشهر ما ألف في هذا المضمار وفيه يبين بأن أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتناقض لأنه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى وإنما أوتي - الذين تصوروا تناقضها من أهل الأهواء - من سوء فهمهم أو سوء معتقدتهم فجراه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً .

ثالثاً :

لقد ذاب أصحاب الأهواء على أطراح الأحاديث التي تخالف أهواءهم محتجين لذلك بأن حجة العقل أو القياس والنظر تقضي بعدم قبولها فبين ابن قتيبة بأن الفساد في عقولهم وفي مقاييسهم وأنظارهم لا في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك قولهم حديث يكذبه النظر رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بأصواع من شعير فيا

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٢٣) .

سبحان الله أما كان في المسلمين مواس ولا مؤثر ولا مقرض وقد أكثر الله عز وجل الخير وفتح عليهم البلاد وجبوا ما بين أقصى اليمن إلى أقصى البحرين وأقصى عمان ثم بياض نجد والحجاز وهذا مع أموال الصحابة كعثمان وعبد الرحمن وفلان وفلان فأين كانوا قالوا وهذا كذب وقائله أراد مدحه النبي صلى الله عليه وسلم بالزهد والفقر وليس هكذا تمدح الرسل وكيف يجوع من يجهز الجيوش ومن يسوق المثنى من البدن وله مما أفاء الله عليه مثل فذلك وغيرها . . وقد رد عليهم ابن قتيبة بقوله : ونحن نقول أنه ليس في هذا ما يستعظم بل ما ينكر لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤثر على نفسه بأمواله ويفرقها على المستحقين من أصحابه وعلى الفقراء والمساكين وفي النوائب التي تنوب المسلمين ولا يرد سائلاً ولا يعطي إذا وجد إلا كثيراً ولا يضع درهماً فوق درهم وقالت له أم سلمة : يا رسول الله أراك ساهم الوجه أمن علة فقال : لا ، ولكنها السبعة الدنانير التي أتينا بها أمس نسيتهما في خصم الفراش فبت ولم أقسمها^(١) وقد يأتي على البخيل الموسر تارات لا يحضره فيها مال وله الضيعة والأثاث والديون فيحتاج إلى أن يقترض وإلى أن يرهن فكيف بمن لا يبقى له درهم ولا يفضل عن مواساته ونوائبه زاد وكيف يعلم المسلمون وأهل اليسار من صحابته بحاجته إلى الطعام وهو لا يعلمهم ولا ينشط في وقته ذلك اليهم وقد نجد هذا بعينه في أنفسنا وأشباهنا من الناس ونرى الرجل يحتاج إلى الشيء فلا ينشط فيه إلى ولده ولا إلى أهله ولا إلى جاره ويبيع العلق^(٢) ويستقرض من الغريب والبعيد وإنما رهن درعه عند يهودي لأن اليهود في عصره كانوا يبيعون الطعام ولم يكن المسلمون يبيعونه لنهي عن الاحتكار فما الذي أنكروه من هذا حتى أظهروا التعجب منه وحتى رمى بعض المارقة الأعمش بالكذب من أجله^(٣) وقال بعض العلماء

(١) رواه أحمد في المسند (٦ : ٢٩٣ ، ٣١٤) .

(٢) العلق : النفيس . مختار الصحاح (ص ٤٧٥) .

(٣) تأويل مختلف الحديث (ص ١٤٣ ، ١٤٦) .

والحكمة في عدوله صلى الله عليه وسلم عن معاملة مياسير الصحابة إلى معاملة اليهود إما لبيان الجواز أو لأنهم لم يكن عندهم إذ ذاك طعام فاضل عن حاجتهم أو خشي أنهم لا يأخذون منه ثمناً أو عوضاً^(١) ومن ذلك قولهم أيضاً حديث يكذبه النظر فقد رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا فجعلتم الله تعالى يمل إذا ملوا والله تعالى لا يمل على كل حال ولا يكل » ويرد عليهم ابن قتيبة قائلاً : ونحن نقول أن التأويل لو كان على ما ذهبوا إليه كان عظيماً من الخطأ فاحشاً ولكنه أراد أن الله سبحانه لا يمل إذا ملتم ومثل هذا قولك في الكلام هذا الفرس لا يفتر حتى تفتر الخيل لا تريد بذلك أنه يفتر إذا فترت ولو كان هذا هو المراد ما كان له فضل عليها لأنه يفتر معها فاية فضيلة له وإنما تريد أنه لا يفتر إذا فترت وكذلك تقول في الرجل البليغ في كلامه والمكثار الغزير فلان لا ينقطع حتى تنقطع خصومه تريد أنه لا ينقطع إذا انقطعوا ولو أردت أنه ينقطع إذا انقطعوا لم يكن له في هذا القول فضل على غيره ولا وجبت له به مدحه^(٢) .

وقال بعض العلماء أن معناه أن الله سبحانه لا يغضب عليكم ولا يقطع عنكم ثوابه حتى تتركوا العمل وتزهّدوا في سؤاله والرغبة إليه^(٣) والظاهر أن قوله صلى الله عليه وسلم لن يمل الله حتى تملوا مثل قوله تعالى : ﴿ نسوا الله فأنسيهم أن المنافقين هم الفاسقون ﴾ . . . التوبة : ٩ ، وهذا في القرآن والسنة كثير والله تعالى أعلم .

رابعاً :

بين ابن قتيبة أن خبر الواحد الصادق مقبول وأن الذين أنكروا حججه

(١) انظر تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (٤ : ٤٠٦) .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ٣٥٠) .

(٣) كتاب مشكل الحديث لابن فورك (ص ١٢٢) .

إنما غرضهم إسقاط معظم أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسخر من أقوالهم واختلافاتهم في هذا الصدد إذ يقول : (. . . .) وقال آخر يثبت بعشرين رجلاً) لقول الله تعالى : ﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين . . ﴾ الأنفال : ٦٥ ، وقال آخر يثبت بسبعين رجلاً كقول الله عز وجل : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا . . ﴾ الأعراف : ١٥٥ ، فجعلوا كل عدد ذكر في القرآن حجة في صحة الخبر . ولو قال قائل أن الخبر لا يثبت إلا بثمانية لقول الله تعالى في أصحاب الكهف وهم الحجة على أهل ذلك الزمان : ﴿ سبعة وثامنهم كلبهم . . ﴾ الكهف : ٢٢ ، ولا يجوز أن يكونوا ثمانية حتى يكون الكلب ثامنهم أو قال لا يثبت الخبر إلا بتسعة عشر لقول الله تعالى في خزنة جهنم حين ذكرها فقال : ﴿ عليها تسعة عشر . . ﴾ المدثر : ٣٠ ، لكان أيضاً قولاً وعدداً مستخرجاً من القرآن . . وهذه الاختيارات إنما اختلفت هذا الاختلاف لاختلاف عقول الناس وكل يختار على قدر عقله ولو رجعوا الى أن الله تعالى إنما أرسل الى الخلق كافة رسولاً واحداً وأمرهم باتباعه وقبول قوله وأنه لم يرسل اثنين ولا أربعة ولا عشرين ولا سبعين في وقت واحد لدلهم ذلك على أن الصادق العدل صادق الخبر كما أن الرسول الواحد المبلغ عن الله تعالى صادق الخبر^(١) .

يقول الشنقيطي : والتعبد بخبر الواحد سمعاً فهو قول الجمهور خلافاً لأكثر القدرية وبعض أهل الظاهر . . . وأن للجمهور دليلين قاطعين على التعبد به شرعاً :

الأول : إجماع الصحابة رضي الله عنهم في وقائع لا تنحصر على قبوله .

الثاني : ما تواتر من إنفاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراءه ورسله وقضاته وسعاته الى الأطراف لتبليغ الأحكام والقضاء وتبليغ رسالته ومن

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٦٦) .

المعلوم أنه كان يجب عليهم تلقي ذلك بالقبول ليكون مفيداً والنبي صلى الله عليه وسلم مأمور بتبليغهم الرسالة ولم يكن ليبلغها بمن لا يكتفي به وهذا دليل قاطع على قبول أخبار الأحاد^(١) . ويقول الشافعي لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد^(٢) وقد بوب البخاري على ذلك في صحيحه فقال : (باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق وأورد رحمه الله ما يدل على ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية)^(٣) .

خامساً:

دافع ابن قتيبة رحمه الله عن سند الشريعة الإسلامية فأنكر على الذين يطعنون في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسقطوا عدالتهم كما فعل النظام المعتزلي^(٤) الذي طعن في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال كيف يقول أجرؤكم على الفتيا في الجدل أجرؤكم على النار ثم يقضي فيه بمائة قضية مختلفة . وقال في أبي بكر الصديق رضي الله عنه كيف لما سئل عن آية من كتاب الله قال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني أم أين أذهب أم كيف أصنع إذا أنا قلت في آية من كتاب الله تعالى بغير ما أراد الله ثم سئل عن الكلاله فقال أقول فيها برأيي فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأ فمني (هي ما دون الولد والوالد) وأكذب ابن مسعود رضي الله عنه لروايته حادثة إنشقاق القمر في مكة معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم^(٥) . وقد رد عليه ابن قتيبة قائلاً : هذا قوله في جلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم كأنه لم يسمع بقول الله عز وجل في كتابه الكريم : ﴿ محمد

(١) مذكرة أصول الفقه للأمين الشنقيطي (ص ١٠٩) .

(٢) الرسالة للشافعي (ص ٤٥٨) .

(٣) صحيح البخاري (٤ : ٢٥٢) .

(٤) تقدمت ترجمته في (ص ١٢٧) .

(٥) انظر تأويل مختلف الحديث (ص ٢٠ ، ٢١) .

رسول الله والذين معه . . ﴿ الفتح : ٢٩ ، الى آخر السورة ولم يسمع بقوله تعالى : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم . . ﴾ الفتح : ١٨ ، . . . ولا شيء أعجب عندي من ادعائه على عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قضى في الجدل بمائة قضية مختلفة وهو من أهل النظر وأهل القياس فهلا اعتبر هذا ونظر فيه ليعلم أنه يستحيل أن يقضي عمر في أمر واحد بمائة قضية مختلفة فأين هذه القضايا وأين عشرها ونصف عشرها أما كان في حملة الحديث من يحفظ منها خمساً أو ستاً ولو اجتهد مجتهد أن يأتي من القضاء في الجدل بجميع ما يمكن فيه من قول وحيلة ما كان يتيسر له أن يأتي فيه بعشرين قضية وكيف لم يجعل هذا إذ كان مستحيلاً مما ينكر من الحديث ويدفع وما ذاك إلا لضغن يحتمله على عمر رضي الله عنه وعداوة . وأما طعنه على أبي بكر رضي الله عنه بأنه سئل عن آية من كتاب الله تعالى فاستعظم ذلك ثم قال في الكلاله برأيه فإن أبا بكر رضي الله عنه سئل عن شيء من متشابه القرآن العظيم الذي لا يعلم تأويله إلا الراسخون في العلم . فأحجم عن القول فيه مخافة أن يفسره بغير مراد الله تعالى^(١) . وأفتى في الكلاله برأيه لأنه أمر ناب المسلمين واحتاجوا إليه في موارثهم وقد أبيع له إجتهد الرأي فيما لم يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه شيء ولم يأت له في الكتاب شيء كاشف وهو إمام المسلمين ومفزعهم فيما ينوبهم فلم يجد بداً من أن يقول . وكذلك قال عمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم حين سئلوا وهم الأئمة والمفزع إليهم عند النوازل . فماذا كان ينبغي لهم أن يفعلوا عنده أيدعون النظر في الكلاله وفي الجدل إلى أن يأتي هو وأشباهه فيتكلموا فيها ؟ ثم طعنه على عبد

(١) قال ابن كثير : (وقال ابو عبيد القاسم بن سلام : حدثنا محمد بن يزيد حدثنا العوام بن حوشب عن ابراهيم التيمي قال : سئل ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى : ﴿ وفاكهة وابا ﴾ فقال اي سماء تظلني وأي ارض إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم وهذا منقطع بين ابراهيم التيمي والصديق .
انظر تفسير ابن كثير (٨ : ٣٤٨) .

الله بن مسعود رضي الله عنه بالكذب . ليس إكذاباً لابن مسعود ولكنه بخس
لعلم النبوة وإكذاب للقرآن العظيم لأن الله تعالى يقول اقتربت الساعة وانشق
القمر^(١) .

سادساً :

لقد اتهم المعتزلة ومن سار سيرهم من أهل الأهواء أهل الحديث بأنهم
حملوا الكذب والمتناقض وبذوهم بألفاظ شائنة كقولهم الحشوية والنايتة
والغناء والغتر لينفروا الناس منهم . فإذا نفر الناس منهم كرهوا ما أتوا به من
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دافع ابن قتيبة عن أصحاب
الحديث الذين حملوا السنة المطهرة فقال : فأما أصحاب الحديث فإنهم
التمسوا الحق من وجهته وتبعوه من مظانه وتقربوا من الله تعالى باتباعهم سنن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبهم لاثارة وأخباره براً وبحراً وشرقاً وغرباً
يزحل الواحد منهم راجلاً مقوياً في طلب الخبر الواحد أو السنة الواحدة حتى
يأخذها من الناقل لها مشافهة ثم لم يزالوا في التنقير عن الأخبار والبحث لها
حتى فهموا صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها وعرفوا من خالفها من
الفقهاء إلى الرأي فنبهوا على ذلك حتى نجم الحق بعد أن كان عافياً ويسق
بعد أن كان دارساً واجتمع بعد أن كان متفرقاً وانقاد للسنن من كان عنها
معرضاً وتنبه لها من كان عنها غافلاً وحكم بقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد أن كان يحكم بقول فلان وفلان وإن كان فيه خلاف على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد يعيهم الطاعنون بحملهم الضعيف وطلبهم
الغرائب وفي الغريب الداء ولم يحملوا الضعيف والغريب لأنهم رأوها حقاً
بل جمعوا الغث والسمين والصحيح والسقيم ليميزوا بينهما ويدلوا عليهما وقد
فعلوا ذلك . . . وكذلك هذه الأحاديث التي يشنع بها عليهم من عرق
الخيول وزغب الصدر وقفص الذهب وعبادة الملائكة هي كلها باطل لا طرق

(١) ببعض تصرف من تأويل مختلف الحديث (ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥) .

لها ولا رواية^(١) . ولا نشك في وضع الزنادقة لها^(٢) . وقد انتقد ابن قتيبة الطاعنين في أهل الحديث وبين أن طعنهم على أهل الحديث ليس لمصلحة الإسلام وليس هدف الطاعنين الغيرة على الإسلام ، فإنهم هم غير ملتزمين بالإسلام في أنفسهم . فهو يقول عن النظام أنه شاطر من الشطار يغدو على سكر ويروح على سكر ويبيت على جرائمها ويدخل في الأذناس ويرتكب الفواحش والشائعات وهو القائل :

ما زلت آخذ روح الزق في لطف واستبيح دماً من غير مجروح
حتى انثيت ولي روحان في جسدي والزق مطرح جسم بلا روح^(٣)

ويقول عن أبي الهذيل العلاف^(٤) ثم نصير الى قول ابن الهذيل العلاف
فنجده كذاباً أفاكاً^(٥) .

ويقول ثم نصير الى ثمامة^(٦) فنجده من رقة الدين وتنقص الإسلام
والإستهزاء به وإرساله لسانه على ما لا يكون على مثله رجل يعرف الله تعالى
ويؤمن به ومن المحفوظ عنه المشهور أنه رأى قوماً يتعادون يوم الجمعة الى

(١) هذه أحاديث وضعها الزنادقة كقولهم أن الله أجرى الخيل حتى عرقت ثم خلق نفسه من ذلك العرق وقولهم أن الله خلق الملائكة من شعر ذراعيه وصدره وقولهم أن الله ينزل عشية عرفة على جمل أوراق في قبض من الذهب وقصدهم التشجيع على أهل الحديث على الزنادقة لعائن الله الى يوم يلقونه ومن له مسكة من عقل يعرف أن هذه أحاديث موضوعة تخالف الشرع والعقل ولا يرونها من له ذرة من عقل أو إيمان .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦) .

(٣) تأويل مختلف الحديث (ص ١٧) .

(٤) انظر ترجمته (ص ١٤٧) من هذا البحث .

(٥) تأويل مختلف الحديث (ص ٤٣) .

(٦) ثمامة بن أثرس ابو معين النميري أحد المعتزلة البصريين ورد بغداد واتصل بهارون الرشيد وغيره من الخلفاء وله أخبار ونوادر يحكيها عنه الجاحظ وغيره . قال عنه الذهبي : (أنه من كبار المعتزلة ورؤوس الضلالة) قال ابن حزم كان ثمامة يقول أن العالم فعل الله بطباعه وأن المقلدين من أهل الكتاب وعباد الأصنام لا يدخلون النار بل يصيرون تراباً وأن من مات مصراً على كبيرة خلد في النار وأن أطفال المؤمنين يصيرون تراباً) .

انظر تاريخ بغداد (٧ : ١٤٥) ، ميزان الاعتدال (١ : ٣٧١) .

المسجد لخوفهم فوت الصلاة فقال: انظروا الى البقر انظروا إلى الحمير ثم قال لرجل من إخوانه ما صنع هذا العربي بالناس^(١) . ثم نصير الى الجاحظ وهو آخر المتكلمين والمعاير على المتقدمين وأحسنهم للحجة استشارة وأشدّهم تلطفاً لتعظيم الصغير حتى يعظم وتصغير العظيم حتى يصغر ويبلغ به الإقتدار الى أن يعمل الشيء ونقيضه . . . ويعمل كتاباً يذكر فيه حجج النصارى على المسلمين فإذا صار الى الرد عليهم تجوز في الحجة كأنه إنما أراد تنبيههم على ما لا يعرفون وتشكيك الضعفة من المسلمين ويستتريء من الحديث إستهزاء لا يخفي على أهل العلم . . . وهو مع هذا من أكذب الأمة وأوضعهم للحديث وأنصرهم لباطل^(٢) .

ولم يكن ابن قتيبة رحمه الله متحاملاً على رؤساء أهل الكلام والإعتزال كالجاحظ والنظام والعلاف بل من رجع الى ما قيل عنهم في كتب الرجال يجد مصداق ذلك وقد ذكرت طرفاً من ضلالتهم في ثانيا هذا البحث .

سابعاً :

إن السند الذي وصل إلينا الإسلام عن طريقه هم الصحابة الأجلاء والتابعون الفضلاء وأهل الحديث والعلماء وأغلب هؤلاء من العرب بعد أن شرح الله صدورهم للإسلام والطعن في العرب المسلمين طعن في الدين والدفاع عنهم دفاع عن الدين وقد نبت في عصر ابن قتيبة نابتة من الزنادقة وأصحاب الأهواء يبغضون العرب ويؤلفون المؤلفات في مثالبهم ويصورونهم تصويراً مزيئاً لكي ينفروا الناس منهم ومما جاءوا به وهو الإسلام فإن من سنة الله في خلقه أنهم إذا أبغضوا شخصاً أبغضوا ما جاء به وإذا أحبوا شخصاً أحبوا ما جاء به وابن قتيبة رحمة الله عليه وإن كان عجمي النسب فإنه يحجزه

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٤٩) .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ٦٠) .

دينه عما لا يحل فهو يعتقد بعقيدة السلف وهي حب العرب المسلمين واعتقاد أن جنسهم أفضل من غيره كما دلت على ذلك الأدلة ولما ميزهم الله به من حسن البيان وكرم الأخلاق وشجاعة القلب والثبات وأن أفضل العرب قريش قبيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفضل قريش بنو هاشم فهو يقول : (. . . وكذلك الأمم فيها أمة كرم بلبانها كالعرب فإنها لم تزل في الجاهلية تتواصى بالحلم والحياء والتذم وتتعاير بالبخل والغرور والسفه وتنزه من الدناءة والمذمة وتتدرب بالنجدة والصبر والبسالة وتوجب للجار من حفظ الجوار ورعاية الحق فوق ما توجه للحميم . . . ولهم الضيافة عامة شاملة والإيثار على النفس والجود بالموجود - وأفضل العطاء جهد المقل - . . . وأما الشجاعة فإن العرب في الجاهلية أعز الأمم أنفساً وأعزها حريماً وأحماها أنوفاً وأخشنها جانباً وكانت تغير في جنبات فارس وتطرقها حتى تحتاج الملوك الى مداراتها وأخذ الرهن منها . . . وكان لقريش بيت الله الحرام العتيق . . . وكان فيهم بقايا من الحنفية يتوارثونها عن إسماعيل صلى الله عليه وسلم منها حج البيت الحرام وزيارته والختان والغسل والطلاق والعناق وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والصهر . . . ثم أتى الله بالإسلام فابتعث منها النبي صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء وخاتم الرسل وناسخ كل شرعة وجائز كل فضيلة ونشر عددها وجمع كلمتها وأمدّها الله بملائكته وأيدّها بقوته ومكن لها في البلاد وأوطأها رقاب الأمم وجعل فيها خلافة النبوة ثم الإمامة خالدة تالدة حتى يأتي المسيح صلى الله عليه وسلم فيصلّي خلف الإمام منها فاردة لا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها . وروى أبو نعيم عن الثوري عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث عن المطلب بن أبي وداعة والمطلب بن ربيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه وجعلهم فرقاً فجعلني في خيرهم فرقة وخلق قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة وجعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً^(١) . وبمثل قول ابن قتيبة قال علماء السلف .

(١) انظر رسائل البلغاء جمع محمد كرد علي (ص ٢٨٢ - ٢٩٣) والحديث الذي أورده ابن قتيبة =

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة
إعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم عبرانيهم وسريانيهم ورومهم
وفرسهم وغيرهم وأن قريشاً أفضل العرب وأن بني هاشم أفضل قريش وأن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل بني هاشم فهو أفضل الخلق نفساً
وأفضلهم نسباً)^(١) . ويقول رحمه الله في موضع آخر وجمهور العلماء على
أن جنس العرب خير من غيرهم كما أن جنس قريش خير من غيرهم وجنس
بني هاشم خير من غيرهم . وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم
أنه قال الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في
الإسلام إذا فقهوا^(٢) .

لكن تفضيل الجملة على الجملة لا يستلزم أن يكون كل فرد أفضل من
كل فرد فإن في غير العرب خلق كثير خير من أكثر العرب وفي غير قريش من
المهاجرين والأنصار من هو خير من أكثر قريش وفي غير بني هاشم من قريش
وغير قريش من هو خير من أكثر بني هاشم كما قال الرسول صلى الله عليه
وسلم أن خير القرون القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين
يلونهم^(٣) وفي القرون المتأخرة من هو خير من كثير من القرن الثاني
والثالث^(٤) .

ويقول ابن تيمية في بيان الدليل على فضل العرب : (... ولما وضع
عمر الديوان للعطاء كتب الناس على قدر أنسابهم فبدأ بالأقرب فالأقرب إلى
رسول الله فلما انقضت العرب ذكر العجم هكذا كان الديوان على عهد

أخرجه الترمذي وقال حديث حسن . انظر ابواب المناقب (١٠ : ٢٦) من تحفة الأحوزي
بشرح جامع الترمذي .

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (ص ١٤٨) .

(٢) صحيح البخاري باب قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ الآية

(٢ : ٢٦٤) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة (٢ : ٢٨٧) .

(٤) مجموع الفتاوى (١٩ : ٢٩) .

الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس الى أن تغير الأمر بعد ذلك والآثار في ذلك كثيرة وسبب ما اختصوا به من الفضل - والله أعلم ما جعل الله لهم من العقول والألسنة والأخلاق والأعمال وذلك أن الفضل إما بالعلم النافع أو العمل الصالح والعلم له مبدأ وهو قوة العقل الذي هو الفهم والحفظ وتمازج وهو قوة المنطق الذي هو البيان والعبارة فالعرب هم أفهم وأحفظ وأقدر على البيان والعبارة ولسانهم أتم الألسنة بياناً وتميزاً للمعاني . وأما العمل فإن مبناه على الأخلاق وهي الغرائز المخلوقة في النفس فغرائزهم أطوع من غرائز غيرهم فهم أقرب الى الحلم والسخاء والشجاعة والوفاء من غيرهم ولكن حازوا قبل الإسلام طبيعة قابلة للخير معطلة عن فعله ليس عندهم علم منزل ولا شريعة ماثورة ولا اشتغلوا ببعض العلوم بخلاف غيرهم فإنهم كانت بين أظهرهم الكتب المنزلة وأقوال الأنبياء فضلوها لضعف عقولهم وخبث غرائزهم (١) .

ونقل ابن القيم عقيدة أهل الحديث والسنة في ذلك عن حرب صاحب الإمام أحمد وهي قوله : (ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها ونحبهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن حبهم إيمان وبغضهم نفاق) (٢) . ولا نقول بقول الشعوبية وراذل الموالى الذين لا يحبون العرب ولا يقرون لهم بفضل فإن قولهم بدعة (٣) .

(١) جامع الرسائل لابن تيمية (ص ٢٨٩) .

(٢) قال ابن تيمية إسناده هذا الحديث فيه نظر . ولكن لعله روي من وجه آخر وهو موافق في المعنى لحديث سلمان إذ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك قلت يا رسول الله كيف أبغضك وبك هداني الله قال تبغض العرب فتبغضني رواه الترمذي وقال حسن غريب انظر اقتضاء الصراط (ص ١٥٥ ، ١٥٦) قلت أخرج الحاكم في مستدركه حديث سلمان (٤ : ٨٦) وقال انه صحيح الاسناد فتعقبه الذهبي وقال في سنده قابوس بن أبي ظبيان متكلم فيه وأخرج كذلك حديث حب العرب إيمان وبغضهم نفاق (٤ : ٨٧) فقال حديث صحيح الإسناد فتعقبه الذهبي أيضاً وقال في سنده معقل بن مالك ضعيف والهيثم بن حماد متروك والله اعلم .

(٣) حادي الأرواح (ص ٢٩٨) .

وقد رد ابن قتيبة رحمة الله عليه على الشعوبية وبين أن الحامل لهم على بغض العرب هو الحسد وبغضهم للإسلام وإنما يسترون خوفاً من القتل فهو يقول : (. . .) وأعاذنا الله من فتنة العصية وحمية الجاهلية وتحامل الشعوبية فإنها بفرط الحسد ونغل الصدر تدفع العرب عن كل فضيلة وتلحق بهم كل رذيلة وتغلوا في القول وتسرف في الذم وتبهت بالكذب وتكابر العيان وتكاد تكفر ثم يمنعها خوف السيف وتغص من النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر بالشجا وتطرف منه على القذى وتبعد من الله بقدر بعدها ممن قرب واصطفى وفي الإفراط الهلكة وفي الغلو البوار والحسد هو الداء وأول ذنب عصى الله به في الأرض والسماء ﴿١﴾ والمراد بقول السلف نحب العرب ونقر لهم بالفضل هو محبة جنس العرب إذا أسلموا لما لهم من الخصائص والميزات . أما إذا كفروا فإن جبههم كفر لقول الله تعالى : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم . . . ﴾ الآية . . المجادلة : ٢٢ . ورسوله الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح قتلوا العرب الأقحاح - بل فيهم من بني هاشم شر قتله لما كفروا في بدر واحد وغيرها فإن العربي إذا كفر بالله تعالى فقد قضى على خصائصه ومميزاته فأصبح عدواً لله وللمسلمين وبهذا يتضح ضلال القوميين الذين ابتلى المسلمون بهم في هذا العصر اذ نسمع نباحهم في وسائل إعلامهم يرددون قول أحد طواغيتهم :

أنا عربي عربي أحب كل العربي

فهو يحب العربي المسيحي والعربي اليهودي والعربي الاشتراكي فهؤلاء براء من السلف الصالح والسلف الصالح منهم بريء فلا يظن ظان أن محبة السلف للعرب مثل محبة هؤلاء أو أن القوميين في تمجيدهم للعرب كافرهم ومؤمنهم مقتدون بالسلف الصالح . حاشا وكلا . والله أعلم .

(١) رسائل البلاء (ص ٣٤٤) .

خاتمة البحث

تم بحمد الله ومنه وكرمه هذا البحث المتواضع على الصورة التي يراها القارئ وقد توصلت الى النتائج الآتية :

- (١) دراسة عصر ابن قتيبة دراسة نقدية ومركزة .
 - (٢) ترجمة وافية له - قدر الإمكان - وإحصاء مؤلفاته وبيان أماكن المخطوط منها مع إعطاء صورة كاملة عن كل واحد منها .
 - (٣) بيان القول الفصل فيما نسب إليه في جوانب من صفاته وإيضاح أنه لم يصح ما نسب إليه .
 - (٤) أن ما نسب إليه من طعن في عقيدته لم تثبت نسبته الى الدارقطني والبيهقي ولم أجد في مؤلفاته ما يصدق ذلك بل على العكس فيها ما يكذب ذلك الطعن الزائف .
 - (٥) إبطال نسبة كتاب الإمامة والسياسة اليه من وجوه عديدة .
 - (٦) إن ابن قتيبة جار على طريقة أهل السنة والجماعة في منهجه العقدي .
 - (٧) إنه خطيب أهل السنة والجماعة فقد سخر قلمه للذود عن أهل السنة وأثرى المكتبة الإسلامية بكتب مفيدة كثيرة شاملة لفنون جمّة .
- هذا آخر ما تيسر تسطيره عن ابن قتيبة وموقفه من عقيدة السلف والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .
- الباحث

الفهارس

- (١) فهرس الأعلام المترجم لهم .
- (٢) فهرس مصادر البحث .
- (٣) محتوى الرسالة .

١| فهرس الأعلام المترجم لها

(حرف الألف)

- (١) إبراهيم بن أحمد الشيباني ١٠٥
- (٢) إبراهيم بن سفيان الزيادي ٥٦
- (٣) إبراهيم بن سيار النظام ١٢٦
- (٤) إبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ ١٠١
- (٥) أحمد بن الحسين بن إبراهيم الدينوري ١٠٥
- (٦) أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي ١١٩
- (٧) أحمد بن خالد الضرير ٦٢
- (٨) أحمد بن الخليل بن حرب القومسي ٦٥
- (٩) أحمد بن سعيد أبو العباس اللحياني ٦٥
- (١٠) أحمد بن عبد الله بن قتيبة ٤٩
- (١١) أحمد بن علي بن ثابت الخطيب ١٠٨
- (١٢) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان ١٠٩
- (١٣) أحمد بن محمد بن أحمد أبو طاهر السلفي ١١٠
- (١٤) أحمد بن محمد بن الحسن الدينوري ١٠٢
- (١٥) أحمد بن محمد بن سلامة أبو جعفر الأزدي الطحاوي ٢٢٤
- (١٦) أحمد بن محمد بن هانيء الأثرم ٤٠

- (١٧) أحمد بن مروان بن محمد المالكي ١٠١
 (١٨) أحمد بن نصر النيسابوري ٣٥
 (١٩) إسحاق بن إبراهيم بن حبيب الشهيري ٥٧
 (٢٠) إسحاق بن إبراهيم الصواف الباهلي ٥٧
 (٢١) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه ٥٤

(حرف الباء)

- (٢٢) بشر بن غياث المريسي ١٧٤

(حرف الثاء)

- (٢٣) ثمامة بن أشرس ٢٥٩

(حرف الجيم)

- (٢٤) جهم بن صفوان السمرقندي ١٩٩

(حرف الحاء)

- (٢٥) حرب بن إسماعيل الكرماني ١٧٧
 (٢٦) حرملة بن يحيى بن عبد الله التجيبي ٥٧
 (٢٧) الحسن بن الحسين بن عبد الله السكري ٦٤
 (٢٨) الحسن بن علي الخلال ٦٤
 (٢٩) الحسن بن علي الفقيه البربهاري ٧١
 (٣٠) الحسين بن الحسن بن حرب السلمي ٥٨
 (٣١) الحسين بن محمد بن عبد الله النجار ١٤٧
 (٣٢) حمد بن محمد بن إبراهيم أبو سليمان الخطابي ١٥٥
 (٣٣) حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر العنقري ١٤٢

(حرف الخاء)

(٣٤) خليل بن كيكلدى بن عبد الله العلائي ١١٠

(حرف الدال)

(٣٥) دعبل بن علي الخزاعي ٦٢

(حرف الزاي)

(٣٦) زيد بن أخزم أبو طالب الطائي ٥٧

(٣٧) زياد بن يحيى بن زياد الحساني ٥٨

(حرف السين)

(٣٨) سهل بن محمد بن عثمان أبو حاتم السجستاني ٥٥

(حرف الشين)

(٣٩) شبابة بن سوار الفزاري ٦٥

(حرف العين)

(٤٠) العباس بن الفرغ الرياشي ٥٦

(٤١) عبد الله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان ١٠٢

(٤٢) عبد الله بن سبأ اليهودي ٩٥

(٤٣) عبده بن عبد الله الصفار ٥٨

(٤٤) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي ١٣٦

(٤٥) عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أبي شيبة ٣٩

(٤٦) عبد الله بن محمد الجعفي ٤٠

(٤٧) عبد الرحمن بن أخي الأصمعي ٦٣

(٤٨) عبد الرحمن بن بشر بن الحكم العبدي ٥٩

(٤٩) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ١١١

- (٥٠) عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ١٦٣
- (٥١) عبد الرحمن بن محمد الأنباري ١٠٩
- (٥٢) عبد العزيز بن عبد الله بن أبي مسلم الماجشون ١٤٤
- (٥٣) عبيد الله بن أحمد بن عبد الله بن بكير التميمي ١٠٤
- (٥٤) عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عيسى السكري ١٠٢
- (٥٥) عبيد الله بن محمد بن جعفر الأزدي ١٠٤
- (٥٦) عبيد الله بن يحيى بن خاقان ٩٨
- (٥٧) عبد الملك بن يوسف الجويني إمام الحرمين ١١٦
- (٥٨) عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله بن قتيبة ٥٣
- (٥٩) عثمان بن سعيد الدارمي ٤٠
- (٦٠) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ١٠٩
- (٦١) علي بن إسماعيل أبو موسى الأشعري ١٦٧
- (٦٢) علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن الدارقطني ١١٨
- (٦٣) عمرو بن بحر الجاحظ ٦١

(حرف القاف)

- (٦٤) قاسم بن إصينغ بن محمد الأندلسي ١٠٣
- (٦٥) القاسم بن سلام أبو عبيد البغدادي ٧٦

(حرف الميم)

- (٦٦) محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي ١١٠
- (٦٧) محمد بن أحمد بن يونس الفسوي ٦٥
- (٦٨) محمد بن أحمد بن إسحاق أبو الطيب الحلبي ١١٢
- (٦٩) محمد بن إسحاق بن خزيمة ٤٠
- (٧٠) محمد بن إسحاق النديم ١٠٩
- (٧١) محمد بن حامد بن محمد أبو رجاء ١٠٥

- (٧٢) محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ٧٩
- (٧٣) محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي الشوارب ٥٢
- (٧٤) محمد بن الحسين بن محمد أبو يعلى بن الفراء ١٥٥
- (٧٥) محمد بن خالد بن خدّاش بن عجلان المهلي ٦١
- (٧٦) محمد بن خلف المرزبان ١٠٣
- (٧٧) محمد بن داود الكاتب ٥٩
- (٧٨) محمد بن زياد بن عبيد الله الزيايدي ٦٠
- (٧٩) محمد بن سلام الجمحي ٦٠
- (٨٠) محمد بن عبد الله بن طاهر ٩٩
- (٨١) محمد بن عبد الله بن محمد المشهور بالحاكم النيسابوري ١١٦
- (٨٢) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي ٩١٢
- (٨٣) محمد بن عبد العزيز بن أبي رزق الشكري ٦٤
- (٨٤) محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ١٥١
- (٨٥) محمد بن علي بن أحمد الكرجي ١٠٥
- (٨٦) محمد بن عمر بن حسين الرازي ١٥٢
- (٨٧) محمد بن عبيد بن عبد الملك الأسدي ٥٩
- (٨٨) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري ١١٤
- (٨٩) محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ١٣٩
- (٩٠) محمد بن محمد بن مرزوق البهلول ٦١
- (٩١) محمد بن الهذيل بن عبد الله البصري العلاف ١٤٧
- (٩٢) محمد المهدي بن الواثق بن المعتصم ٢٧
- (٩٣) محمد بن يحيى بن أبي حزم القطعي ٦٠

(حرف النون)

- (٩٤) نعيم بن حماد الخزاعي ٣٩

(حرف الهاء)

- (٩٥) هارون الرشيد بن المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور ٢٦
(٩٦) هشام بن الحكم أبو محمد مولى بني شيان ١٤٧
(٩٧) الهيثم بن كليب الشاشي ١٠٤

(حرف الياء)

- (٩٨) يحيى بن أكثم بن محمد ٦٣
(٩٩) اليمان بن أبي اليمان البندنجي ٨٨
(١٠٠) يوسف بن الأمير سيف الدين تغري بردى ١١٥
(١٠١) يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي ١٥٣
(١٠٢) يحيى بن يحيى بن بكير النيسابوري ٣٩

٢ | فهرس مصادر البحث

(حرف الالف)

- (١) الإبانة عن أصول الديانة .
تأليف أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري .
من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٩٧٥ م .
- (٢) ابن تيمية حياته وعصره آراؤه وفقهه .
تأليف محمد أبو زهرة .
دار الفكر العربي بمصر سنة ١٩٧٧ م .
- (٣) ابن حنبل حياته وعصره آراؤه وفقهه .
تأليف الشيخ محمد أبو زهرة .
دار الفكر العربي بمصر .
- (٤) ابن الرومي .
تأليف عباس محمود العقاد .
الطبعة السادسة - الناشر المكتبة التجارية بمصر .
- (٥) ابن قتيبة الناقد الأديب .
تأليف الدكتور عبد الحميد سند الجندي .
رقم (٢٢) من سلسلة أعلام العرب طبع وزارة الثقافة والارشاد القومي .
بمصر .

- (٦) ابن قتيبة .
تأليف الدكتور محمد زغلول سلام .
رقم (١٨) من سلسلة نوايغ الفكر العربي - دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٥ م .
- (٧) ابن قتيبة ونة . الشعر .
تأليف محمد مريس الحاربي .
رسالة ماجستير قدمت لفرع الأدب بجامعة الملك عبد العزيز بمكة تحت إشراف الدكتور عبد الحكيم حسان .
- (٨) ابو الحسن الأشعري وعقيدته .
تأليف حماد بن محمد الأنصاري .
الطبعة الثانية - مطبعة الفجالة الجديدة بمصر ١٣٩٥ هـ .
- (٩) ابو الحسن الأشعري بين السلف والمتكلمين .
تأليف هادي أحمد طالبي .
رسالة ماجستير قدمت لفرع العقيدة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة بإشراف الدكتور محمد يوسف الشيخ .
- (١٠) الإنقان في علوم القرآن .
تأليف عبد الرحمن السيوطي وبهامشه إعجاز القرآن للقاضي أبي بكر الباقلاني - الطبعة الثالثة مصطفى الحلبي وشركاه .
- (١١) إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم .
تأليف ابي الحسن أحمد بن الحسين الحسني الزبيدي .
تحقيق خليل أحمد إبراهيم الحاج - دار الباز للطباعة والنشر .
- (١٢) أثر القرآن في تطور النقد العربي .
تأليف الدكتور محمد زغلول سلام .
الطبعة الثانية - دار المعارف بمصر .
- (١٣) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية .
تأليف ابن القيم الجوزية - دار المعرفة .

- (١٤) الإحتجاج بالقدر .
تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية .
من منشورات المكتب الإسلامي سنة ١٣٩٣ هـ .
- (١٥) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة .
تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبة .
ضمن مجموعة عقائد السلف جمع علي سامي النشار وعمار جمعي
الطالبي - منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧١ م .
- (١٦) أدب الكاتب .
تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبة - تحقيق محمد محيي الدين عبد
الحميد الطبعة الثالثة - مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٧٧ هـ .
- (١٧) الأدب المفرد .
تأليف محمد بن اسماعيل البخاري .
دار الكتب العلمية - بيروت .
- (١٨) إسلام بلا مذاهب .
تأليف الدكتور مصطفى الشكعة .
الطبعة الرابعة - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت ١٣٩٢ هـ .
- (١٩) الأسماء والصفات لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي .
تصحيح محمد زاهد الكوثري - دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- (٢٠) إصلاح غلط أبي عبيد .
تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبة .
مخطوط منه صورة على ميكروفيلم بمركز البحث العلمي بكلية الشريعة
بمكة المكرمة برقم ٥٢ .
- (٢١) أصول الدين .
تأليف عبد القاهر بن طاهر البغدادي .
الطبعة الثانية - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٠ هـ .

- (٢٢) أصول مذهب الامام أحمد بن حنبل .
تأليف الدكتور عبد المحسن التركي .
مكتبة الرياض الحديثة - الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ .
- (٢٣) الأصول الخمسة عند المعتزلة وموقف السلفيين منها .
رسالة ماجستير قدمت لفرع العقيدة بمكة من صالح زين العابدين
الشيبي بإشراف عوض الله حجازي .
- (٢٤) الإسلام والحضارة العربية .
تأليف محمد كرد علي .
الطبعة الثالثة - لجنة التأليف والنشر سنة ١٩٦٨ م .
- (٢٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن .
تأليف محمد الأمين الشنقيطي .
مطبعة المدني .
- (٢٦) الأشربة .
تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبة .
تحقيق محمد كرد علي - المجمع العلمي بدمشق سنة ١٣٦٦ هـ .
- (٢٧) الأعلام .
تأليف خير الدين الزركلي - الطبعة الثالثة .
- (٢٨) الإعتصام .
تأليف ابراهيم بن موسى الشاطبي .
تحقيق محمد زيد رضا - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت .
- (٢٩) أعلام الموقعين عن رب العالمين .
تأليف ابن القيم ومراجعة طه عبد الرؤوف سعد - دار الجيل لبنان -
١٩٧٣ م .
- (٣٠) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ .
تأليف محمد بن عبد الرحمن السخاوي .
دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٩٩ هـ .

- (٣١) إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم .
لشيخ الإسلام ابن تيمية .
بتصحيح محمد علي الصابوني - مطابع المجد التجارية - توزيع إدارات
البحوث والإفتاء السعودية .
- (٣٢) الإمامة والسياسة .
المنسوب زوراً لابن قتيبة - تحقيق الدكتور طه محمد الزيني مؤسسة
الحلبي وشركاه .
- (٣٣) امالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد .
لشريف علي بن الحسين الموسوي العلوي المرتضى .
تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - دار الكتاب العربي - بيروت .
- (٣٤) الأنساب .
تأليف عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني .
تحقيق السيد شرف الدين أحمد - الطبعة الأولى - مطبعة مجلس دائرة
المعارف العثمانية بحيدرآباد - الدكن ١٣٩٩ هـ .
- (٣٥) أنباه الرواة على أنباء النحاة .
تأليف علي بن يوسف القفطي .
تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - الطبعة الأولى - دار الكتب المصرية
١٣٧١ هـ .
- (٣٦) الأنواء في مواسم العرب .
تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبة .
الطبعة الأولى - مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيد آباد الدكن -
١٣٧٥ هـ .
- (٣٧) الإيمان .
تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية .
تصحيح محمد خليل هراس - دار الطباعة المحمدية بالأزهر بالقاهرة .

- (٣٨) الإيمان بالقضاء والقدر على طريقة أهل السنة والأثر .
تأليف عبد الله بن زيد آل محمود .
مطابع علي بن علي - الدوحة ١٣٩٦هـ .

(حرف الباء)

- (٣٩) البداية والنهاية لحافظ ابن كثير .
الطبعة الثانية - مكتبة المعارف - بيروت ١٩٧٧م .
(٤٠) بغداد في تاريخ الخلافة العباسية .
تأليف أحمد بن طاهر بن طيفور .
مكتبة المثنى ببغداد ١٣٨٨هـ .
(٤١) بغية الوعاة في طبقات النحاة .
للحافظ عبد الرحمن السيوطي .
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - الطبعة الأولى سنة ١٣٨٤هـ مطبعة
الحلبي وشركاه .
(٤٢) بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول .
لشيخ الإسلام ابن تيمية على هامش منهاج السنة النبوية .
الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق .
(٤٣) البيان والتبيين .
تأليف عمرو بن بحر الجاحظ .
دار الكتب العلمية - بيروت .
(٤٤) البحر المحيط .
تأليف محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي
الطبعة الأولى - مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٩هـ .

(حرف التاء)

- (٤٥) تاريخ الأمم والملوك .
تأليف محمد بن جرير الطبري .
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - الطبعة الثانية - دار المعارف بمصر .
- (٤٦) تاريخ دول الإسلام .
تأليف الحافظ الذهبي .
مخطوط منه صورة في جامعة الرياض برقم ٤٧٥ .
- (٤٧) تاريخ الأدب العربي .
تأليف كارل بروكلمان .
نقله الى العربية الدكتور عبد الحليم النجار - نشر دار المعارف الطبعة الرابعة .
- (٤٨) تاريخ بغداد .
للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن الخطيب .
دار الكتاب العربي - بيروت .
- (٤٩) تاريخ الخلفاء .
للحافظ عبد الرحمن السيوطي .
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - الطبعة الثانية - مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٧٨ هـ .
- (٥٠) تاريخ المذاهب الإسلامية .
تأليف محمد ابوزهرة - دار الفكر العربي .
- (٥١) تاريخ عصر الخلافة العباسية .
للدكتور يوسف العش .
تحقيق محمد ابو الفرج العش - دار الكتاب .
- (٥٢) تاريخ الإسلام السياسي .
للدكتور حسن إبراهيم حسن .
الطبعة السابعة ١٩٦٥ م - مكتبة النهضة العربية .

- (٥٣) تاريخ الحضارة الإسلامية .
ابوزيد شلبي .
الطبعة الثالثة - مكتبة وهبة ١٣٨٣هـ .
- (٥٤) تأويل مختلف الحديث .
عبد الله بن مسلم بن قتيبة .
تصحيح محمد زهري النجار - دار الجيل بلبنان ١٣٩٣هـ .
- (٥٥) تأويل مشكل القرآن .
عبد الله بن مسلم بن قتيبة .
تحقيق أحمد صقر - الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ - دار التراث - القاهرة .
- (٥٦) التجسيم عند المسلمين .
تأليف سهير بنت مختار - رسالة دكتوراه قدمت لكلية البنات بالقاهرة
بإشراف الدكتور سامي النشار .
- (٥٧) تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي .
محمد بن عبد الرحمن المباركفوري .
تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان - دار الفكر للطباعة والنشر الطبعة
الثالثة ١٣٩٩هـ .
- (٥٨) تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي .
الطبعة الأولى - مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن - الطبعة
الرابعة - دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- (٥٩) ترتيب المدارك لمعرفة أعلام الامام مالك للقاضي عياض .
تحقيق الدكتور أحمد بكير محمود - دار مكتبة الحياة ببيروت ومكتبة
الفكر بليبيا .
- (٦٠) تفسير غريب القرآن .
عبد الله بن مسلم بن قتيبة .
تحقيق أحمد صقر - دار الكتب العلمية .

- (٦١) التفسير والمفسرون .
للدكتور محمد حسين الذهبي .
الطبعة الثانية ١٣٩٦ هـ - دار الكتب الحديثة بمصر .
- (٦٢) تفسير القرآن العظيم .
للحافظ ابن كثير .
تحقيق محمد ابراهيم البناء وجماعة - دار الشعب .
- (٦٣) تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) .
لمحمد بن جرير الطبري .
دار الفكر - بيروت سنة ١٣٩٨ هـ .
- (٦٤) تفسير المعوذتين للإمام ابن قيم الجوزية .
الطبعة الخامسة - نشر قصي محب الدين الخطيب ١٣٩٧ هـ .
- (٦٥) تقريب التهذيب .
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ - دار نشر الكتب الإسلامية كوجرانواله
بباكستان .
- (٦٦) تهذيب الأسماء واللغات .
لأبي زكريا بن شرف النووي .
طبع إدارة الطباعة المنيرية بمصر ونشر مكتبة الأسد في بتهران .
- (٦٧) تهذيب التهذيب .
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
الطبعة الأولى - دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد ١٣٢٥ هـ وتصوير دار
صادر - بيروت .
- (٦٨) تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري .
تحقيق عبد السلام محمد هارون ومحمد علي النجار - المؤسسة
المصرية للتأليف والترجمة ١٣٨٤ هـ .

- (٦٩) التنبيه على الأسباب التي أوجبت الخلاف بين المسلمين .
 تأليف عبد الله بن السيد البطليوس .
 تحقيق الدكتور أحمد حسن كحيل والدكتور حمزة عبد الله النشرتي
 الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ - دار الاعتصام .
 (٧٠) التوحيد وإثبات صفات الرب .
 تأليف محمد بن إسحاق بن خزيمة .
 تعليق محمد خليل هراس - مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٧هـ .

(حرف الجيم)

- (٧١) جامع الأصول في احاديث الرسول .
 لابن الأثير الجزري .
 تحقيق عبد القادر الأرناؤوط - مكتبة الحلواني ودار البيان بدمشق
 ١٣٩٢هـ .
 (٧٢) جامع بيان العلم وفضله .
 لحافظ المغرب يوسف بن عبد البر الأندلسي .
 دار الفكر - بيروت .
 (٧٣) جامع الرسائل لابن تيمية .
 تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم - الطبعة الأولى - مطبعة المدني
 ١٣٨٩هـ .
 (٧٤) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم لأبي
 الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي .
 دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت .
 (٧٥) الجامع الفريد يحتوي على كتب ورسائل لأئمة الدعوة الإسلامية .
 الطبعة الثانية تقديم عبد الرزاق غفيفي - توزيع رئاسة الإشراف الديني
 على المسجد الحرام .

- (٧٦) جريدة المدينة المنورة .
جريدة يومية تصدرها مؤسسة المدينة للصحافة .
(٧٧) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين .
تأليف نعمان خير الدين الألوسي .
توزيع دار الباز للنشر والتوزيع بمكة .
(٧٨) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية .
مطابع المجد التجارية - توزيع دار الإفتاء السعودية .
(٧٩) جوانب التفكير في العقيدة الإسلامية في العصر الأموي .
رسالة دكتوراه قدمت لجامعة الملك عبد العزيز بمكة من أحمد علي
عبد العال بإشراف الدكتور محمد يوسف الشيخ .

(حرف الحاء)

- (٨٠) حادي الأرواح الى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية .
الطبعة الثالثة ١٣٩٢ هـ - تصحيح محمود حسن ربيع - مكتبة النهضة
الحديثة .
(٨١) الحاوي للفتاوى .
لعبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي .
الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت .

(حرف الخاء)

- (٨٢) خصائص التصور الإسلامي لسيد قطب دار الشروق .
(٨٣) الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية .
للدكتور فاروق عمر - الطبعة الثانية ١٩٧٧ م - مكتبة المشى ببغداد .
(٨٤) الخلافة والإمامة .
لعبد الكريم الخطيب .
الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت .

(٨٥) خلق أفعال العباد .

للإمام محمد بن إسماعيل البخاري .
نشرة الدكتور سامي النشار وعمار جمعي الطالبي ضمن عقائد السلف
منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٧١ م .

(حرف الدال)

(٨٦) دائرة المعارف الإسلامية .

لمجموعة من المستشرقين - مطبعة الشعب بالقاهرة - الطبعة الثانية .

(٨٧) دائرة المعارف .

للمعلم بطرس البستاني .

مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان - طهران .

(٨٨) الدرر السنية في الأجوبة النجدية .

جمع عبد الرحمن بن قاسم .

الطبعة الثانية من مطبوعات المكتب الاسلامي ببيروت . توزيع دار
الإفتاء السعودية .

(٨٩) دولة بني العباس .

للدكتور شاكراً مصطفى .

الطبعة الأولى ١٩٧٣ م - وكالات المطبوعات الكويت .

(٩٠) الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب .

للقاضي إبراهيم بن علي بن فرحون المالكي .

تحقيق الدكتور محمد الأحمدى أبو النور - دار التراث بمصر سنة
١٣٩٤ هـ .

(حرف الذال)

(٩١) ذيل مرآة الزمان .

لأبي الفتح موسى بن محمد البعلبكي .

الطبعة الأولى - مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد - الدكن .

(٩٢) ذيل تاريخ بغداد .

للمحافظ أبي عبد الله محمد بن محمود بن الحسن المعروف بابن
النجار البغدادي - مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد .

(حرف الرء)

(٩٣) رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد للإمام
عثمان بن سعيد الدارمي .

نشره سامي النشار وعمار الطالبي ضمن عقائد السلف - منشأة المعارف
بمصر سنة ١٩٧١ م .

(٩٤) الرد على الزنادقة والجهمية .

للإمام أحمد بن حنبل .

نشره سامي النشار وعمار الطالبي ضمن مجموعة عقائد السلف منشأة
المعارف بمصر ١٩٧١ م .

(٩٥) رسائل البلغاء .

اختيار وتصنيف محمد كرد علي - طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(٩٦) رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية .

نشرها الدكتور صلاح الدين المنجد في مجلة التوعية الإسلامية التي
تصدرها المملكة العربية السعودية - العدد الثاني في ذي القعدة
١٣٩٩ هـ .

(٩٧) الرسالة .

للإمام محمد بن إدريس الشافعي .

تحقيق أحمد محمد شاكر - طبعت سنة ١٣٠٩ هـ .

نشرها محمد حامد الفقي سنة ١٣٧٤ هـ ضمن مجموعة نفائس الطبعة
الثالثة مطبعة السنة المحمدية .

- (٩٩) رفع الإصر عن قضاة مصر .
تأليف أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
بتحقيق الدكتور حامد عبد المجيد ومحمد المهدي ابوستة - طبع
المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩٥٧م .

(حرف السين)

- (١٠٠) سلسلة الأحاديث الصحيحة .
محمد ناصر الدين الألباني .
من منشورات المكتب الإسلامي .
(١٠١) السنة للإمام أحمد بن حنبل .
مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٣٧٥هـ - نشر محمد حامد الفقي .
(١٠٢) السنن الكبرى .
لأبي بكر أحمد بن الحسن البيهقي .
دار الفكر .
(١٠٣) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي .
للدكتور مصطفى السباعي .
الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ - مطبعة السعادة .
(١٠٤) سنن ابن ماجه .
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي ١٣٩٥هـ .
(١٠٥) سنن أبي داود .
إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد - دار الحديث
السورية . الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ .
(١٠٦) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي .
مخطوط منه صورة مكبرة في عدة مجلدات في مكتبة جامعة الملك عبد
العزیز بمكة تصوير دار المأمون بدمشق .

(حرف الشين)

- (١٠٧) شرح ألفية العراقي المسماة بالتبصرة والتذكرة .
لعبد الرحيم بن الحسين العراقي .
المطبعة الجديدة بفاس - نشر الحاج محمد عبد السلام الحلو
١٣٥٤ هـ .
- (١٠٨) شرح حديث النزول لشيخ الإسلام ابن تيمية .
الطبعة الثالثة ١٣٨١ هـ من منشورات المكتب الإسلامي .
- (١٠٩) شذرات الذهب في أخبار من ذهب .
لعبد الحي بن العماد الحنبلي .
منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت .
- (١١٠) شرح السنة للحسين بن مسعود البغوي .
تحقيق شعيب الأرناؤوط - من منشورات المكتب الإسلامي .
- (١١١) الشريعة للإمام الأجرى .
تحقيق محمد حامد الفقي - مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٩ هـ .
- (١١٢) شرح الكوكب المنير .
لمحمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار .
تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد - نشر مركز البحث العلمي بكلية
الشريعة بمكة .
- (١١٣) الشرح والإبانة عن أصول السنة والديانة .
للإمام ابن بطة .
تحقيق رضا نعيان معطي رسالة ماجستير قدمت الى فرع العقيدة بمكة
بإشراف الدكتور عثمان عبد المنعم .
- (١١٤) شرح العقيدة الواسطية .
لمحمد خليل هراس .
الطبعة الرابعة - توزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

- (١١٥) شرح قصيدة الإمام ابن القيم .
 لأحمد بن ابراهيم بن عيسى .
 الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ - المكتب الإسلامي بيروت .
- (١١٦) شرح العقيدة الطحاوية .
 تحقيق مجموعة من العلماء - خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الخامسة ١٣٩٩ هـ - المكتب الإسلامي .
- (١١٧) الشعر والشعراء .
 لعبد الله بن مسلم بن قتيبة .
 تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر - الطبعة الثانية ١٣٨٦ هـ - دار المعارف بمصر .
- (١١٨) الشعبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول .
 الدكتورة زاهية قدورة - دار الكتاب اللبناني - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٧٢ م .
- (١١٩) شذرات اليلاتين من طيبات كلمات سلفنا الصالحين .
 جمع وتحقيق محمد حامد الفقي - مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٥ هـ .
- (١٢٠) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن قيم الجوزية .
 تصحيح السيد محمد بدر الدين أبو فراس الحلبي - دار الفكر ١٣٩٨ هـ .
- (١٢١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى .
 للقاضي عياض بن موسى الأندلسي .
 تحقيق محمد أمين قره علي ومجموعة من العلماء - مكتبة الفارابي بدمشق .
- (١٢٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية
 الأحمد بن حجر آل أبو طامي - تصحيح عبد العزيز بن باز - الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ .

(حرف الصاد)

- (١٢٣) الصاحبي لأحمد بن فارس .
تحقيق مصطفى الشويمي .
(١٢٤) الصراع بين الموالي والعرب .
للدكتور محمد بديع شريف - طبع سنة ١٩٥٤ م .
(١٢٥) صحيح البخاري بحاشية السندي .
دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت .
(١٢٦) صحيح الجامع الصغير .
لمحمد ناصر الدين الألباني - المكتب الاسلامي .
(١٢٧) صحيح مسلم بشرح النووي .
الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ - دار إحياء التراث العربي - بيروت .
(١٢٨) الصفات الخيرية بين الإثبات والتأويل .
رسالة ماجستير مقدمة لفرع العقيدة بمكة المكرمة من عثمان عبد الله
آدم الأثيوبي بإشراف كمال أبو النجا .

(حرف الضاد)

- (١٢٩) ضحى الإسلام .
لأحمد أمين .
الطبعة العاشرة - دار الكتاب العربي - بيروت .

(حرف الطاء)

- (١٣٠) طبقات الحنابلة .
للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى .
دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت .

- (١٣١) طاقات الشافعية الكبرى .
 لعبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي .
 تهذيب عبد الفتاح الحلو ومحمد الطناحي - الطبعة الأولى عيسى
 الحلبي وشركاه .
 (١٣٢) طبقات فحول الشعراء .
 لمحمد بن سلام الجمحي .
 شرح محمود محمد شاكر - مطبعة المدني بالقاهرة .
 (١٣٣) طبقات المفسرين للحافظ محمد بن علي بن أحمد الداودي .
 تحقيق علي محمد عمر - مكتبة وهبة بمصر - الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ .
 (١٣٤) طبقات النحويين واللغويين .
 لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي .
 تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - الطبعة الأولى ١٣٧٣ هـ - الناشر ..
 محمد سامي الخانجي الكتبي بمصر .

(حرف العين)

- (١٣٥) عبد الله بن المبارك الإمام القدوة .
 لمحمد عثمان جمال .
 الطبعة الثانية - دار القلم بدمشق .
 (١٣٦) العصر العباسي الأول .
 للدكتور شوقي ضيف .
 دار المعارف بمصر ١٩٧٢ م .
 (١٣٧) العصر العباسي الثاني .
 للدكتور شوقي ضيف - الطبعة الثانية - دار المعارف ١٩٧٥ م .
 (١٣٨) عصمة الأنبياء والقرآن الكريم .
 رسالة دكتوراه قدمت لكلية أصول الدين بالأزهر من محمد أبو النور .
 الحديدي - بإشراف د . عبد الغني عوض الراجحي .

(١٣٩) عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام .
لعبد الله بن محمد الصديق العماري .
مكتبة القاهرة .

(١٤٠) عقيدة ابن جرير الطبري .
نشرها عبد الله بن حميد ضمن المجموعة العلمية السعودية الطبعة
الأولى - مطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة .

(١٤١) عقيدة الحافظ عبد الغني المقدس .
نشرها عبد الله بن حميد ضمن المجموعة العلمية السعودية الطبعة
الأولى - مطبعة النهضة بمكة .

(١٤٢) عقيدة ابن قدامة .
نشرها عبد الله بن حميد ضمن المجموعة العلمية السعودية الطبعة
الأولى - مطبعة النهضة بمكة .

(١٤٣) العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية .
نشرها عبد الله بن حميد ضمن المجموعة العلمية السعودية الطبعة
الأولى .

(١٤٤) عقيدة الطحاوي نشرها عبد الله بن حميد ضمن المجموعة العلمية
السعودية .

(١٤٥) عقيدة السلف وأصحاب الحديث .
لشيخ الإسلام الصابوني - وهي الرسالة السادسة من المجلد الأول من
مجموعة الرسائل المنيرية - نشر محمد أمين دمج ١٩٧٠ م - بيروت .

(١٤٦) عقائد السلف للأئمة أحمد بن حنبل والبخاري وابن قتيبة وعثمان
الدارمي .

جمعها علي سامي النشار وعمار جمعي الطالبی - الناشر منشأة المعارف
بالاسكندرية ١٩٧١ م .

- (١٤٧) العقيدة في الله .
 لعمر بن سليمان الأشقر .
 الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - مكتبة الفلاح بالكويت .
- (١٤٨) عقيدة المؤمن .
 لأبي بكر جابر الجزائري .
 الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ - مكتبة الكليات الأزهرية .
- (١٤٩) عقيدة المسلم .
 لمحمد الغزالي .
 دار الكتب الحديثة بمصر ١٣٩٨ هـ .
- (١٥٠) العقائد الإسلامية .
 لسيد سابق .
 دار الكتاب العربي - بيروت .
- (١٥١) علماء نجد .
 لعبد الله بن عبد الرحمن البسام .
 الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ - طبع مكتبة النهضة بمكة .
- (١٥٢) العلو للعلي الغفار .
 للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي .
 تقديم عبد الرحمن محمد عثمان - مطبعة العاصمة بالقاهرة .
 الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ - الناشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .
- (١٥٣) العواصم من القواصم .
 للقاضي أبي بكر بن العربي .
 تحقيق محب الدين الخطيب - الطبعة الثالثة ١٣٨٧ هـ - المطبعة السلفية .
- (١٥٤) عيون الأخبار لعبد الله بن مسلم بن قتيبة .
 نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر - المؤسسة العامة للتأليف
 والترجمة والنشر - طبع سنة ١٣٨٣ هـ .

(حرف الغين)

- (١٥٥) الغرر المثلثة والدرر المبثثة .
لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي .
تحقيق ودراسة سليمان ابراهيم العائد - رسالة ماجستير تحت إشراف
الدكتور راشد بن راجح الشريف - قدمت لجامعة الملك عبد العزيز
بمكة - فرع اللغة العربية .
(١٥٦) غريب الحديث .
لعبد الله بن مسلم بن قتيبة .
تحقيق الدكتور عبد الله الجبوري - مطبعة العاني ببغداد ١٩٧٧ م .

(حرف الفاء)

- (١٥٧) الفاخر .
لأبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم .
تحقيق عبد العليم الطحاوي - الطبعة الأولى - دار إحياء الكتب العربية
بالقاهرة .
(١٥٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري .
لابن حجر العسقلاني - الطبعة الثانية - دار المعرفة - بيروت .
(١٥٩) فتح الباقي على الفية العراقي .
للمحافظ زكريا بن محمد الأنصاري .
منشور بذييل شرح الفية العراقي - المطبعة الجديدة بفاس - نشر الحاج
محمد عبد السلام الحلوسنة ١٣٥٤ هـ .
(١٦٠) فتح القدير .
لمحمد بن علي الشوكاني .
الطبعة الثانية - ١٣٨٣ هـ - الحلبي وشركاه .

- (١٦١) الفتوى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية .
نشرها محمد حامد الفقي مع رسائل أخرى ضمن مجموعة نفائس .
الطبعة الثالثة ١٣٧٤ هـ - بمطبعة السنة المحمدية .
- (١٦٢) الفرق بين الفرق .
لعبد القاهر بن طاهر البغدادي .
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مكتبة محمد علي صبيح
وأولاده .
- (١٦٣) فقه اللغة .
للدكتور علي عبد الواحد وافي - الطبعة السادسة - دار نهضة مصر .
- (١٦٤) فهرسة ما رواه عن شيوخه للشيخ أبي بكر محمد بن خير الأشبيلي .
الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ضمن منشورات دار الآفاق الحديثة ببيروت .
- (١٦٥) الفهرست .
لمحمد بن إسحاق النديم .
دار المعرفة ببيروت - وطبعة أخرى بتحقيق رضا بجدد مطبوعة في
طهران .
- (١٦٦) فوات الوفيات .
لمحمد بن شاکر الکتبی .
تحقيق الدكتور إحسان عباس - دار صادر - بيروت .
- (١٦٧) في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة .
للدكتور محمود أحمد خفاجي .
الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - مطبعة الأمانة بالقاهرة .
- (١٦٨) فهارس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف ببغداد .
إعداد الدكتور عبد الله الجبوري .

(حرف القاف)

- (١٦٩) قرامطة العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين .
تأليف محمد عبد الفتاح عليان .
الهيئة المصرية للتأليف والنشر ١٩٧٠ م .
(١٧٠) القرطين .
لابن مطرف الكناني .
دار المعرفة للطباعة والنشر - توزيع دار الباز للنشر والتوزيع بمكة .
(١٧١) قصص الأنبياء .
لعبد الوهاب النجار .
مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ١٣٨٦ هـ .
(١٧٢) قواعد المنهج السلفي والنسق الاسلامي في مسائل الألوهية .
والعالم والإنسان عند شيخ الإسلام ابن تيمية .
للدكتور مصطفى حلمي .
الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ - توزيع دار الأنصار بمصر .

(حرف الكاف)

- (١٧٣) الكامل في التاريخ .
لأبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير .
الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ - دار الكتاب العربي بيروت .
(١٧٤) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار .
للمحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبه .
الدار السلفية بمباي ١٣٩٩ هـ .
(١٧٥) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .
لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة .
مكتبة المثنى ببغداد .

- (١٧٦) الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية .
لعبد العزيز بن محمد السلمان .
الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ - مطبعة السعادة .

(حرف اللام)

- (١٧٧) اللباب في تهذيب الأنساب .
لابن الأثير الجزري .
مكتبة المثنى ببغداد .
(١٧٨) لسان الميزان .
تأليف أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
الطبعة الأولى - دائرة المعارف العثمانية بخيدرآباد - الدكن .
(١٧٩) لسان العرب المحيط .
لابن منظور .
ترتيب يوسف خياط - دار لسان العرب ببيروت .

(حرف الميم)

- (١٨٠) مجموعة الرسائل والمسائل .
لشيخ الإسلام ابن تيمية .
تحقيق محمد رشيد رضا - لجنة التراث العربي .
(١٨١) مجموعة الرسائل المنيرية .
تشتمل على مجموعة كتب قيمة في العقيدة وغيرها - عنيت بطبعها إدارة
الطباعة المنيرية - الناشر محمد أمين دمج - بيروت ١٩٧٠ م .
(١٨٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية .
جمع عبد الرحمن بن قاسم العاصمي وابنه محمد - مطابع الرياض سنة
١٣٨٢ هـ .

- (١٨٣) مجموعة الأحاديث النجدية .
تشتمل على تسع رسائل مهمة في العقائد والأحكام جمعها رشيد رضا -
الطبعة الثالثة ١٣٨٣هـ - المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .
- (١٨٤) المجروحين .
للمحافظ محمد بن حبان البستي .
تحقيق محمود إبراهيم زايد - دار الوعي بحلب .
- (١٨٥) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية - الدولة العباسية .
تأليف محمد الخضري بك .
المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٩٧٠م .
- (١٨٦) المحبر .
لأبي جعفر محمد بن حبيب .
تصحیح الدكتور إيلزة ليمتن - حيدر آباد - الدكن ١٣٦١هـ .
- (١٨٧) مختصر منهاج السنة لابن تيمية .
إختصره الحافظ الذهبي - تحقيق محب الدين الخطيب - مكتبة دار
البيان بدمشق .
- (١٨٨) مختصر الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة لابن القيم .
إختصره محمد بن الموصلي .
توزيع دار البحوث العلمية بالرياض .
- (١٨٩) مختار الصحاح .
لمحمد بن أبي بكر الرازي .
الطبعة الأولى ١٩٦٧م - دار الكتاب العربي - بيروت .
- (١٩٠) مختصر صحيح مسلم للحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري
تحقيق محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ - المكتب
الإسلامي .

(١٩١) مختصر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرّة المضيئة في عقد الفرقة المرضية .

لمحمد بن علي بن سلوم .

الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ - تحقيق محمد زهري النجار .

(١٩٢) المختصر في أخيار البشر تاريخ أبي الفداء عماد الدين اسماعيل أبي الفداء .

دار المعرفة للطباعة والنشر - لبنان .

(١٩٣) مذكرة أصول الفقه للشيخ محمد الأمين الشنقيطي .

من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(١٩٤) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي .

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

الطبعة الثانية - مطبعة السعادة بمصر .

(١٩٥) مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع .

لعبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي .

تحقيق محمد علي البجاوي - الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ - عيسى الحلبي

وشركاه .

(١٩٦) مرآة الجنان وعبرة اليقظان .

لعبد الله بن أسعد بن سليمان اليافعي - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .

(١٩٧) مرآة الزمان .

لسبط بن الجوزي يوسف بن قزوغلي .

مخطوط منه صورة بمركز البحث العلمي بمكة على ميكروفيلم برقم

٦٧٦٥ تاريخ .

(١٩٨) المزهر في علوم اللغة وأنواعها .

لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي .

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - الطبعة الثانية - عيسى الحلبي

وشركاه .

- (١٩٩) المسائل والأجوبة لابن قتيبة .
 نشر مكتبة القدسي بمصر سنة ١٣٤٩هـ .
- (٢٠٠) المستدرك على الصحيحين .
 للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري .
 وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي - دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ .
- (٢٠١) مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال .
- المكتب الإسلامي ودار صادر - بيروت .
- (٢٠٢) مشكاة المصابيح لمحمد بن عبد الله التبريزي .
 تحقيق محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - المكتب الإسلامي .
- (٢٠٣) مصرع الشرك والخرافة .
 لخاله محمد علي الحاج .
 تحقيق عبد الله إبراهيم الأنصاري - طبع الشؤون الدينية بدولة قطر سنة ١٣٩٨هـ .
- (٢٠٤) معالم في الطريق لسيد قطب دار الشروق .
- (٢٠٥) المعاني الكبيرة في أبيات المعاني لابن قتيبة .
 تصحيح المستشرق سالم الكرنكوي - دار النهضة الحديثة بيروت .
- (٢٠٦) المعتزلة لزهدي الجار الله .
 الطبعة الأولى - المكتبة الأهلية للنشر والتوزيع بيروت .
- (٢٠٧) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
 وضعه محمد فؤاد عبد الباقي - دار الفكر بيروت .
- (٢٠٨) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي .
 وضعه مجموعة من المستشرقين مع مشاركة محمد فؤاد عبد الباقي .
 مطبعة بريل في مدينه يدن ١٩٥٥م .

- (٢٠٩) المعارف لابن قتيبة .
تحقيق ثروت عكاشة - الطبعة الثالثة - دار المعارف بمصر .
- (٢١٠) مشكل الحديث لمحمد بن الحسن بن فورك .
تحقيق محمد عبد المعيد خان - الطبعة الثانية ١٣٩١هـ - دائرة المعارف
العثمانية بحيدرآباد .
- (٢١١) المغني في الضعفاء .
للإمام الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي .
الطبعة الأولى - دار إحياء التراث العربي ببيروت .
- (٢١٢) مقدمة ابن خلدون .
الطبعة الخامسة - دار الكتاب العربي ببيروت .
- (٢١٣) مقالات الإسلاميين .
لعلي بن إسماعيل الأشعري .
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ - مكتبة
النهضة بمصر .
- (٢١٤) الملل والنحل .
لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني .
تحقيق محمد سيد كيلاني - الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ - دار المعرفة
للطباعة والنشر .
- (٢١٥) المنتظم .
لأبي الفرج د الرحمن بن علي بن الجوزي .
الطبعة الأولى ١٣٥٧هـ - دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد .
- (٢١٦) مناقب الشافعي لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي .
تحقيق أحمد صقر - الطبعة الأولى ١٣٩١هـ - مكتبة دار التراث
بمصر .

- (٢١٧) مناقب الإمام أحمد بن حنبل .
 لأبي الفرج بن الجوزي .
 الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - تحقيق عبد المحسن التركي وعلي محمد
 عمر - مكتبة الخانجي بمصر .
- (٢١٨) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية لشيخ الإسلام ابن
 تيمية .
 الطبعة الأولى ١٣٢١ هـ - المطبعة الأميرية ببولاق .
- (٢١٩) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات .
 للشيخ محمد الأمين الشنقيطي .
 من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
- (٢٢٠) مرطأ الإمام مالك رواية يحيى بن يحيى الليثي .
 إعداد أحمد راتب عرموش - الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ - دار النفائس
 للطباعة والنشر والتوزيع .
- (٢٢١) ميزان الاعتدال .
 لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي .
 دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت ١٣٨٢هـ .
- (٢٢٢) الميسر والقдах .
 لعبد الله بن مسلم بن قتيبة .
 تحقيق محب الدين الخطيب - الطبعة الثانية - المطبعة السلفية ومكتبتها
 بمصر ١٣٨٥هـ .

(حرف النون)

- (٢٢٣) النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية دار الفكر .
- (٢٢٤) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .
 لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي .
 الطبعة الأولى ١٣٥١هـ - دار الكتب المصرية بالقاهرة .

(٢٢٥) نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة .

(٢٢٦) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام .

لعلي سامي النشار - الطبعة السابعة - دار المعارف بمصر ١٩٧٧ م .

(٢٢٧) النشر في القراءات العشر .

لمحمد بن محمد الدمشقي بن الجزري .

تصحيح علي محمد الضباع - المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

(٢٢٨) نفائس وتشمّل على الرسالة التدمرية والحملية الكبرى .

لشيخ الإسلام ابن تيمية ومغها عدة كتب أخرى بتحقيق محمد حامد

لفقي - الطبعة الثالثة ١٣٧٤ هـ - مطبعة السنة المحمدية .

(٢٢٩) نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي .

للدكتور عبد السلام عبد الحفيظ عبد العال .

دار الفكر العربي ١٩٧٨ م .

(حرف الهاء)

(٢٣) هداية العارفين . أسماء المؤلفين وآثار المصنفين .

لمؤلفه اسماعيل باشا البغدادي .

مكتبة المثنى ببغداد .

(حرف الواو)

(٢٣١) وفيات الأعيان .

لابن العباس أحمد بن محمد بن خلكان .

تحقيق الدكتور إحسان عباس - دار صادر - بيروت .

(٢٣٢) كتاب الولاة لأبي عمر محمد بن يوسف الكندي .

مطبعة اليسوعيين - بيروت ١٩٠٨ م .

٣ محتوى الرسالة

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
الباب الأول : عصر ابن قتيبة	١٩
المبحث الأول: الناحية السياسية	٢١
المبحث الثاني : الناحية العلمية	٢٩
المبحث الثالث : الناحية الإجتماعية	٣٨
الباب الثاني : حياته	٤٣
المبحث الأول : اسمه ومولده	٤٥
المبحث الثاني : شيوخه	٥٠
المبحث الثالث : مكانته العلمية ومؤلفاته	٦٤
المبحث الرابع : صلته بحكام عصره	٩٤
المبحث الخامس : تلاميذه	٩٨
المبحث السادس : وفاته	١٠٣
المبحث السابع : أقوال العلماء فيه	١٠٥
(١) الموثقون له في دينه وعلمه	١٠٥
(٢) القادحون في علمه وخلقه	١٠٨
(٣) من نسب إليهم الطعن في عقيدته وبيان بطلانه	١١٤

الباب الثالث : توضيحه لعقيدة السلف ورده على

المخالفين ٢٦

المبحث الأول : منهجه في توضيح العقيدة :

وفيه سبع قواعد ١٣٤

القاعدة الأولى ١٣٤

القاعدة الثانية ١٣٦

القاعدة الثالثة ١٤٣

القاعدة الرابعة ١٤٢

القاعدة الخامسة ١٤٦

القاعدة السادسة ١٤٩

القاعدة السابعة ١٥١

المبحث الثاني : عقيدته في صفات الله تعالى ١٥٤

تمهيد ١٥٤

(١) صفة علو الله واستوائه على عرشه ١٥٧

(٢) رؤية المؤمنين لله يوم القيامة ١٦٠

(٣) صفة اليدين لله تعالى ١٦٥

(٤) صفة الأصابع لله تعالى ١٦٨

(٥) صفة الضحك لله تعالى ١٧٠

(٦) صفة الكلام لله تعالى ومسألة اللفظ ١٧٤

(٧) صفة النزول لله جلّ جلاله ١٨٠

(٨) حديث أن الله خلق آدم على صورته ١٨٤

المبحث الثالث : عقيدته في القضاء والقدر ١٩٠

المبحث الرابع : عقيدته في النبوات ١٩٨

(١) عصمة الأنبياء صلى الله عليهم وسلم ١٩٨

(٢) معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ٢٠٦

المبحث الخامس : عقيدته في السمعيات ٢١١

٢١١	(١) السحر
٢١٤	(٢) سؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه
٢١٧	(٣) العرش والكرسي
٢١٩	(٤) نزول عيسى عليه السلام
٢٢٣	المبحث السادس : عقيدته في الإمامة
٢٢٣	(١) إمامة قريش
٢٢٤	(٢) الخروج على السلطان
٢٢٧	(٣) القتال في الفتنة
٢٣١	الباب الرابع : دفاعه عن مصادر العقيدة
٢٣٣	تمهيد
٢٣٦	الفصل الأول : دفاعه عن الكتاب العزيز
٢٤٦	الفصل الثاني : دفاعه عن السنة المطهرة
٢٦١	خاتمة البحث
٢٦٣	الفهارس
٢٦٥	(١) فهرس الأعلام
٢٧١	(٢) فهرس مصادر البحث
٣٠١	(٣) محتوى الرسالة

ولله الحمد من قبل ومن بعد
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..